

هو أبو بكر ابن إدريس بن أبي يحيى

الْمُنْتَجِبُ
فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ
وَالنُّكْتِ الْمُسْتَخْرَجَةِ مِنْ كِتَابِ التَّبَيُّاتِ

المؤلفه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الترقي سنة ٥٩٨ هـ

مَحْفُوظٌ وَتَقْدِيرٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء الثاني

مكتبة البرصية في حيد ريتما

هو هو عماد بن إدريس الجلي



المنتخب

من نفس القرآن

والنكت المستخرجة من كتاب التبيان

المؤلف

السيد محمد بن إدريس الجلي

الترقي سنة ٥٩٨ هـ

محقق و تقيم

السيد محمد هادي السيد حسن الموسوي



الجزء الثاني

موسوعة ابن إدريس الحلبي ٤

المنتخب من تفسير القرآن و التكت المستخرجة من كتاب التبيان الجزء الثاني

لمؤلفة: الشيخ الجليل أبي عبدالله محمد بن أحمد بن إدريس العجلي الحلبي ع

تحقيق وتقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخراساني

منشورات: دليل ما

اعداد: مكتبة الروضة الحيدرية

الطبعة: الاولى

سنة النشر: ١٤٢٩ هـ - ١٣٨٧ ش

عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

المطبعة: نگارش

ردمك: ٤ - ٣٤١ - ٣٩٧ - ٩٦٤ - ٩٧٨ ISBN

ردمك الدورة في ١٤ مجلداً: ٠ - ٣٥٢ - ٣٩٧ - ٩٦٤ - ٩٧٨ ISBN

العنوان: ايران، قم، شارع معلم، ساحة روح الله، رقم ٦٥

هاتف وفكس: ٩٨٢٥١ ١٧٧٤٤٩٨٨، ٧٧٣٣٤١٣

صندوق البريد: ١١٥٣ - ٣٧١٣٥

WWW.Dalilema.com

info@Dalilema.com



مركز التوزيع:

- ١) قم، شارع صفائيه، مقابل زقاق رقم ٣٨، منشورات دليل ما، الهاتف ٧٧٣٧٠٠١ - ٧٧٣٧٠١١
- ٢) طهران، شارع انقلاب، شارع فخرآزي، رقم ٣٢، منشورات دليل ما، الهاتف ٦٦٤٦٤١٤١ - ٦٦٤٦٤١٤١
- ٣) مشهد، شارع الشهداء، شمالي حديقه النادري، زقاق خوراكيان، بنايه گنجينه كتاب التجاريه، الطابق الأول، منشورات دليل ما، الهاتف ٥ - ٢٢٣٧١١٣
- ٤) التجف الاشراف، سوق العويش، مقابل جامع الهندي، مكتبة الإمام الباقر العلوم ع، الهاتف ٧٨٠١٥٥٣٢٨٩ - ٧٨٠١٥٥٣٢٨٩

سرشانه	ابن إدريس، محمد بن احمد، ٥٤٣ - ٥٩٨ ق.
عنوان و پديدآور	موسوعة ابن إدريس الحلبي / تأليف محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخراساني.
مشخصات نشر	قم: دليل ما، ١٣٨٦.
مشخصات ظاهري	١٤ ج.
فروست	مكتبة الروضة الحيدرية.
شابک	(ج. ٢): 4 - 341 - 397 - 964 - 978 ISBN (دوره): 0 - 352 - 397 - 964 - 978 ISBN
وضعيت فهرست نویسی	فيا.
يادداشت	عربي.

هر جلد عنوان خواص خود را دارد.

- مندرجات
- ج. ١: مقدمه تفسير منتخب التبيان، ج. ٢: اكمال التقيان من تفسير منتخب التبيان، ج. ٣ و ٤: المنتخب من تفسير القرآن و التكت المستخرجة من كتاب التبيان، ج. ٦: حاشية ابن إدريس على الصحيفة السجادية.
 - ج. ٧: اجوبة مسائل و رسائل في مختلف فنون المعرفة، ج. ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣: كتاب السرائر العاوي لتحرير الفتاوي، ج. ١٤: مستطرفات السرائر (باب النوادر).

موضوع: فقه جعفري - قرن ٦ ق.

موضوع: تفاسير شيعه - قرن ٦ ق.

موضوع: اسلام - متون قديمي تا قرن ١٤ ق.

شناسه افزوده: خراسان، محمد مهدي، ١٩٢٨ - م. Khaarsan, Muhammad Mahdi. گردآورنده و مصحح

رده بندي كننگره: ١٣٨٦ م ١٦ الف / ٧ / ١٨١ BP

رده بندي ديويي: ٢٩٧ / ٣٢٢

شماره كتابشناسي ملي: ١١٧٢٥٩٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعليق من الجزء الخامس من التبيان في تفسير القرآن

يشتمل على بقية الأعراف وسورة الأنفال

وسورة التوبة وسورة يونس وبعض هود

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ

عَلِيمٌ﴾ الآية: ١٠٩.

هذا حكاية ما قال أشراف قوم فرعون: ان موسى ساحر عليم بالسحر، وإنما قيل للأشراف المملأ لأمرين: أحدهما: قال الزجاج: لأنهم مليئون بما يحتاج إليه منهم، الثاني: لأنه يملأ الصدور هيبته^(١).

وقوم فرعون هم الجماعة الذين كانوا يقومون بأمره ومعاونته ونصرته، ولهذا لا يضاف القوم إلى الله، فلا يقال يا قوم الله، كما يقال يا عباد الله^(٢).

والسحر لطف الحيلة في إظهار أعجوبة يوهم المعجزة^(٣).

وقال الأزهرى: السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، والساحر إنما يكفر بادعاء المعجزة، لأنه لا يمكنه مع ذلك علم النبوة^(٤).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

فصل

قوله تعالى: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾

الآية: ١١١.

قال ابن عباس: أرجه أخره. وقال قتادة: معناه احبسه، يقال: أرجأت الأمر أرجاءاً، ومنه قولهم المرجئة، وهم الذين يجوزون الغفران لمرتكبي الكبائر من غير توبة^(١).

والأخ هو النسيب بولادة الأدنى من أب أو أم أو منهما، ويقال للأخ الشقيق، ويسمى الصديق الأخ تشبيهاً بالنسيب، فأما الموافق في الدين، فإنه أخ بحكم الله في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢).

وإنما دخلت (كُلِّ) وهي للعموم على واحد، لأنه في معنى الجمع، كأنه قال: بكل السحرة إذا أفردوا ساحراً ساحراً^(٣).

والفرق بين كل ساحر وبين كل السحرة، أنه إذا قيل: بكل السحرة، فالمعنى المطلوب للجميع، وإذا قيل: بكل ساحر، فالمعنى المطلوب بكل واحد منهم، ويبيّن ذلك قول القائل: لكل ساحر درهم، ولكل السحرة درهم، فإن الأول يفيد أن لكل واحد درهماً، والثاني أن الجميع لهم درهم^(٤).

١. قارن ٤: ٥٢٧.

٢. قارن ٤: ٥٢٨، والآية في سورة الحجرات: ١٠.

٣. قارن ٤: ٥٢٩.

٤. نفس المصدر.

فصل

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا

لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ الآية: ١١٣.

وفي الآية دليل لقوم فرعون على حاجته وذلكه، لو استدكوا وأحسنوا النظر لنفوسهم، لأنه لم يحتج إلى السحرة إلا لذلكه وعجزه، وكذلك في طلب السحرة الأجر دليل على عجزهم عما كانوا يدعون من القدرة على قلب الأعيان، لأنهم لو كانوا قادرين على ذلك لاستغنوا عن طلب الأجر من فرعون، ولقلبوا الصخر ذهباً ولقلبوا فرعون كلباً واستولوا على ملكه^(١).

قال ابن إسحاق: وكان السحرة خمسة عشر ألفاً، وقال ابن المنكدر: كانوا ثمانين ألفاً، وقال كعب الاحبار: كانوا اثني عشر ألفاً^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ

نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ قَالَ الْقَوَا^٣ فَلَمَّا الْقَوَا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ

الآية: ١١٥ - ١١٦.

السحر هو الخفة والافراط فيها، حتى تخيل بها الأشياء عن الحقيقة والاحتيال بما يخفى على كثير من الناس^(٣).

١. قارن ٤: ٥٣٢.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٤: ٥٣٣.

وقال قوم: معناه خَبَلُوا إلى أعين الناس بما فعلوه من التخييل والخداع أنها تسعى، كما قال تعالى: ﴿يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾^(١).

وقال الرماني: معنى سحر الأعين، قلبها عن صحة ادراكها، بما يتخيّل من الأمور الممّوءة لها، بلطف الحيلة التي تجري مجرى الخفة والشعبذة، مما لا يرجع إلى حقيقة، والمحدث لهذا التخييل هو الله تعالى عندما أظهرها من تلك المخاريق، وإنما نسب إليهم لأنهم لو عرضوا بما يعلمونه لم يقع، كما لو جعل طفلاً تحت البرد فهو القاتل له في الحكم والله تعالى أماته^(٢).

وإنما جاز من موسى أن يأمرهم بالقاء السحر، وهو كفر لأمرين: أحدهما: إن كنتم محقين فآلقوا، الثاني: ألقوا على ما يصح ويجوز، لا على ما يفسد ويستحيل^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ^٤ فَإِذَا

هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ الآية: ١١٧.

الوحي هو إلقاء المعنى إلى النفس من جهة تخفى، ولذلك لم يشعر به إلا موسى عليه السلام حتى امتثل ما أمر به^(٥).

ومعنى ﴿تَلْقَفُ﴾ تبتلع تناولاً بفيها بسرعة منها^(٦).

١. قارن ٤: ٥٣٤، والآية في سورة طه: ٦٦.

٢. قارن ٤: ٥٣٤.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٤: ٥٣٥.

٥. نفس المصدر.

والإفك هو قلب الشيء عن وجهه، ومنه ﴿الْمُؤْتَفِكَاتِ﴾^(١) المنقلبات،
والإفك الكذب، لأنه قلب المعنى عن جهة الصواب^(٢).

و ﴿الْحَقُّ﴾ كون الشيء في موضعه الذي اقتضته الحكمة^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى

وَهَارُونَ﴾ الآية: ١٢١ - ١٢٢.

إنما خصوا موسى وهارون بالذكر بعد دخولهما في الجملة من: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لأمرين: أحدهما: أن فيه معنى الذي دعا إلى الإيمان موسى وهارون، الثاني: خصاً بالذكر، لشرف ذكرهما على غيرهما، على طريق المدحة لهما والتعظيم^(٤).

والرب بالاطلاق لا يطلق إلا على الله تعالى، لأنه يقتضي أنه رب كل شيء يصح ملكه، وفي الناس يقال: رب الدار ورب الفرس^(٥).

ومثله خالق لا يطلق إلا فيه تعالى، وفي غيره يقيد يقال: خالق الأديم^(٦).

١. النجم: ٥٣.

٢. قارن ٤: ٥٣٦.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٤: ٥٣٩.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

قال الرماني: وإنما جاز نبيان في وقت ولم يجز إمامان في وقت، لأن الإمام لما كان يقام بالاجتهاد، كان إمامة الواحد أبعد من المناقشة واختلاف الكلمة، وأقرب إلى الإلفة ورجوع التدبير إلى رضا الجميع.

وهذا الذي ذكره غير صحيح، لأن العقل غير دالّ على أن الإمام يجب أن يكون واحداً، كما أنه غير دالّ على أنه يجب أن يكون النبي واحداً، وإنما علم بالشرع أنه لا يكون الإمام في العصر إلا واحداً، كما علمنا أنه لم يكن في عصر النبي ﷺ نبي آخر، فاستوى الأمران في هذا الباب^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ

مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ الآية: ١٣٠.

أخبر تعالى في هذه الآية، وأقسم عليه أنه أخذ آل فرعون بالسنين، وهي الأعوام المقحطة^(٢).

واللام في قوله: ﴿لَقَدْ﴾ لام القسم^(٣).

والآل خاصة الرجل الذين يؤول أمرهم إليه ولذلك يقال: أهل البلد، ولا يقال: آل البلد، لأن في أهل معنى القرب في نسب أو مكان، وليس كذلك الآل^(٤).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٤: ٥٤٨.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

فصل

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا﴾

الآية: ١٣٢.

الآية هي المعجزة الدالة على نبوته، وهو كل ما يعجز الخلق عن معارضته ومقاومته، كما لا يمكن مقاومة الشبهة للحجة، وكما لا يمكن أن يقاوم الجهل للعلم، والسراب للماء، وإن توهم ذلك قبل النظر والاعتبار، ويخيل قبل الاستدلال الذي يزول معه الالتباس^(١).

وقد بينا حقيقة السحر فيما مضى، وقد يسمّى السحر ما لا يعرف سببه وإن لم يكن محظوراً، كما روي عنه عليه السلام أنه قال: (إن من البيان لسحراً)^(٢) أو كما قال الشاعر:

وحديثها السحر الحلال لو أنه لم تجن قتل المسلم المتحرّز^(٣)
وذلك مجاز وتشبيه دون أن يكون ذلك حقيقة.

فصل

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ﴾

الآية: ١٣٣.

١. قارن ٤: ٥٥٢.

٢. قارن ٤: ٥٥٣ والحديث في جملة من المصادر الحديثية، راجع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٢: ٤٣٥.

٣. قارن ٤: ٥٥٣، والبيت نسب لابن الرومي كما في ديوانه: ١١٦٤ تحال الدكتور حسين نصار ط دار الكتب بمصر، واستشهد به ابن عبد البر في الاستذكار ٨: ٥٥٨ ط دار الكتب العلمية بيروت، وأدب المجالسة له أيضاً: ٤٦ ط طنطا دار الصحابة للتراث سنة ١٤٠٩، والتمهيد له ٢: ٣٧٨ ط دار الكتب العلمية بيروت.

قال أبو عبيدة: الطوفان من السيل البعاق، ومن الموت الذريع^(١).
 وقوله: ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ اختلفوا في معناه، فقال ابن عباس في رواية عنه وقتادة
 ومجاهد: إنه بنات الجراد، وهو الدبا صغار الجراد الذي لا أجنحة له.
 وفي رواية أخرى عن ابن عباس وسعيد: أنه السوس الذي يقع في الحنطة.
 وقال أبو عبيدة: هو الحمان واحد حمانة، وقيل: حمنة وهو كبار القردان^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَنُمُوسَىٰ أَدْعُ
 لَنَا رَبَّنَا بِمَا عٰهَدَ عِنْدَكَ﴾ الآية: ١٣٤.
 قيل في معناه قولان:
 أحدهما: بما تقدّم إليك به وعلمك أن تدعوه به، فإنه يجيبك كما أجابك
 في آياتك.

الثاني: بما عهد عندك على معنى القسم^(٣).
 والرجز: العذاب.

فصل

قوله تعالى: ﴿فَآتَيْنَاهُم مِّنْهُمْ فَأُغْرِقْتُهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ الآية: ١٣٦.

١. قارن ٤: ٥٥٤.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٤: ٥٥٦.

فإن قيل: كيف جاء الوعيد على الغفلة وليست من فعل البشر؟
قلنا عنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنهم تعرضوا لها حتى صاروا لا يفتنون بها.
الثاني: أن الوعيد على الإعراض عن الآيات حتى صاروا كالغافلين عنها.
الثالث: أن المعنى وكانوا عن النعمة غافلين، ودلّ عليه «انتقمنا»^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ الآية: ١٣٧.

معناه: ما كانوا يبنونه من الأبنية والقصور، في قول ابن عباس ومجاهد^(٢).
وقال أبو عبيدة: يعرشون معناه يبنون، والعرش في هذا الموضع البناء،
ويقال: عروش مكة، أي بناؤها^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الآية: ١٣٩.

المتبر: المهلك المدمر عليه، والتبار: الهلاك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾^(٤).

١. قارن ٤: ٥٥٨.

٢. قارن ٤: ٥٦٠.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٤: ٥٦١، والآية في سورة نوح ٢٨.

ومنه التبر الذهب، سمي بذلك لأمرين: أحدهما أن معدنه مهلكة وقال الزجاج: يقال لكل إناء مكسر متبر وكسارته تبر^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَجْنَيْنَاكُمْ مِّنْ ءَالٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ الآية: ١٤١.

أنجيناكم بمعنى خلصناكم، لأن النجاة الخلاص مما يخاف إلى رفعة من الحال، وأصله الارتفاع، ومنه النجا أي الارتفاع في السير، ومنه قوله: ﴿تَنجِيكَ يَبْدِيكَ﴾ أي نلقيك على نجوة من الأرض^(٢).

والنجو كناية عن الحدث، لأنه كان يلقي بارتفاع من الأرض للإبعاد به، وقد كان أيضاً يطلب به الانخفاض للإبعاد به^(٣).

وقوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ معناه يولونكم اكراهاً، ويحملونكم اذلالاً ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ وأصل السوم مجاوزة الحد، فمنه السوم في البيع، وهو تجاوز الحد في السعر إلى الزيادة^(٤).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٤: ٥٦٣، والآية في سورة يونس: ٩٢.

٣. قارن ٤: ٥٦٤.

٤. نفس المصدر.

ومنه السائمة من الإبل الراعية، لأنها تجاوز حد الإيآت للرعي، ومنه فلان سيم الخسف أي ألزمه إكراهاً، والسوء مأخوذ من أنه يسوء النفس لمشاهدته لمنافرتة لها.

فصل

قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمٍّ مِيقَلْتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ الآية: ١٤٢.

قيل: في فائدة قوله: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ ولم يقل أربعين ليلة أقوال:

أحدها: أنه أراد شهراً وعشرة أيام متوالية، وقيل: أنه ذو القعدة وعشر من ذي الحجة، ولو قال: أربعين ليلة لم يعلم أنه كان الإبتداء أول الشهر، ولا أن الأيام كانت متوالية، ولا أن الشهر شهر بعينه، هذا قول الفراء، وهو قول مجاهد وابن جريج ومسروق وابن عباس وأكثر المفسرين^(١).

وقوله: ﴿فَتَمٍّ مِيقَلْتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ومعناه فتم الميقات أربعين ليلة. وإنما قال ذلك مع أن ما تقدم دلّ على هذا العدد، لأنه لو لم يورد الجملة بعد التفصيل، وهو الذي يسميه الكتاب الفذلكة، لظن أن قوله: ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ أي كملنا الثلاثين بعشر حتى كملت ثلاثين، كما يقال: تمت العشرة بدرهمين وسلمتها إليه^(٢).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٤: ٥٦٥.

والفرق بين الميقات والوقت: أنَّ الميقات ما قدر ليعمل فيه عمل من الأعمال، والوقت وقت للشيء، قدره مقدر أو لم يقدره، ولذلك قيل: مواقيت الحج، وهي المواضع التي قدرت للحرام به^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ^٢ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَٰكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي^٣ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ الآية: ١٤٣.

الدك: المستوي^(٢)، وقال الزجاج: دكاً يعني مدفوقاً مع الأرض، والدكاء والدكاوات الروابي التي مع الأرض، ناشئة عنها لا تبلغ أن تكون جبلاً^(٣).

واختلف المفسرون في وجه مسألة موسى عليه السلام ذلك، مع أن الرؤية بالحاسة لا تجوز عليه تعالى على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه سأل الرؤية لقومه حين قالوا له: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً^(٤)﴾ بدلالة قوله: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا^(٥)﴾.

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٤: ٥٦٦.

٣. قارن ٤: ٥٦٧.

٤. البقرة: ٥٥.

٥. الأعراف: ١٥٥.

فإن قيل: على هذا ينبغي أن يجوزوا أن يسأل الله تعالى هل هو جسم أم لا ؟ أو يسأله الصعود والتزول، وغير ذلك فيما لا يجوز عليه^(١).

قلنا عنه جوابان: أحدهما: أنه يجوز ذلك إذا علم أن في ورود الجواب من جهة الله مصلحة، وأنه أقرب إلى زوال الشبهة عن القوم، بأن ذلك لا يجوز عليه تعالى، كما جاز ذلك في مسألة الرؤية^(٢).

والجواب الثاني: أنه إنما يجوز أن يسأل الله ما يمكن أن يعلم صحته بالسمع، وما يكون الشك فيه لا يمنع من العلم بصحة السمع، وذلك يجوز في الرؤية التي لا تقتضي التشبيه، لأن الشك فيها لا يمنع من العلم بصحة السمع^(٣).

وإنما يمنع من ذلك سؤال الرؤية التي تقتضي الجسمية والتشبيه، لأن الشك في الرؤية التي لا تقتضي التشبيه، مثل الشك في رؤية الضمائر والاعتقادات وما لا يجوز عليه الرؤية^(٤).

وليس كذلك الشك في كونه جسماً، أو ما يتبع كونه جسماً من الصعود والتزول، لأن مع الشك في كونه جسماً لا يصح العلم بصحة السمع، من حيث أن الجسم لا يجوز أن يكون غنياً، ولا عالماً بجميع المعلومات^(٥).

وكلاهما لا بد فيه من العلم بصحة السمع، فلذلك جاز أن يسأل الرؤية التي لا توجب التشبيه، ولم يجز أن يسأل كونه جسماً وما أشبهه^(٦).

١. قارن ٤: ٥٦٧.

٢. قارن ٤: ٥٦٨.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

والجواب الثالث: أنه سأل العلم الضروري الذي يحصل في الآخرة ولا يكون في الدنيا، لتزول عنه الخواطر والشبهات^(١).

وللأنبياء أن يسألوا ما يزول عنهم معه الوسوس والخطرات، كما سأل إبراهيم ربه، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَى﴾^(٢).

وقوله: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ جواب من الله تعالى لموسى، أنه لا يراه على الوجه الذي سأل، وذلك دليل على أنه لا يرى لا في الدنيا ولا في الآخرة، لأن ﴿لَنْ﴾ تنفي على وجه التأيد، كما قال: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾^(٣).

وهذا إنما يمكن أن يعتمد من قال بالجواب الأول، فأما من قال: أنه سأل العلم الضروري لا يمكنه أن يعتمد، لأن ذلك يحصل في الآخرة^(٤).

وقوله: ﴿فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ معناه إن استقر الجبل في حال ما جعله دكاً متقطعاً فسوف تراني، فلما كان ذلك محالاً، لأن الشيء لا يكون متحركاً ساكناً في حال واحدة كانت الرؤية المتعلقة بذلك محالة، لأنه لا تعلق بالمحال إلا المحال^(٥).

وقوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ معناه ظهر بآياته التي أحدثها في الجبل لحاضري الجبل بأن جعله دكاً^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٤: ٥٦٨، والآية في سورة البقرة: ٢٦٠.

٣. قارن ٤: ٥٦٩، والآية في سورة الجمعة: ٧.

٤. قارن ٤: ٥٦٩.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

وقوله: ﴿سُبْحَانَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ﴾ قيل في معنى توبته ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه تاب، لأنه سأل قبل أن يؤذن له في المسألة، وليس للأنبيا ذلك.

الثاني: أنه تاب من صغيرة ذكرها.

الثالث: أنه قال ذلك على وجه الانقطاع إليه، والرجوع إلى طاعته وإن

كان لم يعص، وهذا هو المعتمد عندنا دون الأولين^(١).

على أنه يقال لمن جوّز الرؤية على الله تعالى: إذا كان موسى عليه السلام إنما

سأل ما يجوز عليه، فمن أي شيء تاب؟ فلا بد لهم من مثل ما قلناه من

الأجوبة^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ الآية: ١٤٥.

معناه: يأخذوا بأحسن المحاسن، وهي الفرائض والنوافل، وأدونها في

الحسن المباح، لأنه لا يستحق عليه حمد ولا ثواب^(٣).

وقال الجبائي: أحسنها الناسخ دون المنسوخ المنهي عنه، ويجوز أن

يكون المراد به ﴿أَحْسَنِهَا﴾ حسنها، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَىٰ عَلَيْهِ﴾ ومعناه

هين^(٤).

١. قارن ٤: ٥٧٠.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٤: ٥٧٣.

٤. قارن ٤: ٥٧٣، والآية في سورة الروم: ٢٧.

يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِأَحْسَنَهَا إِلَى مَا دُونَهُ مِنَ الْحَسَنِ، أَلَا تَرَى أَنَّ اسْتِيفَاءَ الدِّينِ حَسَنٌ وَتَرْكُهُ أَحْسَنُ^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي

الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ الآية: ١٤٦.

قال الجبائي والرماني: معنى ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ أي سأصرف عن خبر آياتي من العز والكرامة بالدلالة التي كسبت الرفعة في الدنيا والآخرة^(٢).

ويجوز أن يكون معناه: أني أحكم عليهم بالانصراف وأسميهم بأنهم منصرفون عنها، لأنهم قد انصرفوا عنها، كما قال: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾^(٣).

ويحتمل أن يكون المراد أني سأصرفهم عن التوراة والقرآن، وما أوحى الله من كتبه، بمعنى أمنعهم من إفساده وتغييره وإبطاله، لأنه قال في أول الآية: ﴿وَكُنَّا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ﴾ إلى قوله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾^(٤).

ويجوز أن يكون المراد ﴿سَأَرِيهِمْ آيَاتِيَ﴾ فينصرفون عنها، وهم الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق، كما يقول القائل: سَأَحِيرُ فَلَانًا أي أسأله عن شيء فيتحير عند مسألي، وسأبخل فلاناً أي أسأله ما يبخل عنده^(٥).

١. قارن ٤: ٥٧٣.

٢. قارن ٤: ٥٧٤.

٣. قارن ٤: ٥٧٤، والآية في سورة التوبة: ١٢٧.

٤. قارن ٤: ٥٧٤.

٥. قارن ٤: ٥٧٥.

وكذلك يقال: سأقطع فلاناً بكلامي، والمراد أنه سينقطع عند كلامي، وكل ذلك واضح بحمد الله^(١).

ومن قال من المجبرة أن الله تعالى يصرفه عن الإيمان «قوله باطل».

لأنه تعالى لا يجوز أن يصرف أحداً عن الإيمان، لأنه لو صرفه عنه ثم أمره به، لكان كلفه ما لا يطيقه، وذلك لا يجوز عليه تعالى، وأيضاً فإن الله تعالى بين أنه يصرفهم عن ذلك مستقبلاً، جزاء لهم على كفرهم الذي كفروا، فكيف يكون ذلك صرفاً عن الإيمان^(٢).

وقيل: معناه سأصرف عن ابطالها والطعن فيها، بما أظهره من حججها، كما يقال: سأمنعك من فلان، أي من أذاه، ذكره البلخي^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ الآية: ١٤٧.

قوله: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ إخبار من الله تعالى أن من كذب بآياته ويجحد البعث والنشور تنحبط أعماله، لأنها تقع على خلاف الوجه الذي يستحق بها المدح والثواب، فيصير وجودها وعدمها سواء^(٤).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٤: ٥٧٦، وما بين القوسين من المصدر.

٣. قارن ٤: ٥٧٦.

٤. قارن ٤: ٥٧٧.

والحبوط: سقوط العمل حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل^(١).

وأصل الاحباط الفساد، مشتق من الحبط، وهو داء يأخذ البعير في بطنه من فساد الكلاء عليه، وإذا عمل الإنسان عملاً على خلاف الوجه الذي أمر به، يقال: أحبطه بمنزلة من يعمل شيئاً ثم يفسده^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾ الآية: ١٤٨.

في كيفية خوار العجل مع أنه مصوغ من الذهب خلاف، فقال الحسن: قبض السامري قبضة من تراب من أثر فرس جبرئيل عليه السلام يوم قطع البحر، فقذف ذلك التراب في فم العجل فتحول لحماً ودماً، وكان ذلك معتاداً غير خارق للعادة وجاز أن يفعل ذلك لمجرى العادة^(٣).

وقال الجبائي والبلخي: إنما احتال بادخال الريح فيه حتى سمع له كالخوار كما قد يحتال قوم اليوم لذلك^(٤).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ الآية: ١٤٩.

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٤: ٥٧٨.

٤. نفس المصدر.

معنى قوله: ﴿سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ وقع البلاء في أيديهم، أي وجدوه وجدان من يده فيه، يقال ذلك للنادم عندما يجده مما كان خفي عليه، ويقال أيضاً: أسقط في يديه، أي صار الذي يضربه لقي في يديه^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ الآية: ١٥٠.

قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال الجبائي: إنما هو كقبض الرجل منا على لحيته، وعضّه على شفته أو ابهامه، فأجرى موسى هارون مجرى نفسه، فقبض على لحيته كما يقبض على لحية نفسه اختصاصاً^(٢).

وقال أبو بكر ابن الأخشاذا: إنّ هذا أمر يتغيّر بالعادة، ويجوز أن تكون العادة في ذلك الوقت أنّه إذا أراد الإنسان أن يعاقب غيره لا على وجه الهوان أخذ بلحيته وجره إليه، ثم تغيّرت العادة الآن^(٣).

وقال قوم: إنّما أخذ برأسه إليه ليسر إليه شيئاً أراد^(٤).

فصل

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾ الآية: ١٥١.

١. قارن ٤: ٥٧٩.

٢. قارن ٤: ٥٨١.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

كان هذا الدعاء من موسى انقطاعاً منه إلى الله تعالى وتقرّباً إليه، لا أنّه كان وقع منه أو من أخيه قبيح صغير أو كبير يحتاج أن يستغفر منه^(١).

ومن قال: أنّه استغفر من صغيرة كانت منه أو من أخيه، فقد أخطأ ويقال له الصغيرة على مذهبكم تقع مكفّرة محبّطة، فلا معنى لسؤال المغفرة لها^(٢).

وقد بيّنا في غير موضع أنّ الأنبياء لا يجوز عليهم شيء من القبائح، لا كبيرها ولا صغيرها، لأنّ ذلك يؤدّي إلى التنفير عن قبول قولهم، والأنبياء منزّهون عمّا ينفر عنهم على كل حال^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾ الآية: ١٥٣.

التوبة: طاعة يستحق بها الثواب بلا خلاف، ويسقط العقاب عندها بلا خلاف إلا أنّ عندنا يسقط ذلك تفضلاً من الله بورود السمع بذلك، وعند المعتزلة العقل يوجب ذلك^(٤).

فإن قيل: كيف قال: ﴿تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾ والتوبة هي إيمان؟ قلنا عنه ثلاثة أجوبة:

١. قارن ٤: ٥٨٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٤: ٥٨٦.

أحدها: تابوا من المعصية وآمنوا بتلك التوبة، الثاني: استأنفوا عمل الإيمان، الثالث: آمنوا بأن الله قابل التوبة^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ الآية: ١٥٥.

معناه: إن هي إلا اختبارك وابتلاؤك لخلقك، والمعنى إن هي إلا تشديدك التبعيد علينا، بالصبر على ما أنزلته بنا من هذه الرجفة والصاعقة، اللتين جعلتهما عقاباً لمن سأل الرؤية وزجراً لهم ولغيرهم^(٢).

ومثله قوله: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ يعني بذلك الأمراض والأسقام التي شدد الله بها التبعيد على عباده، فسمي ذلك فتنة من حيث يشتد الصبر عليها^(٣).

وقوله: ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾ معناه تضل بترك الصبر على فتنتك، وترك الرضا بها من تشاء عن نيل ثوابك ودخول جنتك، وتهدي بالرضا بها والصبر عليها من تشاء^(٤).

وإنما نسب الضلال إلى الله، لأنهم ضلّوا عند أمره وامتحانه، كما أضاف زيادة الرجس إلى السورة في قوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ وإن كانوا هم الذين ازدادوا عندها^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٤: ٥٨٩.

٣. قارن ٤: ٥٨٩، والآية في سورة التوبة: ١٢٦.

٤. قارن ٤: ٥٩٠.

٥. قارن ٤: ٥٩٠، والآية في سورة التوبة: ١٢٥.

فصل

قوله تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ^ط وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ^ع﴾ الآية: ١٥٦.

قيل: إنما علّقه بالمشيئة ولم يعلّقه بالمعصية لأمرين: أحدهما: الاشعار بأن وقوعه بالمشيئة له دون المغفرة. الثاني: أنه لا يشاء ذلك إلا على المعصية، فأيهما ذكر دلّ على الآخر. وعندنا أنه علّقه بالمشيئة، لأنه كان يجوز الغفران عقلاً بلا توبة^(١). ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ قيل: المعنى أنها تسع كل شيء إن دخلوها، فلو دخل الجميع لوسعتهم، إلا أن فيهم من يمتنع منها من الضلال بما لا يدخل معه فيها^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ الآية: ١٥٩.

قال ابن عباس والسدي: هم قوم وراء الصين، وقال أبو جعفر^{عليه السلام}: قوم خلف الرمل لم يغيروا ولم يبدلوا^(٣).

١. قارن ٤: ٥٩٢.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٥: ٦.

وأنكر الجبائي قول ابن عباس وقال: شرع موسى عليه السلام منسوخ بشرع عيسى وشرع محمد عليه السلام، فلو كانوا باقين لكفروا بجحد نبوة محمد عليه السلام.^(١)

وليس هذا بشيء، لأنه لا يمتنع أن يكون قوم لم يبلغهم الدعوة من النبي عليه السلام فلا نحكم بكفرهم.^(٢)

قال الجبائي يحتمل ذلك وجهين:

أحدهما: أنهم كانوا قوماً متمسكين بالحق في وقت ضلالتهم بقتل أنبيائهم.

والآخر: أنهم الذين آمنوا بالنبي عليه السلام.^(٣)

فصل

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِمُ أَجِئْنَا الَّذِينَ

يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ﴾ الآية: ١٦٥.

أخبر الله تعالى أنه لما ترك أهل هذه القرية الرجوع عن ارتكاب المعصية بصيد السمك يوم السبت بعد أن ذكرهم الواعظون ذلك ولم ينتهوا عن ذلك أنه أنجى الناهين وأخذ الذين ظلموا أنفسهم.^(٤)

وروي عن عطاء أن رجلاً دخل على ابن عباس وبين يديه المصحف وهو يبكي، وقد أتى على هذه الآية إلى آخرها، فقال ابن عباس: قد علمت أن

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٥: ١٩.

الله أهلك الذين أخذوا الحيتان وأنجى الذين نهوهم، ولا أدري ما صنع بالذين لم ينهوهم ولم يواقعوا المعصية وهي حالنا^(١).

و ﴿نَسُوا﴾ في الآية معناه تركوا.

ويحتمل أن يكون تركهم القبول في منزلة من نسي، ولا يجوز أن يكون المراد النسيان الذي هو السهو، لأنه ليس من فعلهم، فلا يذمون عليه^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا

قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ الآية: ١٦٦.

قوله: ﴿خَاسِئِينَ﴾ معناه مبعدين، من قولهم خسأت الكلب إذا أقصيته فخسأ أي بُعد^(٣).

قال الحسن: معناه صاغرين، وقال: إن أهل المسخ يتناسلون، وقال ابن عباس: لا يتناسلون، وأجاز الزجاج كلا الأمرين، وقول ابن عباس أصح، لأن المعلوم أن القرد ليس من أولاد آدم، كما أن الكلاب ليست من أولاد آدم^(٤).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّرَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ

الْقِيَمَةِ مَن يَسُومُهُمْ﴾ الآية: ١٦٧.

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. ما بين القوسين زيادة من المصدر يقتضيها السياق.

٤. قارن ٥: ٢٠.

قيل في معنى البعث ها هنا قولان: أحدهما الأمر والإطلاق. والآخر التخلية وإن وقع على وجه المعصية، كما قال تعالى: ﴿أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزًّا﴾^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ^٢ وَاللَّذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ^٣ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الآية: ١٦٩.

يقال للقرن الذي يجيئ في أثر قرن: خَلَفَ، والخلف ما أخلف عليك بدلاً مما أخذ منك، ويقال في هذا خلف أيضاً.

فأما ما أخلف عليك بدلاً مما ذهب منك، فهو بفتح اللام أفصح، وأكثر ما يجيئ في المدح بفتح اللام، وفي الذم بتسكينها، وقد يحرك في الذم ويسكن في المدح^(٣).

والدرس تكرور الشيء، يقال: درس الكتاب إذا كرّر قراءته، ودرس المنزل إذا تكرّر عليه مرور الأمطار والرياح حتى يمحي أثره^(٣).

١. قارن ٥: ٢٢، والآية في سورة مريم: ٨٣.

٢. قارن ٥: ٢٤.

٣. قارن ٥: ٢٦.

فصل

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ الآية: ١٧١.

معناه: رفعناه فوقهم حتى صار كأنه ظلّة^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ

ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية: ١٧٢.

اختلفوا في هذا الأخذ وفي هذا الاشهاد، فقال البلخي والرماني: أراد بذلك البالغين من بني آدم، وإخراجه إياهم ذرية قرناً بعد قرن، وعصراً بعد عصر، وإشهادهم إياهم على أنفسهم، تبليغه إياهم وإكماله عقولهم، وما نصب فيها من الأدلة الدالة بأنهم مصنوعون، وأنّ المصنوع لا بد له من صانع^(٢).

وبما أشهدهم مما يحدث فيهم من الزيادة والنقصان، والآلام والأمراض، الدال بجميع ذلك على أنّ لهم خالقاً رازقاً، تجب معرفته والقيام بشكره^(٣).

فأما ما روي من أنّ الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم وهم كالذر، فإنّ ذلك غير جائز، لأنّ الأطفال، فضلاً عنهم هو كالذر، لا حجة عليهم ولا يحسن خطابهم بما يتعلّق بالتكليف^(٤).

١. قارن ٥: ٢٨.

٢. قارن ٥: ٣٢.

٣. قارن ٥: ٣٣.

٤. قارن ٥: ٣٤.

ثم ان الآية تدل على خلاف ما قالوه، لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ فقال: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل من ظهره وقال: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ولم يقل ذريته.

ثم قال: ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ فأخبر أن هذه الذرية قد كان قبلهم آباء مبطلون وكانوا هم بعدهم^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ﴾ الآية: ١٧٦.

ضرب الله مثل التارك لآياته، والعاقل عنها بأخسّ مثل، في أخسّ أحواله، فشبهه بالكلب، لأن كل شيء يلهث فإنما يلهث في حال الاعياء والكلال إلا الكلب، فإنه يلهث في حال الراحة، وحال الصحة، وحال المرض، وحال الري، وحال العطش، وجميع الأحوال، فقال تعالى: إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال^(٢).

وقال الجبائي: إنما شبهه بالكلب، لأنه لما كفر بعد إيمانه صار يعادي المؤمنين ويؤذيهم، كما أن الكلب يؤذي الناس، طرده أو لم تطرده، فإنه لا يسلم من أذاه^(٣).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٥: ٤٠.

٣. نفس المصدر.

فصل

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّ^ط فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الآية: ١٧٨.

قال الجبائي: معنى الآية من يهديه الله إلى نيل الثواب، كما يهدي المؤمن إلى ذلك وإلى دخول الجنة، فهو المهتدي للإيمان والخير، لأن المهتدي هو المؤمن، فقد صار مهتدياً إلى الإيمان وإلى نيل الثواب، ومن يضلله الله عن الجنة وعن نيل ثوابها، عقوبة على كفره أو فسقه ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لأنهم خسروا الجنة ونعيمها^(١).

وقيل: معنى ذلك من حكم الله بهدايته فهو المهتدي، ومن حكم بضلاله فهو الخاسر الخائب^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ الآية: ١٧٩.

اللام في قوله: ﴿لِجَهَنَّمَ﴾ لام العاقبة، والمعنى أنهم لما كانوا يصيرون إليها بسوء اختيارهم وقبح أعمالهم، جاز أن يقال: إنه ذرأهم^(٣).

١. قارن ٥: ٤١.

٢. قارن ٥: ٤٢.

٣. نفس المصدر.

والذي يدل على أن ذلك جزاء على أعمالهم قوله: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ فأخبر عن ضلالهم الذي يصيرون به إلى النار^(١).

وهو مثل قوله: ﴿إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾^(٢) ومثله قوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(٣) وإثما التقطوه ليكون لهم قرعة عين، قال الشاعر:

وللموت تغذوا الوالدات سخالها كما لخراب الدهر تبنى المساكن^(٤)

وقال آخر:

وأم سمالك فلا تجزعي ففلموت ما تلد الوالدة^(٥)

ولا يجوز أن يكون معنى الآية: أن الله خلقهم لجهنم، وأراد منهم أن يفعلوا الكفر والمعاصي، فيدخلوا بها النار، لأن الله تعالى لا يريد القبيح، لأن

١. نفس المصدر.

٢. آل عمران: ١٧٨.

٣. القصص: ٨.

٤. البيت نسبته الصفدي في الوافي بالوفيات ١٥: ٦٩ لسابق البربري في ترجمته، وكذا في خزنة الأدب للبغدادي ٤: ١٦٤ ط افست دار صادر وغيرها من المصادر الأدبية.

٥. البيت وقع في شعر سمالك بن عمرو الباهلي، وهو أول من قال: لا أطلب أثراً بعد عين وهو جاهلي... لما خيّر بين أن يقتل هو أو أخوه مالك فقتلوه دون أخيه، من أبيات:

فأقسم لو قتلوا مالكاً لكنك لهم حية راصده
برأس سبيل على مرقب ويوماً على طرُق وارده
فأم سمالك فلا تجزعي ففلموت ما تلد الوالدة

ارادة القبيح قبيحة، ولأن مريد القبيح منقوص عند العقلاء، تعالى الله عن صفة النقص، ولأنه قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ الآية: ١٨٢.

يحتمل أن يكون المراد أنني سأفعل بهم ما يدرجون في الفسوق والضلال عنده، ويكون ذلك إخبار عن بقائهم على الكفر عند إملائه لهم^(٢).

فسمي ذلك استدراجاً، لأنهم عند البقاء كفروا وازدادوا كفراً ومعصية، وإن كان الله لم يرد منهم ذلك ولا بعثهم عليه، كما قال: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرُ﴾^(٣) وكما يقول القائل: أبطر فلان فلاناً بإنعامه عليه، ولقد أبطرته النعمة وأكفرته السلامة، وإن كان المنعم لا يريد ذلك، بل أراد أن يشكره عليها^(٤).

وأصل الاستدراج اغترار المستدرج من حيث يرى أن المستدرج محسن إليه حتى يورطه مكروهاً، والاستدراج أن يأتيه من مأمنه من حيث لا يعلم^(٥).

وأملني بمعنى أؤخر.

١. قارن ٥: ٤٤، والآية في سورة الذاريات: ٥٦.

٢. قارن ٥: ٤٩.

٣. قارن ٥: ٤٩، والآية في سورة فاطر: ٣٧.

٤. قارن ٥: ٤٩.

٥. قارن ٥: ٥٠.

ووجه الحكمة في أخذهم من حيث لا يعلمون أنه لو أعلمهم وقت ما يأخذهم وعرفهم ذلك لأمنوه قبل ذلك وكانوا مغررين بالقبيح قبله، تعويلاً على التوبة فيما بعد، وذلك لا يجوز عليه تعالى^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ الآية: ١٨٧.

قال الجبائي: وفي الآية دليل على بطلان قول الرافضة، من أن الأئمة معصومون منصوص عليهم واحداً بعد الآخر إلى يوم القيامة، لأن على هذا لا بد أن يعلم آخر الأئمة أن القيامة تقوم بعده ويزول التكليف عن الخلق، وذلك خلاف قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾^(٢).

وهذا الذي ذكره الجبائي باطل، لأنه لا يمتنع أن يكون آخر الأئمة يعلم أنه لا إمام بعده، وإن لم يعلم متى تقوم الساعة، لأنه لا يعلم متى يموت، فهو يجوز أن يكون موته عند قيام الساعة، إذا أردنا بذلك أنه وقت فناء الخلق^(٣).

وإن قلنا: إن الساعة عبارة عن وقت قيام الناس في الحشر فقد زالت الشبهة، لأنه إذا علم أنه يفنى الخلق بعده لا يعلم متى يحشر الخلق^(٤).

على أنه قد روي أن بعد موت آخر الأئمة يزول التكليف، لظهور

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٥: ٥٧.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

أشراط الساعة وتواتر أماراتها، نحو طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة وغير ذلك، ومع ذلك فلا يعلم وقت قيام الساعة^(١).

ولهذا قال الحسن وجماعة من المفسرين: بادروا بالتوبة قبل ظهور الست: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدابة، وغير ذلك مما قدمناه، فعلى هذا سقط السؤال^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَاحِبًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الآية: ١٨٩ - ١٩٠.

اختلفوا في الكناية إلى من ترجع في قوله: ﴿جَعَلَا﴾.

فقال قوم: هي راجعة إلى الذكور والأنثى من أولادهما، أو إلى جنسين ممن أشرك من نسلهما، وإن كانت الأدلة تتعلق بهما^(٣).

ويكون تقدير الكلام: فلما أتى الله آدم وحواء الولد الصالح الذي تمناه وطلبناه، جعل كفار أولادهما ذلك مضافاً إلى غير الله، ويقوي ذلك

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٥: ٦٢.

قوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فلو كان الكناية عن آدم وحواء لقال: عَمَّا يشركان^(١).

وإنما أراد تعالى الله عَمَّا يشرك هذان النوعان أو الجنسَان، وجمعه على المعنى.

وقد ينتقل الفصيح من خطاب مخاطب إلى خطاب غيره ومن كناية إلى غيرها^(٢)، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فانصرف من مخاطبة الرسول إلى مخاطبة المرسل، ثم قال: ﴿وَتَعَزَّزُوا وَتُوقِرُوا﴾ يعني الرسول، ثم قال: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ يعني الله تعالى^(٣)، قال الهذلي:
يا لهف نفسي كان جدّة خالد وبياض وجهك للتراب الأعفر^(٤)

ولم يقل وبياض وجهه، وقال كثير:

أسيئي بنا أو أحسنني لا ملومة لدنيا ولا مقلية ان تقلت^(٥)
وقال الآخر:

فدى لك ناقتي وجميع أهلي ومالي إنّه منه أتاني^(٦)
ولم يقل منك أتاني.

١. قارن ٥: ٦٢.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٥: ٦٢، والآية في سورة الفتح: ٨ - ٩.

٤. البيت لأبي كبير الهذلي من قصيدة في ديوان الهذليين ٢: ١٠١ ط مصر سنة ١٣٨٥.

٥. البيت لكثير عزة من قصيدة ذكرها ابن قتيبة في الشعر والشعراء: ٣٢٨ ط ليدن سنة ١٩٠٢.

٦. البيت في أمالي المرتضى ٢: ٢٣٤ غير منسوب، وكذا في تنزيه الأنبياء له.

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ

أَمْثَلُكُمْ^ط فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ الآية: ١٩٤.

إنما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ وهو يريد الأصنام، لأنها لما كانت عندهم معبودة تنفع وتضر، جاز أن يُكْنَى عنها بما يكنى عن الحي، كما قال في موضع آخر: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ﴾ ولم يقل فعله كبيرها فاسألوها^(١).

وقال: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ لما أضاف السجود إليهما جمعهما بالواو والنون التي تختص العقلاء^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ آهْدَىٰ لَا يَسْمَعُوا^ط

وَتَرْلَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ الآية: ١٩٨.

في الآية دلالة على أن النظر غير الرؤية، لأنه تعالى أثبت النظر ونفى الرؤية^(٣).

١. قارن ٥: ٦٨، والآية في سورة الأنبياء: ٦٣.

٢. قارن ٥: ٦٨، والآية في سورة يوسف: ٤.

٣. قارن ٥: ٧٣.

فصل

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا

لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ الآية: ٢٠٤.

اختلف المفسرون في الوقت الذي أمروا بالانصات والاستماع.

فقال قوم: أمروا حال كون المصلي في الصلاة خلف الإمام الذي يأتهم

به، وهو يسمع قراءة الإمام، فعليه أن ينصت ولا يقرأ ويتسمع لقراءته^(١).

ومنهم من قال: لأنهم كانوا يتكلمون في صلاتهم ويسلم بعضهم على

بعض، وإذا دخل داخل وهم في الصلاة قال لهم: كم صليتم فيخبرونه وكان

مباحاً فنسخ ذلك.

ذهب إليه عبد الله بن مسعود وأبو هريرة والزهري وعطاء وعبيد بن أبي عمير

ومجاهد وقتادة وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وإبراهيم وعامر

الشعبي وابن عباس وابن زيد، واختاره الجبائي^(٢).

وقال قوم: أمر بالانصات للإمام إذا قرأ القرآن في خطبته، روي ذلك عن

مجاهد^(٣).

وأقوى الأقوال الأول، لأنه لا حال يجب فيها الانصات لقراءة القرآن،

إلا حال قراءة الإمام في الصلاة، فإن على المأموم الانصات لذلك والاستماع له،

فأما خارج الصلاة فلا خلاف أنه لا يجب الانصات والاستماع^(٤).

١. قارن ٥: ٨٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٥: ٨١.

وقال الزجاج: يجوز أن يكون الأمر بالاستماع للقرآن للعمل بما فيه وأن لا يتجاوزه، كما تقول: سمع الله لمن حمده، بمعنى أجاب الله دعاءه، لأن الله سميع عليم.

والإنصات: السكوت مع الاستماع.

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ الآية: ٢٠٦.

بين الله تعالى أن الذين عنده وهم الملائكة، ومعناه: أنهم عنده بالمنزلة الجليلة لا بقرب المسافة، لأنه تعالى ليس في مكان ولا جهة، فيقرب غيره منه، لأن ذلك من صفات الأجسام^(١).



سورة الأنفال

فصل

قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ الآية: ١.

قال الزجاج: ﴿ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ معناه حقيقة وصلكم، والبين: الوصل، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ أي وصلكم^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ الآية: ٧ - ٨.

معناه: أن الله يريد أن يظهر محمداً ﷺ ومن معه على الحق ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ أي يبطل ما جاء به المشركون^(٢).

وفي الآية دلالة على أن الله لا يريد الباطل ولا يريد إبطال الحق، بخلاف ما يقوله المجبرة: من أن كل ما في الأرض من باطل وسفه وفسق فإن الله يريد، لأن ذلك خلاف الآية^(٣).

١. قارن ٥: ٨٩، والآية في سورة الأنعام: ٩٤.

٢. قارن ٥: ٩٦.

٣. نفس المصدر.

فصل

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى﴾ الآية: ١٠.

الجعل على ضروب:

أولها: أن يكون بمعنى القلب، كقولك: جعلت الطين خزفاً، وبمعنى الحكم كقولك: جعله الحاكم فاسقاً^(١)، وبمعنى الظن، كقولك: جعلته كريماً بحسن ظني به^(٢).
وبمعنى الأمر، كقولك: جعله الله مسلماً بمعنى أمره بالإسلام^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ

مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ الآية: ١١.

الغشيان: لباس الشيء ما يتصل به، ومنه غشى الرجل امرأته، وكان النعاس قد لابسهم بمخالطته إياهم، والنعاس ابتداء حال النوم قبل الاستئقال فيه^(٤).
والأمنة: الدعة التي تنافي المخافة، تقول: أمن أمانة وأماناً وأمنة وانتصب أمنة بأنه مفعول له^(٥).

وقوله: ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ قال ابن عباس: معناه يذهب عنكم وسوسة الشيطان، بأنه غلبكم على الماء المشركون حتى تصلوا وأنتم مجنبين، لأن المسلمين باتوا ليلة بدر على غير ماء، فأصبحوا مجنبين،

١. قارن ٥: ١٠٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٥: ١٠٢.

٥. نفس المصدر.

فوسوس إليهم الشيطان فيقول: تزعمون أنكم على دين الله وأنتم على غير الماء تصلون مجنين، وعدوكم على الماء^(١).

فأرسل الله عليهم السماء فشربوا واغتسلوا، وأذهب به وسوسة الشيطان، وكانوا في رمل تغوص فيه الأقدام، فشدد المطر حتى ثبت عليه الرجال، فهو قوله: ﴿وَيَبَّتْ بِهِ الْأَقْدَامُ﴾^(٢).

والهاء في (به) راجعة إلى الماء^(٣).

وقال الجبائي: لأن الاحتلام وسوسة الشيطان^(٤).

فصل

قوله تعالى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ

بَنَانٍ﴾ الآية: ١٢.

قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: اضربوا الأعناق، ذهب إليه عطية.

وقال غيره: اضربوا أعلى الأعناق^(٥).

وقال قوم: اضربوا جلدة الأعناق^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٥: ١٠٣.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٥: ١٠٤.

٦. نفس المصدر.

فصل

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية: ١٣.

قال الزجاج: معناه جانبوا الله، أي صاروا في جانب غير جانب المؤمنين، ومثله حاربوا الله^(١).

والشقاق أصله الانفصال، من قولهم انشقق انشقاقاً، وشقه شقاً، واشتق القوم إذا مرّ بينهم، وشاقه شقاقاً إذا صار في شقّ عدوّه عليه^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا

رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾ الآية: ١٧.

نفى الله تعالى أن يكون المؤمنون قتلوا المشركين يوم بدر، فقال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ وإنما نفى عمّن هو فعله على الحقيقة ونسبه إلى نفسه، وليس بفعل له من حيث كانت أفعاله تعالى، كالسبب لهذا الفعل والمؤدي إليه، من اقداره إياهم ومعونته لهم، وتشجيع قلوبهم فيه، وإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم المشركين، حتى خذلوا وقُتلوا على شرّهم عقاباً لهم^(٣).

وقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ مثل الأول في أنه نفى الرمي عن النبي ﷺ وإن كان هو الرامي، وأضافه إلى نفسه من حيث كان بلطفه واقداره^(٤).

١. قارن ٥: ١٠٥.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٥: ١١٠.

٤. نفس المصدر.

وهذه الرمية ذكر جماعة من المفسرين، كابن عباس وغيره أن النبي ﷺ أخذ كفاً من الحصباء فرماها في وجوههم، وقال: شأهت الوجوه^(١). وقال بعضهم: أراد بذلك رمي النبي ﷺ أبي بن أبي خلف الجمحي يوم أحد فأصابه فقتله^(٢).

وقال آخرون: أراد بذلك رمية سهمه يوم خيبر، فأصاب ابن أبي الحقيق في فراشه فقتله^(٣)، والأول أشهر الأقوال^(٤).

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ الآية: ٢٢.

الدواب جمع دابة، وهي ما دب على وجه الأرض، إلا أنه تخصص في العرف بالخيول^(٥).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ

وَقَلْبِهِ﴾ الآية: ٢٤.

قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يفرق بين المرء وقلبه بالموت أو الجنون وزوال العقل، فلا يمكنه استدراك ما فات^(٦).

١. أخرج ذلك مسلم في الجهاد، والدارمي في السير، وأحمد في مسنده ١: ٣٠٨ و ٣٦٨ و ٥: ٢٨٦ و ٣١٠.

٢. قارن ٥: ١١١.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٥: ١١٧.

٦. قارن ٥: ١١٩.

الثاني: أن معناه بادروا بالتوبة، لأنه أقرب إلى المرء من حبل الوريد، لا يخفى عليه خافية من سرّه وعلايته^(١).

الثالث: بتبديل قلبه من حال إلى حال، لأنه مقلّب القلوب من حال الأمن إلى حال الخوف^(٢).

فأما من قال من المجبرة أن المراد أن الله يحول بين المرء والإيمان بعد أمره إياه فباطل^(٣).

لأنه تعالى لا يجوز أن يأمر أحداً بما يمنعه منه، ويحول بينه وبينه، لأن ذلك غاية السفه، تعالى الله عن ذلك^(٤).

وأيضاً فلا أحد من الأمة يقول: إن الإيمان مستحيل من الكافر، فإنهم إن قالوا: إنه لا يقدر على الإيمان، يقولون: يجوز منه الإيمان ويتوقع منه ذلك، ومن ارتكب ذلك فقد خرج من الإجماع^(٥).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ الآية: ٢٥.

معنى ذلك أنها تعم، لأن الهرج إذا وقع دخل ضرره على كل أحد، ويجوز أن يقال: يخصّ الظالم، ولا يعتدّ بما وقع بغيره، للعوض الذي يصل

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٥: ١٢٠.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

إليه^(١)، ويحتمل أن يكون أراد أن هذه العقوبة على فتنكم ليس يخص الظالمين منكم، بل كل ظالم منكم كان أو من غيركم^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوَ لَكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ الآية: ٢٨.

الولد حيوان يتكون من حيوان بخلق الله له، فعلى هذا لم يكن آدم ولداً، وكان عيسى ولد مريم^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ سَجَعَلْ

لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ الآية: ٢٩.

قيل في معنى الفرقان أقوال:

أحدها: قال ابن زيد وابن اسحاق: يجعل هداية في قلوبكم، تفرقون بها بين الحق والباطل^(٤).

وقال مجاهد: يجعل لكم مخرجاً في الدنيا والآخرة^(٥).

وقال السدي: يجعل لكم نجاة^(٦)، وقال الفراء: يجعل لكم فتحاً ونصراً

كقوله: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾^(٧).

١. قارن ٥: ١٢١.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٥: ١٢٦.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٥: ١٢٧.

٦. نفس المصدر.

٧. قارن ٥: ١٢٧، والآية في سورة الأنفال: ٤١.

فصل

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ

يَقْتُلُوكَ﴾ الآية: ٣٠.

المكر: القتل إلى جهة الشر في خفي، وأصله الالتفات من قول ذي الرمة:

عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح وتم الجسم والقصب^(١)

أي: ملتفة، والمكر والختل نظائر.

وقوله: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: ليثبتوك في الوثاق، في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة.

والثاني: قال أبو علي الجبائي: معناه ليخرجوك، يقال: أثبتته في الحرب

إذا جرحه جراحة مثقلة^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ الآية: ٣٢.

كل شيء من العذاب يقال: أمطرت، ومن الرحمة يقال: مطرت^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا

كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ الآية: ٣٣.

١. البيت من قصيدته البائية الطويلة التي ثبّت على ١٢٠ بيتاً والشاهد هو البيت ١٣ كما في ديوانه: ٢٨

ط مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٩٢.

٢. قارن ٥: ١٢٨.

٣. قارن ٥: ١٣١.

إنما لم يعاقب الله تعالى الخلق مع كون النبي ﷺ بينهم على سلامته مما ينزل بهم، لأنه تعالى أرسله رحمة للعالمين، وذلك يقتضي أن لا يعذبهم وهو فيهم^(١).

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قيل في معناه أقوال:

أحدها: أن النبي ﷺ لما خرج من مكة بقي فيها بقية من المؤمنين يستغفرون، وهو قول ابن عباس وعطية وأبي مالك والضحاك واختاره الجبائي^(٢). وقال آخرون: أراد بذلك لا يعذبهم بعذاب الاستئصال في الدنيا وهم يقولون: يا رب غفرانك^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ

عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآية: ٣٤.

فإن قيل: كيف تجمعون بين الآيتين على قول من لا ينسخ الأولى؟ فإن في الأولى نفى أن يعذبهم وهم يستغفرون، وفي الثانية أثبت ذلك؟^(٤) قلنا عنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن يكون أراد وما لهم ألا يعذبهم الله في الآخرة.

والثاني: أن يكون يعني بالأول عذاب الاستئصال كما فعل بالأمم الماضية، وبالثانية أراد عذاب السيف والأسر وغير ذلك.

١. قارن ٥: ١٣٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٥: ١٣٤.

ويكون قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي أنهم لا يعذبهم بعذاب دنیا ولا آخرة إذا تابوا واستغفروا^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾ الآية: ٣٥.

قال ابن عباس، وابن عمر، والحسن، وعطية، ومجاهد، وقتادة، والسدي: المكاء الصغير، والتصدية التصفيق^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الآية: ٤١.

خمس الغنمة يقسم عندنا ستة أقسام: فسهم لله وسهم رسوله للنبي.

وهذان السهمان مع سهم ذي القربى، للقائم مقام النبي ﷺ ينفقها على نفسه وأهل بيته من بني هاشم، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل من أهل بيت الرسول لا يشركهم فيها باقي الناس، لأن الله تعالى عوضهم ذلك عما أباح لفقراء المسلمين ومساكينهم وأبناء سبيلهم من الصدقات، إذ كانت

١. قارن ٥: ١٣٥.

٢. قارن ٥: ١٣٦.

الصدقات محرمة على أهل بيت الرسول ﷺ، وهو قول علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ومحمد بن علي الباقر ابنه ﷺ، رواه الطبري بإسناده عنهما^(١).

والذين يستحقون الخمس عندنا من كان من ولد عبد المطلب، لأن هاشماً لم يعقب إلا منه من الطالبين والعباسيين والحارثيين واللهميين.

فأما ولد عبد مناف من المطلبين فلا شيء لهم فيه^(٢).

وعند أصحابنا الخمس يجب في كل فائدة تحصل للإنسان من المكاسب، وأرباح التجارات، والكنوز، والمعادن، والغوص، وغير ذلك مما ذكرناه في كتب الفقه^(٣).

ويمكن الاستدلال على ذلك بهذه الآية، لأن جميع ذلك يسمى غنمة^(٤)، وأجمعوا على أن سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل شائع في الناس بخلاف ما قلناه^(٥).

واليتيم من مات أبوه، وهو صغير قبل البلوغ، وكل حيوان يتيم من قبل أمه إلا ابن آدم، فإنه من قبل أبيه^(٦).

ومعنى: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ يوم بدر، وسمي يوم الفرقان لأنه تميّز أهل الحق مع قلة عددهم من المشركين مع كثرة عددهم بنصر الله المؤمنين^(٧).

١. قارن ٥ : ١٤٣.

٢. قارن ٥ : ١٤٤.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٥ : ١٤٥.

٦. نفس المصدر.

٧. قارن ٥ : ١٤٦.

وقيل: كان يوم السابع عشر من شهر رمضان^(١).

وقيل: التاسع عشر سنة اثنتين من الهجرة، وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ

الْقُصْوَىٰ ۚ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي
الْمِيعَادِ ۚ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ
هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ
عَلِيمٌ﴾ الآية: ٤٢.

العدوة شفير الوادي^(٣)، ومنه قولهم: عدوتا الوادي وهما شفيراه
وجانباه^(٤)، والدنيا بمعنى الأدنى إلى المدينة^(٥).

والقصوى بمعنى الأقصى منها^(٦).

وقوله: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ معناه ليهلك
من هلك عن قيام حجة عليه، بما رأى من المعجزات الباهرات للنبي عليه السلام في
حروبه وغيرها^(٧).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٥: ١٤٧.

٤. قارن ٥: ١٤٨.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. قارن ٥: ١٤٩.

﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيٍّ عَنْ يَتْنَةٍ﴾ يعني ليستبصر من استبصر عن قيام حجة، فجعل الله المتبع للحق بمنزلة الحي، وجعل الضال بمنزلة الهالك.

فصل

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَّوْا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ الآية: ٤٦.

معناه كالمثل، أي أن لكم ريحاً تنصرون بها، يقال: ذهب ريح فلان، أي كان يجري في أمره على السعادة بريح تحمله إليها، فلما ذهب وقف أمره فهذه بلاغة حسنة^(١).

وقيل: المعنى ريح النصر التي يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله في قول قتادة وابن زيد^(٢).

وقيل: يذهب دولتكم، من قولهم: ذهب ريحه أي ذهب دولته، في قول أبي عبيدة وأبي علي^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَفَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ﴾ الآية: ٥٧^(٤).

قوله: ﴿فَفَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾ يحتمل معنيين:

١. قارن ٥: ١٥٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. ما بين القوسين لتكميل النقص من التبيان.

أحدهما: إذا أسرتهم فنكّل بهم تنكيلاً يشرّد غيرهم من ناقضي العهد، خوفاً منك، وهو قول الحسن وقتادة وسعيد بن جبير والسدي.
«الثاني: أفعّل بهم من القتل ما يفرّق من خلفهم في قول الزجاج»^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ الآية: ٥٨.

إن قيل: كيف جاز نبذ العهد ونقضه بالخوف من الخيانة؟^(٢).
قيل: إنّما فعل ذلك لظهور امارات الخيانة، التي دلّت على نقض العهد ولم تشتهر، ولو اشتهرت لم يجب النبذ، كما حارب رسول الله ﷺ أهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة النبي ﷺ.
فلما فعلوا ذلك فعلاً ظاهراً مشهوراً، أغنى ذلك عن نبذ العهد إليهم، ولو نقضوه على خفى، لم يكن بدّ من النبذ إليهم، لئلا ينسب إلى نقض العهد والغدر^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ الآية: ٦٠.

الاعداد اتخاذ الشيء لغيره، والاستطاعة معنى ينطاع بها الجوارح للفعل مع انتفاء المنع^(٤).

١. قارن ٥: ١٦٨، وما بين القوسين زيادة من المصدر يقتضيها السياق.

٢. قارن ٥: ١٧٠.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٥: ١٧٣.

وقوله: ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ أي مما تقوون به على عدوكم، وقيل: معناه ومن الرمي.

وقوله: ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ فالرباط شد أيسر من العقد، ربطه يربطه ربطاً ورباطاً، وارتبطه ارتباطاً ورباطة ومرابطة^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ هَآ﴾ الآية: ٦١.

السَّلْم بفتح السين واللام على ثلاثة أوجه، تقول: أخذت الأسير سلماً، أي على الاستسلام.

والسَّلْم السلف على السلامة، والسَّلْم شجر واحد سلمة تقول له بالسلامة^(٢).

وقوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾ معناه: إن مالوا إلى المسالمة تقول: جنح يجنح جنوحاً، وجنحت السفينة إذا مالت، ولا جناح عليه في كذا، أي لا ميل إلى مائمه^(٣).

فإن قيل: إذا جازت الهدنة مع الكفار، فهلاً جازت المكانة في أمر الإمامة حتى يجوز تسليمها إلى من لا يستحقها؟

قلنا: تسليم الإمامة إلى من لا يستحقها فساد في الدين، كفساد تسليم النبوة إلى مثله^(٤).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٥: ١٧٥.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٥: ١٧٥.

فصل

قوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ الآية: ٦٧.

العرض: متاع الدنيا، وسمّاها عرضاً لقلة لبثه، لأنه بمعنى العرض في اللغة^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً﴾ الآية: ٦٩.

الأكل: تناول الطعام بالفم مع المضغ والبلع، فمتى فعل الصائم هذا فقد أكل في الحقيقة^(٢).

والفرق بين الحلال والمباح: أن الحلال من حل العقد في التحريم، والمباح من التوسعة في الفعل، وإن اجتمعا في الحل والطيب المستلذ^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ

الْأَشْيَاءِ﴾ الآية: ٧٠.

يعني من حصل في وثاقه وسمّاه في يده، لأنه بمنزلة ما قبض على يده بالاستيلاء عليه، ولذلك يقال في الملك المتنازع فيه: لمن اليد؟^(٤)

١. قارن ٥: ١٨٢.

٢. قارن ٥: ١٨٦.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا

بِأَمْوَالِهِمْ﴾ الآية: ٧٢.

الهجرة: فراق الوطن إلى غيره من البلاد، فراراً من المفتنين في الدين،
لأنهم هجروا دار الكفر إلى دار الإسلام^(١).

والجهاد: تحمّل المشاق في قتال أعداء الدين^(٢).

والايواء ضم الإنسان صاحبه إليه بانزاله عنده وتقريبه^(٣).

واختلفوا في هل تصح الهجرة في هذا الزمان أو لا ؟

فقال قوم: لا تصح، لأن النبي ﷺ قال: «لا هجرة بعد الفتح»^(٤) ولأن
الهجرة الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام على هجر الأوطان، وليس يقع مثل
هذا في هذا الزمان لاتساع بلاد الإسلام، إلا أن يكون نادراً لا يعتد به^(٥).

وقال الحسن: بقيت هجرة الأعراب إلى الأمصار إلى يوم القيامة^(٦).

والأقوى أن يكون حكم الهجرة باقياً، لأن من أسلم في دار الحرب ثم
هاجر إلى دار الإسلام كان مهاجراً^(٧).

١. قارن ٥: ١٨٩.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. الحديث في كثير من مصادر التفسير والحديث والتاريخ، وحسبك مراجعة المعجم المفهرس

لألفاظ الحديث النبوي ٧: ٦٧.

٥. قارن ٥: ١٩١.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

فصل

قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ

اللَّهِ﴾ الآية: ٧٥.

قيل في معنى: ﴿كِتَابِ اللَّهِ﴾ قولان:

أحدهما: في كتاب الله من اللوح المحفوظ، كما قال: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾.

والثاني: قال الزجاج: يعني في حكم الله^(١).

ومعنى ﴿أُولُوا﴾ ذووا وواحد ذو، ولا واحد له من لفظه.

وفي الآية دلالة على أن من كان قريبا أقرب إلى الميت كان أولى بالميراث، سواء كان عصة أو لم يكن، أو له تسمية أو لم يكن، لأنه مع كونه أقرب تبطل التسمية^(٢).

ومن وافقنا في توريث ذوي الأرحام يستثني العصة وذوي السهام^(٣).



١. قارن ٥: ١٩٢، والآية في سورة الحديد: ٢٢.

٢. قارن ٥: ١٩٢.

٣. قارن ٥: ١٩٣.

سورة براءة

فصل

قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية: ١.

قيل في علّة ترك افتتاح هذه السورة بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) قولان: أحدهما: ما روي عن أبي بن كعب أنّه قال: ضُمّت هذه السورة إلى الأنفال بالمقاربة، فكانت كسورة واحدة، لأنّ الأولى في ذكر العهود، والأخرى في رفع العهود^(١)، وقال عثمان: لاشتباه قضيتهما^(٢).

١. قارن ٥: ١٩٥.

٢. أخرج أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم وابن المنذر وابن أبي داود وابن الأنباري معاً في المصاحف والنحاس في ناسخه وأبو نعيم في المعرفة وابن مردويه وغيرهم عن ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المثين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتوهما في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: إن رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان تنزل عليه السور ذوات العدد، وكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أول ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنّها منها... فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتهما في السبع الطوال. قال الطبري في تفسير ١: ١٠٢ ط محققة: فهذا الخبر ينسب عن عثمان بن عفان أنّه لم يكن يبيّن له أنّ الأنفال وبراءة من السبع الطوال، ويصرّح عن ابن عباس أنّه لم يكن يرى ذلك منها.

(أقول): وهذا ينسف مقولة أنّ عثمان جمع القرآن، بل كان القرآن مجموعاً على عهد رسول الله ﷺ، ولزيادة الإيضاح راجع ما قاله السيوطي في الاتقان ١: ٦٢ النوع ١٨ ط حجازي بالقاهرة سنة ١٣٦٨ هـ.

الثاني: قال المبرد: لأنَّ بسم الله الرحمن الرحيم أمان، وبراءة نزلت برفع الأمان، ومعنى البراءة انقطاع العصمة برئ براءة^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ الآية: ٢.

ومعنى الأشهر الحرم: المحرم وحده، وإنما جمعه لأنه متصل بذى الحجة وذى القعدة، فكأنه قال: فإذا انقضت الثلاثة أشهر، وقال أبو عبد الله: أول الأربعة الأشهر يوم النحر وآخرها العاشر من شهر ربيع الآخر، وهو قول محمد بن كعب القرظي ومجاهد^(٢).

وقرأ براءة على الناس يوم النحر بمكة علي بن أبي طالب عليه السلام لأنَّ أبا بكر كان على الموسم في تلك السنة، فأتبعه النبي عليه السلام بعلي، وقال: «لا يبلغ عني إلا رجل مني» في قول الحسن وقتادة ومجاهد والجبائي^(٣).

وروى أصحابنا أنَّ النبي عليه السلام كان ولاه أيضاً الموسم، وأنه حين أخذ براءة من أبي بكر رجع أبو بكر فقال: يا رسول الله أنزل في قرآن؟ فقال: «لا ولكن لا يؤذي عني إلا أنا أو رجل مني»^(٤).

١. قارن ٥: ١٩٦.

٢. قارن ٥: ١٩٧.

٣. قارن ٥: ١٩٨.

٤. قارن ٥: ١٩٨ وأما عن تبليغ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام آيات سورة براءة فالمصادر كثيرة ولقد ذكرت منها في (علي إمام البررة) ٨٢ مصدراً، وهناك أيضاً تفصيل ذلك ورجوع أبي بكر إلى النبي ﷺ وقال: هل نزل في شيء، قال: لا ولكني أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي، ولا يؤذي عني إلا أنا ورجل مني، علي مني وأنا من علي، ولا يؤذي عني إلا أنا أو علي، رواه من الصحابة أكثر من عشرة، ولم يسلم ممن دسَّ أنفه معهم ممن لم يكن من شهوده، فمن أراد التفصيل فليراجع كتابنا (علي إمام البررة ١: ١٨٩ - ٢٠٣ ط دار الهادي بيروت).

فصل

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا آنَسَلَآَ الْأَشْهُرُ الْحَرَامُ﴾ الآية: هـ.

قيل في الأشهر الحرم قولان:

أحدهما: رءب، وذو القعدة، وذو الحءة، والمحرّم.

والثاني: الأشهر الأربعة التي ءعل الله لهم أن يسيحوا فيها آمنين، وهي عشرون من ذي الحءة والمحرّم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر، في قول الحسن والسدي وغيرهما.

فصل

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْءِدِ الْحَرَامِ﴾

الآية: ٧.

المسءد الموضع المهيئ لصلاة الجماعة، والمراد ها هنا مسءد مكة خاصة وأصله موضع السءود، كالمءلس موضع الءلوس.

و ﴿الْحَرَامِ﴾ المحظور بعض أحواله، فالخمر حرام لحظر شربها وسائر أنواع التصرف فيها، والأم حرام لحظر نكاحها، والمسءد الحرام لحظر صيده وسفك الدم به وابتذاله بما يبتذل به غيره.

فصل

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ﴾

الآية: ١١.

التوبة هي الندم على القبيح لقبحه، مع العزم على ترك العود إلى مثله في القبح، وفي الناس من قال إلى مثله في صفته، فمن قال ذلك قال: توبة المجبوب من الزنا هي الندم على الزنا مع العزم على ترك المعاودة إلى مثله ما يصح، ويجوز من الامكان، وهو أنه لو رد الله ﷻ عضوه ما زنى.

فصل

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَبِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ الآية: ١٢.

فإن قيل: كيف نفى فقال: ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ وقد أثبتا في أول الآية بقوله: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ ؟^(١)

قلنا: اليمين التي أثبتها، هي ما حلفوا بها وعقدوا عليها، وما نفى إنما أراد به أنهم لا أيمان لهم يفون بها ويتمسكون بموجبها^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿أَمَرَ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا﴾ الآية: ١٦.

المعنى: ظننتم أن تتركوا، فالظن والحسبان نظائر، والحسبان قوة المعنى في النفس من غير قطع، وهو مشتق من الحساب، لدخوله فيما يحسب به^(٣).

١. قارن ٥: ٢١٢.

٢. قارن ٥: ٢١٣.

٣. قارن ٥: ٢١٨.

ومعنى الترك هو ضد ينافي الفعل المبتدأ في محل القدرة عليه،
ويستعمل بمعنى «ألا يفعل» كقوله: «وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ»^(١).

والوليعة والدخيلة والبطانة نظائر، وكل شيء دخل في شيء ليس منه
فهو وليعة^(٢)، وفي الآية دلالة على أنه لا يجوز أن يتخذ من الفساق وليعة، لأن
في ذلك تأليفاً بالفسق، يجري مجرى الدعاء إليه، مع أن الواجب معادة الفساق
والبراءة منهم، ومع ذلك فهو غير مأمون على الأسرار والاطلاع عليها^(٣).

فصل

قوله تعالى: «مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ»

الآية: ١٧.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (مسجد) على التوحيد، الباقون على الجمع.
ويحتمل أن يكون أراد المساجد كلها، لأن لفظ الجنس يدل على القليل
والكثير، ومن قرأ على الجمع يحتمل أن يكون أراد جميع المساجد^(٤).

ويحتمل أن يكون أراد المسجد الحرام، وإنما جمع لأن كل موضع منه
مسجد يسجد عليه^(٥).

والأصل في المسجد هو موضع السجود، وفي العرف يعبر به عن البيت
المهيئ لصلاة الجماعة فيه^(٦).

١. قارن ٥: ٢١٨، والآية في سورة البقرة: ١٧.

٢. قارن ٥: ٢١٩.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٥: ٢٢٠.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ الآية: ١٨.

يدخل في عمارة المساجد عمارتها بالصلاة فيها، والذكر لله، والعبادة له، لأن تجديد أحوال الطاعة لله من أوكد الأسباب التي تكون بها عامرة، كما أن إهمالها من أوكد الأسباب في إخراجها^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿أَجْعَلُكُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية: ١٩.

خاطب الله تعالى بهذه الآية قوماً، جعلوا القيام بسقي الحجيج وعمارة المسجد الحرام من الكفار مع مقامهم على الكفر مساوياً أو أفضل من إيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله، فأخبر تعالى أنهما لا يستويان عند الله في الفضل^(٢). والسقاية: آلة تتخذ لسقي الماء، وقيل: كانوا يسقون الحجيج الماء والشراب^(٣).

وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أن الآية نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام والعباس عليه السلام^(٤).

١. قارن ٥: ٢٢٢.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٥: ٢٢٣.

٤. قارن ٥: ٢٢٣، والخبر أخرجه الحافظ الحسكاني في شراهد التنزيل ١: ٢٤٤ بعدة أسانيد، وفي الهامش ورد ذكر عدة مصادر بينها الدر المنثور للسيوطي و مناقب ابن المغازلي وفي غاية المرام مصادر أخرى فراجع.

وروى الطبري باسناده عن ابن عباس أنها نزلت في العباس حين قال يوم بدر: إن سبقتمونا إلى الإسلام والهجرة لم تسبقونا إلى سقاية الحاج وسدنة البيت، فأنزل الله الآية.

فصل

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ

اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ۖ﴾ الآية: ٢٠.

فإن قيل: كيف قال: ﴿أَكْظَمُ دَرَجَةً﴾ من الكفار بالسقاية والسدانة ؟

قلنا: على ما روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وابن عباس وغيرهم^(١) لا يتوجه السؤال، لأن المفاضلة جرت بينهم، لأن لجميعهم الفضل عند الله، ومن لا يقول بذلك يجيب عنه بجوابين^(٢):

أحدهما: أنه على تقدير أن لهم بذلك منزلة كما قال: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ هذا قول الحسن وأبي علي^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ الآية: ٢٢.

الأبد الزمان المستقبل من غير آخر، كما أن (قط) للماضي، تقول: ما رأيته قط ولا أراه أبداً^(٤).

١. قارن ٥: ٢٢٤.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٥: ٢٢٥، والآية في سورة الفرقان: ٢٤.

٤. قارن ٥: ٢٢٦.

وجمع الأبد آباد وأبود، وتأبد المنزل إذا أقفر وأتى عليه الأبد،
والأوابد الوحوش سميت بذلك لطول أعمارها وبقاءها، وقيل: لم يمت وحشي
حتف أنفه وإنما يموت بآفة. والأبد قطعة من الزمان متتابعة في اللغة، قال
الحر بن البغيث^(١):

أتى أبد من دون حدثان عهدا وجرت عليها كل نافجة شمل
ومن الدليل على أن الأبد قطعة من الدهر أنه ورد مجموعاً في كلامهم،
قالت صفية بنت عبد المطلب تخاطب ولدها الزبير:
وخالجت آباد الدهور عليكم وأسماء لم تشعر بذلك أيم
فلو كان زير مشركاً لعذرته ولكن زيراً يزعم الناس مسلم^(٢)

فصل

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ
وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ الآية: ٢٤.

أزواجكم جمع زوجة، وهي المرأة التي عقد عليها عقد نكاح صحيح،
لأن ملك اليمين والمعقود عليها عقد شبهة لا تسمى زوجة^(٣).

١. البيت من شعر البغيث كما في اللسان وتاج العروس (شمل) وقبله:

أهاج عليك الشوق إطلال دمنة بنا صفة البردين أو جانب الهجل

٢. لم أقف على من رواها لها ويبدو فيها عتب على ابنها لتقصيره في حقها وموقف زوجته أسماء
بنت أبي بكر منها.

٣. قارن ٥: ٢٢٩.

فصل

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾^١

الآية: ٢٥.

معنى: ﴿كَثِيرَةٍ﴾ روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنها كانت ثمانين موطناً^(١)، والكثرة عدة زائدة على غيرها، فهي كثيرة بالإضافة إلى ما دونها.

فصل

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾^٢

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الآية: ٢٧.

إنما علق قبول التوبة بالمشيئة، لأن قبول التوبة واسقاط العقاب عندنا تفضل عندنا، ولو كان ذلك واجباً لما جاز تعليق ذلك بالمشيئة، كما لم يعلق الثواب على الطاعة والعوض على الألم في موضع بالمشيئة^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ الآية: ٢٨.

كل شيء مستقذر في اللغة يسمى نجساً، فإذا استعملت هذه اللفظة مع الرجس قيل: رجس نجس بخفض الراء والنون، وإذا استعمل مفرداً قيل: نجس بفتح النون والجيـم معاً^(٣).

١. قارن ٥: ٢٣٠.

٢. قارن ٥: ٢٣٣.

٣. قارن ٥: ٢٣٤.

وقال عمر بن عبد العزيز: لا يجوز لهم دخول المسجد الحرام ولا يدخل أحد من اليهود والنصارى شيئاً من المساجد بحال، وهذا هو الذي نذهب إليه^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾

الآية: ٢٩.

إنما قيل ﴿عَنْ يَدٍ﴾ ليفارق حال الغصب على الأخذ^(٢).

وقال أبو علي: معناه يعطونها من أيديهم، يجيئون بها بنفوسهم لا ينوب فيها عنهم غيرهم إذا قدروا عليه، فيكون أذلّ لهم^(٣).

وقال قوم: معناه عن نقد كما يقال: باع يداً بيد.

وقال آخرون: عن يد لكم عليهم، ونعمة تسدون بها إليهم، بقبول الجزية منهم^(٤).

والجزية لا تؤخذ عندنا إلا من اليهود والنصارى والمجوس^(٥).

وأما غيرهم من الكفار على اختلاف مذاهبهم، فلا يقبل منهم غير الإسلام أو القتل والسي، وإنما كان كذلك، لما علم الله تعالى من المصلحة من إقرار هؤلاء على كفرهم، ومنع ذلك في غيرهم، لأن هؤلاء على كفرهم يقرون بالستهم بالتوحيد وبيع بعض الأنبياء، وإن لم يكونوا على الحقيقة عارفين، وأولئك يجحدون ذلك كله^(٦)، فلذلك فرق بينهما.

١. قارن ٥: ٢٣٥.

٢. قارن ٥: ٢٣٧.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٥: ٢٣٨.

فإن قيل: إعطاء الجزية منهم لا يخلو أن يكون طاعة أو معصية، فإن كان معصية فكيف أمر الله بها؟ وإن كان طاعة وجب أن يكونوا مطيعين لله. قلنا: إعطاؤهم الجزية ليس بمعصية، فأما كونها طاعة لله فليس كذلك، لأنهم إنما يعطونها دفعاً لقتل أنفسهم لا طاعة لله^(١). فإن الكافر لا يقع منه طاعة عندنا بحال، لأنه لو فعل طاعة لله لاستحق الثواب والاحباط باطل، فكان يجب أن يكون مستحقاً للثواب، وذلك خلاف الإجماع^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ الآية: ٣٠.

فإن قيل: كيف أخبر الله عن اليهود بأنهم يقولون: إن عزير ابن الله واليهود تنكر هذا؟

قلنا: إنما أخبر الله تعالى بذلك عنهم، لأن منهم من كان يذهب إليه^(٣). والدليل على ذلك أن اليهود في وقت ما أنزل الله القرآن سمعت هذه الآية فلم تنكرها، وهو كقول الخوارج تقول بتعذيب الأطفال وإنما يقول بذلك الأزارقة منهم خاصة^(٤).

فصل

قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ

دُونِ اللَّهِ﴾ الآية: ٣١.

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٥: ٢٣٩.

٤. نفس المصدر.

الأخبار جمع خبر، وهو العالم الذي صناعته تحيير المعاني بحسن البيان عنها، وقيل: خبر وجبر بفتح الحاء وكسرها^(١).

وروي عن النبي ﷺ أن معنى اتخاذهم إياهم أرباباً أنهم قبلوا منهم التحريم والتحليل بخلاف ما أمر الله، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله ﷺ، فسمى الله ذلك اتخاذهم إياهم أرباباً من حيث كان التحريم والتحليل لا يسوغ إلا لله تعالى، وهو قول أكثر المفسرين^(٢).

والآية تدلّ على أن المشرك مع الله في التحليل والتحريم على مخالفة أمر الله، كالمشرك في عبادة الله، لأنّ استحلال ما حرّم الله كفر بالإجماع وكل كافر مشرك^(٣).

ولا يلزم على ذلك قبول العامي من العالم، لأنّ العامي تعبد بالرجوع إلى العالم فيقبل منه ما أدى اجتهاده إليه وعلمه، فإذا قصد العالم وأفتاه بغير ما علمه، فهو المخطئ دون المستفتي.

وليس كذلك هؤلاء، لأنهم ما كانوا تعبدوا بالرجوع إلى الأخبار، والرجوع والقبول منهم، لأنهم لو كانوا تعبدوا بذلك لما ذمهم الله على ذلك^(٤).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ﴾ الآية: ٣٢.

١. قارن ٥: ٢٤١.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٥: ٢٤٢.

٤. نفس المصدر.

الاباء: الامتناع مما طلب من المعنى، قال الشاعر:

وان أرادوا ظلمنا أيننا

أي: منعناهم من الظلم، وليس الاباء من الكراهة في شيء على ما تقوله
المجبرة لأنهم يقولون: فلان يأبى الضيم فيمدحونه، ولا مدحة في كراهية
الضم، لتساوي الضعيف والقوي في ذلك، وإنما المدح في المنع منه، ولذلك
مدح عروة الورد بأنه أباي الضيم بمعنى أنه ممتنع منه^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا

يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية: ٣٤.

معناه: الذين يخبئون أموالهم من غير أن يخرجوا زكواتها، لأنهم لو
أخرجوا زكواتها وكنزوا ما بقي لهم يكونوا ملومين بلا خلاف، وهو قول ابن
عباس وجابر وابن عمر والحسن والسدي والجبائي وقال: هو إجماع^(٢).

وقوله: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾ إنما لم يقل ولا ينفقونها لأحد أمرين:

أحدها: أن تكون الكناية عائدة إلى مدلول عليه، وتقديره: ولا ينفقون
الكنوز أو الأموال^(٣).

والآخر: أن يكون اكتفى بأحدهما عن الآخر للإيجاز، ومثله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا
تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾^(٤) قال الشاعر:

١. قارن ٥: ٢٤٣.

٢. قارن ٥: ٢٤٥.

٣. قارن ٥: ٢٤٦.

٤. الجمعة: ١١.

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف^(١)

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ الآية: ٣٧.

قال أبو زيد: انسأته الدين إنساء إذا اخترته، واسم ذلك النسيسة والنساء، وكان النسيء في الشهور تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر ليست له تلك الحرمة، فيحرمون بهذا التأخير ما أحل الله، ويحلون ما حرم الله^(٢).

وكان النسيء المنهي عنه في الآية تأخير الأشهر الحرم عما رتبها الله، وكانوا في الجاهلية يعملون ذلك وكان الحج يقع في غير وقته، واعتقاد حرمة الشهر في غير أوانه، فبين تعالى أن ذلك زيادة في الكفر^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ آثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ

لِصَاحِبِهِ لَا تُخْزِنِ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا^ط فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ

وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ الآية: ٤٠.

قيل في من تعود الهاء إليه قولان:

أحدهما: قال الزجاج: إنها تعود على النبي ﷺ.

١. البيت لحسان كما في التبيان ٥: ٢٤٦.

٢. قارن ٥: ٢٥٢.

٣. قارن ٥: ٢٥٣.

والثاني: قال الجبائي: تعود على أبي بكر، لأنه كان الخائف واحتاج إلى الأمن، لا من قد وعدَ بالنصر فهو ساكن القلب^(١).

والأول أصح، لأن جميع الكنايات قبل هذا وبعده راجعة إلى النبي ﷺ، ألا ترى أن قوله: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ﴾ الهاء راجعة إلى النبي ﷺ بلا خلاف^(٢).

وقوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ فالهاء أيضاً راجعة إلى النبي ﷺ أيضاً^(٣).

وقوله: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ﴾ يعني النبي ﷺ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ يعني صاحب النبي ﷺ^(٤).

ثم قال: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ وقال بعده: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ﴾ يعني النبي ﷺ، فلا يليق أن يتخلل ذلك كله كناية عن غيره^(٥).

وليس في الآية ما يدل على فضل لأبي بكر، لأن قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ مجرد الاخبار أن النبي ﷺ خرج ومعه غيره.

وكذلك قوله: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ خبر عن كونهما فيه.

وقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ لا مدح فيه أيضاً، لأن تسمية الصاحب لا تفيد فضله^(٦)، ألا ترى أن الله تعالى قال في صفة المؤمن والكافر: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ

١. قارن ٥: ٢٥٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٥: ٢٥٨.

٦. قارن ٥: ٢٥٩.

وَهُوَ يَخَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ^(١) وقد تسمى البهيمة بأنها صاحب الإنسان،
كقول الشاعر:

وصاحبي بازل شمول^(٢)

وقد يقول الرجل المسلم لغيره: أرسل إليك صاحبي اليهودي، ولا يدلّ
ذلك على الفضل^(٣).

وقوله: ﴿لَا تَخْزَنَ﴾ إن لم يكن ذمّاً فليس بمدح، بل هو نهى محض عن
الخوف^(٤).

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ قيل: إن المراد به النبي ﷺ، ولو أريد به أبو بكر
معه لم يكن فيه فضيلة، لأنه يحتمل أن يكون ذلك على وجه التهديد، كما يقول
القاتل لغيره إذا رآه يفعل القبيح: لا تفعل إن الله معنا، يريد أن الله مطلع علينا عالم
بحالنا^(٥).

والسكينة قد بينّا أنها نزلت على النبي ﷺ، لما بيناه من أن التأييد بجنود
الملائكة كان يختصّ النبي ﷺ، فأين موضع الفضيلة للرجل لولا العناد، ولم
نذكر هذا للطعن على أبي بكر، بل بينّا أن الاستدلال بالآية على الفضل غير
صحيح^(٦).

١. الكهف: ٣٧.

٢. الشطر لم أقف على تمامه ولا على قائله.

٣. قارن ٥: ٢٥٩.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

فصل

قوله تعالى: ﴿وَسَيُخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الآية: ٤٢.

في الآية دلالة على أن الاستطاعة قبل الفعل، لأنهم لا يخلون من أحد أمرين: إما أن يكونوا مستطيعين من الخروج، وقادرين عليه ولم يخرجوا، أو لم يكونوا قادرين عليه، وإنما حلفوا أنهم لو قدروا في المستقبل لخرجوا. فإن كان الأول فقد ثبت أن القدرة قبل الفعل، وإن كان المراد الثاني فقد أكذبهم الله في ذلك، ويُنَّ أنه لو فعل لهم الاستطاعة لما خرجوا^(١).

وفي ذلك أيضاً تقدم القدرة على المقدور، وليس لهم أن يحملوا الاستطاعة على آلة السفر وعدة الجهاد، لأن ذلك ترك الظاهر من غير ضرورة، فإن حقيقة الاستطاعة القدرة، وإنما يشبه غيرها بها على ضرب من المجاز^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ الآية: ٤٣.

قال أبو علي: في الآية دلالة على أن النبي ﷺ كان وقع منه ذنب في هذا الاذن، قال: لأنه لا يجوز أن يقال: لم فعلت ما جعلت لك فعله؟ كما لا يجوز أن يقول: لم فعلت ما أمرتك بفعله؟^(٣)

١. قارن ٥: ٢٦٢.

٢. قارن ٥: ٢٦٣.

٣. نفس المصدر.

وهذا الذي ذكره غير صحيح، لأن قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ إنما هي كلمة عتب له ^١ لم يفعل ما كان الأولى به ألا يفعله، لأنه وإن كان له فعله من حيث لم يكن محظوراً، فإن الأولى ألا يفعله، كما يقول القائل لغيره إذا رآه يعاتب أخاً له: لم عاتبته وكلمته بما يشق عليه؟ وإن كان له معاتبته وكلامه بما يثقل عليه ^(١). وكيف يكون «ذلك» معصية؟ وقد قال الله في موضع آخر: ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَغْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ ^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ الآية: ٤٤.

أجاز الرماني الجهاد مع الفساق إذا عاونوا على حق في قتال الكفار، لأنهم مطيعون في ذلك الفعل، كما هم مطيعون في الصلاة والصيام وغير ذلك من شريعة الإسلام ^(٣).

والظاهر من مذهب أصحابنا: أنه لا يجوز ذلك إلا ما كان على وجه الدفع عن النفس وعن بيضة الإسلام ^(٤).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ الآية: ٤٩.

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٥: ٢٦٤، والآية في سورة النور: ٦٢.

٣. قارن ٥: ٢٦٥.

٤. نفس المصدر.

لا يدلّ ذلك على أنّها لا تحيط بغير الكفار من الفسّاق، ألا ترى أنّها تحيط بالزبانية والمتوكّنين للعذاب، فلا تعلّق للجوارح بذلك^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية: ٥٥.

قيل في معنى ذلك وجوه:

أحدها وهو ثالث الوجوه: قال الجبائي: تقديره إنّما يريد الله ليُعَذِّبَهُمْ في الحياة الدنيا عند تمكّن المؤمنين من أخذها وغنمها، فيتحسّرون عليها، ويكون ذلك جزاء على كفرهم نعم الله تعالى بها^(٢).

الرابع: قال البلخي والزجاج: إنّما معناه فلا تعجبك أموالهم وأولادهم، فإنّها وبال عليهم، لأنّ الله يعذبهم بها، أي بما يكلفهم من إنفاقها في الوجوه التي أمرهم بها، فتزهق أنفسهم لشدة ذلك عليهم^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ الآية: ٥٨.

اللمز: العيب على وجه المساترة.

١. قارن ٥: ٢٧١.

٢. قارن ٥: ٢٧٨.

٣. نفس المصدر.

والهمز: العيب بكسر العين وغمزها في قول الزجاج^(١).

والصدقات جمع صدقة، وهي العطية للفقير على وجه البر والصلة، والصدقة الواجبة في الأموال حرام على آل الرسول ﷺ كأنهم جعلوا في تقدير الأغنياء^(٢).

فأما البر على وجه التطوع، فهو مباح لهم^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ الآية: ٦٧.

معناه: تركوا أمر الله حتى صار بمنزلة المنسي بالسهو عنه، فجازاهم الله بأن صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته، وذكر ذلك لازدواج الكلام^(٤).

فصل

**قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ
وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ الآية: ٧٣.**

اختلفوا في كيفية جهاد الكفار والمنافقين، فقال ابن عباس: جهاد الكفار بالسيف، وجهاد المنافقين باللسان والوعظ والتخويف، وهو قول الجبائي^(٥).

١. قارن ٥: ٢٨١.

٢. قارن ٥: ٢٨٢.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٥: ٢٩٥.

٥. قارن ٥: ٣٠١.

وقال الحسن: جهاد الكفار بالسيف، وجهاد المنافقين بإقامة الحدود عليهم^(١).

وروي في قراءة أهل البيت جاهد الكفار بالمنافقين^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرُ هُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ هُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ هُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ الآية: ٨٠.

تعليق الاستغفار بالسبعين مرة، المراد به المبالغة لا العدد المخصوص، ويجري ذلك مجرى قول القائل: لو قلت لي ألف مرة ما قبلت، والمراد بذلك أنني لا أقبل وكذلك الآية المراد بها نفي الغفران جملة^(٣).

وما روي عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿والله لأزيدن على السبعين﴾ خبر واحد لا يلتفت إليه، ولأن في ذلك أن النبي استغفر للكفار، وذلك لا يجوز بالإجماع^(٤).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً﴾ الآية: ٨٦.

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٥: ٣١٠.

٤. نفس المصدر.

قال الرماني: السورة جملة من القرآن تشتمل على آيات قد أحاطت بها، كما يحيط سور القصر بما فيه، وسور الهر بقيته من الماء^(١).

والجهاد بالقتال دفعاً عن النفس معلوم حسنه عقلاً، لأنه مركز في العقل وجوب التحرر من المضار، وليس في العقل ما يدل على أنه يجب على الإنسان أن يمنع غيره من الظلم، وإنما يعلم ذلك سمعاً^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ الآية: ٩١.

الاحسان هو إيصال النفع إلى الغير، لينتفع به مع تعريه من وجوه القبح، ويصح أن يحسن الإنسان إلى نفسه ويحمد على ذلك، وهو إذا فعل الأفعال الجميلة التي يستحق بها المدح والثواب^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ الآية: ٩٧.

أخبر الله تعالى في هذه الآية أن الأعراب الجفاة الذين لا يعرفون الله تعالى ورسوله حق معرفتهما أشد كُفْراً وجحوداً لنعم الله، وأعظم نفاقاً من غيرهم^(٤).

وقيل: إنها نزلت في أعراب كانوا حول المدينة من أسد وغطفان، فكفرهم أشد، لأنهم أقسى وأجفى من أهل المدن، ولأنهم أبعد من سماع

١. قارن ٥: ٣١٨.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٥: ٣٢٢.

٤. قارن ٥: ٣٢٨.

التزليل، ومخالطة أهل العلم والفضل، وتقول: رجل عربي إذا كان من العرب وإن سكن البلاد، وأعرابي إذا كان ساكناً في البادية^(١).

وروي أن زيد بن صوحان كانت يده اليسرى قطعت يوم اليمامة، وكان قاعداً يوماً يروي الحديث وإلى جانبه أعرابي، فقال له: إن حديثك يعجبني وأن يدك تريبني، فقال زيد: إنها الشمال، فقال: والله ما أدري اليمين يقطعون أو الشمال، فقال زيد: صدق الله وقرأ ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا﴾ الآية^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ﴾ الآية: ٩٩.

القربة هي طلب الثواب والكرامة من الله تعالى بحسن الطاعة وهي تدني من رحمة الله^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا
صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ الآية: ١٠٢.

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٥: ٣٢٨.

٣. قارن ٥: ٣٣٠.

معناه: أنهم يفعلون أفعالاً جميلة، ويفعلون أفعالاً قبيحة سيئة فيجتمعان، وذلك يدل على بطلان القول بالإحباط، لأنه لو كان صحيحاً لكان أحدهما إذا طرأ على الآخر أبطله، فلا يجمعان، فكيف يكون خلطاً؟^(١)

وقوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ قال الحسن وكثير من المفسرين: ان ﴿عَسَى﴾ من الله واجبة^(٢).

وقال قوم: إنما قال: ﴿عَسَى﴾ حتى يكونوا على طمع واشفاق، فيكون ذلك أبعد في الاتكال على العفو وإهمال التوبة، والتقدير في قوله: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ أي بآخر سيئ^(٣).

ومثله قولهم: خلطت الماء واللبن، وقد يستعمل ذلك في الجمع من غير امتزاج، كقولهم: خلطت الدراهم والدنانير، وقال أهل اللغة: خلط في الخير مخففاً، وخلط في الشر مشدداً^(٤).

فصل

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ

عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ الآية: ١٠٤.

معناه: أنه يأخذها بتضمن الجزاء عليها، كما تؤخذ الهدية كذلك^(٥).

١. قارن ٥: ٣٣٥.

٢. قارن ٥: ٣٣٦.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٥: ٣٣٩.

قال أبو علي الجبائي: جعل الله أخذ النبي ﷺ والمؤمنين للصدقة أخذاً من الله على وجه التشبيه والمجاز من حيث كان بأمره ^(١).

وقد روي عن النبي ﷺ: (أَنَّ الصَّدَقَةَ قَدْ تَقَعُ فِي يَدِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَى يَدِ السَّائِلِ)، والمراد بذلك أنها تنزل هذا التنزيل، ترغيباً للعباد في فعلها، وذلك يرجع إلى تضمن الجزاء عليها ^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ الآية: ١٠٥.

روي في الخبر أن أعمال العباد تعرض على النبي ﷺ في كل اثنين وخميس فيعلمها ^(٣)، وكذلك تعرض على الأئمة عليهم السلام فيعرفونها، وهم المعنيون بقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ^(٤).

وإنما قال: ﴿سَيَرَى اللَّهُ﴾ على وجه الاستقبال، وهو عالم بالأشياء قبل وجودها، لأن المراد بذلك أنه سيعلمها موجودة بعد أن علمها معدومة، وكونه عالماً بأنها ستوجد هو كونه عالماً بوجودها إذا وجدت لا يُجدد حال له بذلك ^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٥: ٣٣٩ والحديث بمضمونه عدة أحاديث في الوسائل باب ٢٩ من أبواب الصدقة ٩: ٤٣٣ ط المؤسسة.

٣. قارن ٥: ٣٤٠.

٤. قارن ٥: ٣٣٥.

٥. قارن ٥: ٣٤١.

فصل

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُوتَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ

وإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ الآية: ١٠٦.

لفظة: ﴿إِمَّا﴾ لوقوع أحد الشينين، والله عالم بما يصير إليه أمرهم، إلا أن هذا للعباد خوطبوا بما يعملون، والمعنى وليكن أمرهم عندكم على هذا، أي: على الخوف والرجاء^(١).

و الآية تدلّ على صحّة قولنا في جواز العفو عن العصاة، لأنّه تعالى بيّن أنّ قوماً من هؤلاء العصاة أمرهم مرجىّ إلى الله، إن شاء عذبهم وإن شاء قبل توبتهم، فعفا عنهم^(٢).

فلو كان سقوط العقاب عند التوبة واجباً، لما جاز تعليق ذلك بالمشيئة على وجه التخيير، لأنهم إن تابوا وجب قبول توبتهم عند الخصم وإسقاط العقاب عنهم.

وإن أصروا ولم يتوبوا فلا يعفى عنهم، فلا معنى للتخيير على قولهم^(٣).

وإنما يصحّ ذلك على ما نقوله: من أنّ مع حصول التوبة تحسن المؤاخذه، فإن عفا بفضله، وإن عاقب فبعده^(٤).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

فصل

قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى

الْتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ۚ﴾ الآية: ١٠٨.

قال ابن عباس والحسن وعطية: أنه مسجد قبا^(١).

وقال ابن عمر وابن المسيب: مسجد المدينة^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾

الآية: ١١١.

حقيقة الاشتراء لا تجوز على الله تعالى، لأن المشتري إنما يشتري ما لا يملك والله تعالى مالك للأشياء كلها، وإنما هو كقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أنه أجرى بحسن المعاملة والتلفظ في الدعاء إلى الطاعة مجرى ما لا يملكه المعامل فيه^(٣).

ولما كان الله تعالى رغب في الجهاد وقتال الأعداء وضمن على ذلك الثواب عبّر عن ذلك بالاشتراء، فجعل الثواب ثمناً والطاعات مثمناً على ضرب من المجاز^(٤).

١. قارن ٥: ٣٤٥.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٥: ٣٥٢، والآية في سورة البقرة: ٢٤٥.

٤. قارن ٥: ٣٥٢.

فصل

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾ الآية: ١١٢.

السائحون الصائمون، وقال المؤرج: السائحون الصائمون بلغة هذيل،
والأول قول قتادة^(١).

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «سياحة أمتي الصوم» وهو قول ابن مسعود
وابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ الآية: ١١٤.

بين الوجه في استغفار إبراهيم لأبيه مع أنه كان كافراً، سواء كان أباه
الذي ولده أو جدّه لأمه أو عمّه على ما يقوله أصحابنا^(٣).

قيل في معنى الموعدة التي كانت عليه في حسن الاستغفار قولان:

أحدهما: أن الموعدة كانت من أبي إبراهيم لإبراهيم أنه يؤمن إن استغفر
له، فاستغفر له لذلك وطلب له الغفران بشرط أن يؤمن، فلما تبين بعد ذلك أنه
عدو لله تبرأ منه^(٤).

١. قارن ٥: ٣٥٤.

٢. قارن ٥: ٣٥٤، والحديث فقرة من حديث طويل في جملة من التفاسير منها تفسير الثعلبي ٤: ١٠١.

٣. قارن ٥: ٣٥٦.

٤. نفس المصدر.

والثاني: أن الوعد كان من إبراهيم بالاستغفار ما دام يطمع منه بالإيمان^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ الآية: ١١٨.

فإن قيل: ما معنى التوبة عليهم واللائمة لهم وهم قد خلفوا، فهلاً عذروا؟
 قيل: ليس المعنى أنهم أمروا بالتخلف، أو رضي منهم به، بل كقولك لصاحبك: أين خلفت فلاناً؟ فيقول: بموضع كذا، ليس يريد أنه أمره بالتخلف هناك، بل لعله أن يكون نهاه، وإنما يريد أنه تخلف هناك^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ الآية: ١٢٢.

التفقه: تعلّم الفقه، والفقه فهم موجبات المعنى المتضمنة بها من غير تصريح بالدلالة، وصار بالعرف مختصاً بمعرفة الحلال والحرام وما طريقه الشرع^(٣).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٥: ٣٦٥.

٣. قارن ٥: ٣٧١.

واستدل جماعة بهذه الآية على وجوب العمل بخبر الواحد، بأن قالوا: حث الله تعالى الطائفة على النفور والتفقه، حتى إذا رجعوا إلى غيرهم أنذروهم ليحذروا، فلو لا أنه يجب عليهم القبول منهم، لما وجب عليهم الإنذار والتخويف^(١).

والطائفة تقع على جماعة لا يقع بخبرهم العلم، بل تقع على واحد، لأن المفسرين قالوا في قوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أنه يكفي أن يحضر واحد^(٢).

وهذا الذي ذكره ليس بصحيح، لأن الذي يقتضيه ظاهر الآية وجوب النفور على الطائفة من كل فرقة، ووجوب التفقه والإنذار إذا رجعوا^(٣).

ويحتمل أن يكون المراد بالطائفة الجماعة التي يوجب خبرهم العلم، ولو سلمنا أنه يتناول الواحد أو جماعة قليلة، فلم إذا وجب عليهم الإنذار وجب على من يسمع القبول؟ والله تعالى إنما أوجب على المنذرين الحذر، والحذر ليس من القبول في شيء، بل الحذر يقتضي وجوب البحث عن ذلك، حتى تعرف صحته من فساد بالرجوع إلى الأدلة^(٤).

ألا ترى أن الخاطر إذا ورد على المكلف وخوفه من ترك النظر، فإنه يجب عليه النظر، ولا يجب عليه القبول منه، قبل أن يعلم صحته من فساد^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٥: ٣٧١.

وكذلك إذا ادعى مدع النبوة وإن معه شرعاً، وجب عليه أن ينظر في معجزته، ولا يجب عليه القبول منه^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ الآية: ١٢٤.

قال الجبائي: يقوله المنافقون لضعفة المؤمنين على وجه الاستهزاء، فأخبر الله تعالى أنه متى نزلت سورة من القرآن قال المنافقون على وجه الاستهزاء والانكار: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾.

ثم قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَأَدَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ بمعنى ازدادوا عندها إيماناً، وإنما أضافه إلى السورة لأن عندها ازدادوا^(٢).

ووجه زيادة الإيمان أنهم يصدقون بأنها من عند الله ويعترفون بذلك ويعتقدونه، وذلك زيادة اعتقاد على ما كانوا معتقدين^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا﴾ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الآية: ١٢٧.

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٥: ٢٧٤.

٣. نفس المصدر.

﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ يعني من رحمته عقوبة لهم ﴿يَأْتُهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ مواظ الله ولا أمره ونهيه^(١).

والفقه فهم موجب المعنى المضمن به، وقد صار عَلَمًا على علم الفتا في الشريعة لأن معتمده على المعنى، وكان القوم عقلاء يفقهون الأشياء^(٢).

وإنما نفى عنهم الله ذلك لأنهم لم ينظروا فيه ولم يعملوا بموجبه، فكأنهم لم يفقهوه، كما قال: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي﴾ لما لم ينتفعوا بما سمعوه ورأوه^(٣).



١. قارن ٥: ٢٧٧.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٥: ٢٧٧، والآية في سورة البقرة: ١٨.

سورة يونس

فصل

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾ الآية: ه^(١).

إنما وُحِدَ في قوله: ﴿وَقَدَرَهُ﴾ ولم يقل وقدرهما لأحد أمرين: أحدهما: أنه أراد القمر، لأن بالقمر تحصى شهور الأهلة التي يعمل الناس عليها في معاملاتهم. والآخر: أن معناه التثنية، غير أنه وُحِدَ للإيجاز اكتفاءً بالمعلوم، كقوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ الآية: ٣.
قيل في الوجه ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ بلا زيادة ولا نقصان، مع قدرته على انشائهما دفعة واحدة قولان:

١. هنا خلل لم ينتبه إليه، وهو تقديم آية / ٥ على آية / ٣ الآية، وأحسبه من خلل النسخ، ولما لم تكن لدي فعلاً نسخة من المخطوطات فقد أبقيت ذلك بحاله، وفي مخطوطة مشهد كذلك.

٢. قارن ٥: ٢٩١، والآية في سورة التوبة: ٦٢.

أحدهما: إن في أظهرهما كذلك مصلحة للملائكة وعبرة لهم^(١).

والثاني: لما فيه من الاعتبار إذا أخبر عنه بتصرف الحال، كما صرف الله الإنسان من حال إلى حال، لأن ذلك أبعد من توهم الاتفاق فيه^(٢).

وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ معناه استولى عليه بانشاء التدبير من جهته، كما يستوي الملك على سرير ملكه بالاستيلاء على تدبيره، قال الشاعر:

ثم استوى بشر على العراق بغير سيف ودم مهوراق^(٣)

وقيل: إن العرش المذكور هنا هو السموات والأرض، لأنهن من بنائه والعرش البناء، ومنه قوله: ﴿يَغْرُسُونَ﴾ أي يبنون^(٤).

وأما العرش المعظم الذي تعبد الله الملائكة بالحفوف به، والاعظام له، وعناه بقوله: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ فهو غير هذا^(٥).

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي آخِثِلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية: ٦.

١. قارن ٥: ٢٨٥.

٢. قارن ٥: ٣٨٥.

٣. قارن ٥: ٣٨٥، والبيت تقدم مكرراً.

٤. قارن ٥: ٢٨٦.

٥. قارن ٥: ٣٨٦، والآية في سورة غافر: ٧.

الليل عبارة عن وقت غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثاني، وهو جمع ليلة كتمرة وتمر^(١).

والنهار عبارة عن اتساع الضياء من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس^(٢)، والنهار واليوم معناهما واحد، إلا أن في النهار فائدة اتساع الضياء^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ الآية: ٩.

معنى «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ» تجري بين أيديهم وهم يرونها من عل، كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾^(٤) ومعلوم أنه لم يحصل السري تحتها وهي قاعدة عليه، لأن السري هو الجدول، وإنما أراد أنه جعل بين يديها^(٥).

ومعنى الهدى هنا الارشاد إلى طريق الجنة ثواباً على أعمالهم الصالحة، ألا ترى أنه قال: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ يعني جزاءً على إيمانهم، وذلك لا يليق إلا بما قلناه^(٦).

١. قارن ٥: ٣٩٢.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٥: ٣٩٤، والآية في سورة مريم: ٢٤.

٥. قارن ٥: ٣٩٥.

٦. نفس المصدر.

فصل

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ

بِالْخَيْرِ﴾ الآية: ١١.

الفرق بين التعجيل والإسراع أن التعجيل بالشيء عمله قبل وقته الذي هو أولى به، والإسراع عمله في وقته الذي هو أحق به^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبْدِلَهُ مِنْ تِلْقَائِي

نَفْسِي^ط إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ^ط﴾ الآية: ١٥.

ومن استدلل بهذه الآية على أن نسخ القرآن بالسنة لا يجوز فقد أبعد، لأنه إذا نسخ ما تضمنه القرآن بالسنة، فالسنة لا يقولها النبي إلا بوحي من الله، وليس ينسخه من قبل نفسه، بل يكون ذلك النسخ مضافاً إلى الله^(٢).

وإنما لا يكون قرآناً، لأنه تعالى قد يوحي إلى نبيه ما هو قرآن وما ليس بقرآن، لأن جميع ما بينه النبي ﷺ من الشريعة لم يبينها إلا بوحي من الله، لقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ وإن كان تفصيل ذلك ليس بموجود في القرآن، فالاستدلال بذلك على ما قاله بعيد^(٣).

١. قارن ٥: ٣٩٨.

٢. قارن ٥: ٤٠٣.

٣. قارن ٥: ٤٠٣، والآية في سورة النجم: ٣ - ٤.

فصل

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ الآية: ٢٢.

تسييره إياهم إما في البحر فلائه بالريح، والله المحرك لها دون غيره،
فلذلك نسه إلى نفسه، وإما في البر فلائه كائن بأقداره وتمكينه وتسييه، فلذلك
نسه إلى نفسه^(١).

والبحر مستقر الماء الواسع حتى لا يرى من وسطه حافته^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

الآية: ٣١.

والرزق العطاء الجاري، يقال: رزق السلطان الجند، إلا أن كل رزق فانه
رازق له، لأنه لو لم يطلقه على يد الإنسان لم يجي منه شيء^(٣).

والواحد منا يرزق غيره، إلا أنه لا يطلق اسم رازق إلا على الله، كما لا
يقال رب بالاطلاق إلا في الله، وفي غيره بقيد فيقال: رب الدار، ويطلق فيه لأنه
يملك الجميع غير مملك، وكذلك هو تعالى رازق الجميع غير مرزوق^(٤).

١. قارن: ٥: ٤١٣.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن: ٥: ٤٢٦.

٤. نفس المصدر.

ولا يجوز أن يخلق الله حيواناً يريد تبقيته إلا ويرزقه، لأنه إذا أراد بقاءه فلا بد له من الغذاء، فإن لم يرد تبقيته كالذي يولد ميتاً، فإنه لا رزق له في الدنيا^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ

فَسَقُوا﴾ الآية: ٣٣.

قال أبو علي: من قرأ على التوحيد احتمل ذلك وجهين:

أحدهما: أن يكون جعل ما أوعده به الفاسقين كلمة وإن كانت في الحقيقة كلمات، لأنهم قد يسمون القصيدة والخطبة كلمة، فكذلك ما ذكرناه^(٢).

والثاني: أن يريد بذلك الجنس، وقد وقع على بعض الجنس، كما أوقع اسم الجنس على بعضه في قوله: ﴿وإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾ ومن جمع فإنه جعل الكلم التي توعد بها كل واحدة منها كلمة ثم جمع فقال كلمات^(٣).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٥: ٤٢٨.

٣. قارن ٥: ٤٢٨، والآية في سورة الصافات: ١٣٧.

فصل

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي

مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ الآية: ٣٦.

الظن حقيقة ما قوى كون المظنون عند الظان على ما ظنه، مع تجويز أن يكون على غيره، فإذا كان معه تجويز كون المظنون على خلاف ما ظنه، فلا يكون مثل العلم^(١).

وقد يكون للظن حكم إذا قام على ذلك دليل أما عقلي أو سمعي، ويكون صادراً عن امارات معروفة بالعادة أو الخبر، أو رده إلى نظيره عند من قال بالقياس^(٢)، وكل ذلك إذا اقترن به دليل يوجب العمل به^(٣).

وكل موضع يمكن أن يقوم عليه دليل، ويعلم صحته من فساد، فلا يجوز أن يعمل فيه على الظن، لأنه بمنزلة من ترك العلم وعمل على ظن غيره^(٤).

وقوله: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ معناه أنه لا يقوم مقام العلم مع وجوده أو امكان وجوده^(٥).

١. قارن ٥: ٤٤٠.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٥: ٤٣٣.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

وإنما تعبد الله في الشرع في مواضع بالرجوع إلى الظن، مع أنه كان يمكنه أن ينصب عليه دليلاً يوجب العلم، لما في ذلك من المصلحة^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ الآية: ٤٠.

إنما جاز أن يقول ﴿أَعْلَمُ﴾ وإن لم يكن هناك كثرة علوم، لأحد أمرين: أحدهما: أن الذات تغني عن كل علم. والثاني: أنه يراد به كثرة المعلوم^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ الآية: ٤٤.

وفي الآية دلالة على أنه لا يفعل الظلم، لأن فاعل الظلم ظالم، كما أن فاعل الكسب كاسب، وليس لهم أن يقولوا: يفعل الظلم ولا يكون ظالماً به، كما يفعل العلم ولا يكون به عالماً^(٣).

وذلك أن معنى قولنا (ظالم) أنه فعل الظلم، كقولنا ضارب أنه يفيد أنه فعل الضرب، ولذلك يكون ظالماً بما يفعله من الظلم في غيره. «وليس كذلك

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٥: ٤٣٧.

٣. قارن ٥: ٤٤٠.

العالم لأنه يفيد انه على صفة مخصوصة ولذلك قد يكون عالماً بما يفعل فيه من العلم ولا يكون ظالماً بما يفعل فيه من الظلم ولا يكون عالماً بما يفعل في غيره من العلم، وليس كذلك الظلم، فبان الفرق بينهما^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

الآية: ٥٥.

السموات سقف الأرض وهي طبقات، كما قال: ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾^(٢) وجمعت السموات ووحدت الأرض في جميع القرآن، لأن طبقاتها السبع خفية عن الحس، وليس كذلك الأرض^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّنْ

رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ الآية: ٥٧.

الموعظة ما يدعو إلى الصلاح ويزجر عن القبيح، لما يتضمنه من الرغبة والرغبة، ويدعو إلى الخشوع والنسك، ويصرف عن الفسوق والإثم، ويريد بذلك القرآن وما أتى به النبي ﷺ من الشريعة^(٤).

١. نفس المصدر. وما بين القوسين من الرضوية.

٢. نوح: ١٥.

٣. قارن ٥: ٤٥٢.

٤. قارن ٥: ٤٥٣.

والشفاء معنى كالدواء لإزالة الداء، فداء الجهل أضرم من داء البدن، وعلاجه أعسر، وأطباؤه أقل، والشفاء منه آجل^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

الآية: ٥٨.

فإن قيل: كيف جاء الأمر للمؤمنين بالفرح ؟ وقد ذم الله ذلك في مواضع من القرآن، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^(٢) وقال: ﴿إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾^(٣) وغير ذلك^(٤).

قيل: أكثر ما جاء مقترناً بالذم من ذلك ما كان مطلقاً، فإذا قيد لم يكن ذماً، كقوله: ﴿يُزْزِقُونَ * فَرِحِينَ﴾^(٥) وفي الآية مقيد بقوله: ﴿فَبِذَلِكَ﴾ فأما قوله: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾^(٦) فإنه مقيد، ومع ذلك فهو مذموم، لكنه مقيد بما يقتضي الذم، كما جاء مقيداً بما لا يقتضي الذم، فمطلقه يقتضي الذم ومقیده بحسب ما يقيد به، فإن قيد بما يقتضي الذم أفاد الذم، وإن قيد بما يقتضي المدح أفاد المدح^(٧).

١. نفس المصدر.

٢. القصص: ٧٦.

٣. هود: ١٠.

٤. قارن ٥: ٤٥٤.

٥. الشاهد ملفق من آخر آية ١٦٩ أول آية ١٧٠ من سورة آل عمران.

٦. التوبة: ٨١.

٧. قارن ٥: ٤٥٥.

فصل

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ الآية: ٥٩.

الرزق منسوب كله إلى الله، لأنه لا سبيل للعبد إليه إلا باطلاقه بفعله له، أو إذنه فيه أما عقلاً أو سمعاً، ولا يكون الشيء رزقاً بمجرد التمكين، لأنه لو كان كذلك لكان الحرام رزقاً، لأن الله مكن منه ^(١).

قال الرماني: التحريم عقدٌ بمعنى النهي عن الفعل، والتحليل حلٌ معنى النهي عن الاذن ^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الآية: ٦٢.

على ما نذهب إليه من أنه يجوز أن يعاقب الله بعض الفساق ثم يردهم إلى الثواب ينبغي أن نقول: الآية مخصوصة بمن لا يستحق العقاب أصلاً، أو نقول: المراد بذلك لا خوف عليهم بعقاب الأبد ولا هم يحزنون لذلك ^(٣).

١. قارن ٥: ٤٥٧.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٥: ٤٦١.

فصل

قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

الْآخِرَةِ﴾ الآية: ٦٤.

قيل في ذلك ثلاثة أقوال:

أحدها: قال قتادة والزهري والضحاك والجبائي: هو بشارة الملائكة عليهم السلام المؤمنين عند موتهم بما لهم عند الله من الفوز.

الثاني: ما روي في الخبر عن النبي ﷺ أنها الرؤيا الصادقة الصالحة يراها الرجل أو ترى له ^(١).

وقال أبو جعفر عليه السلام: البشـرى في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن، أو ترى له وفي الآخرة الجنة ^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ سُبْحَنَهُ ^{عز وجل} هُوَ الْغَنِيُّ

الآية: ٦٨.

١- الحديث في جملة من مصادر الحديث بلفظ: «إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له» راجع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ١: ١٨١.

٢- الحديث في تفسير ابن كثير ٢: ٤٣٨ في تفسير الآية المذكورة عن أبي الدرداء مرفوعاً بتفاوت

لا يجوز اتخاذ الولد على الله على وجه التبني، كما لا يجوز عليه اتخاذ إله على التعظيم، لأنه لما استحال حقيقته عليه استحال مجازه المبني عليه^(١).

وحقيقة الولد من ولد على فراشه، أو خلق من مائه، ولذلك لا يقال: تبنى الشاب شيخاً، ولا تبنى الإنسان بهيمة لما كان ذلك مستحيلاً، وهذه الحقيقة مستحيلة فيه تعالى، فاستحال مجازها أيضاً^(٢).

واتخاذ الخليل جائز، لأن الخلّة إصفاء المودة التي توجب الإطلاع على سرّه ثقة به، وإن كان مشتقاً من الخلّة - بفتح الخاء - فهو لافتقاره إليه، لأن الخلّة هي الحاجة^(٣).

ويجوز أن يقال: المسيح روح الله، لأن الأرواح كلّها ملك لله، وإنما خصّ المسيح بالذكر تشريفاً له بهذا الذكر، كما خصّ الكعبة بأنها بيت الله وإن كانت الأرض كلها لله تعالى^(٤).

فصل

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ

كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ الآية: ٧٤.

١. قارن ٥: ٤٦٦.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

معناه: أنا جعلنا على قلوب هؤلاء الكفار سمة وعلامة على كفرهم، يلزمهم الذم بها، وتعرفهم بها الملائكة، وأنا مثل ذلك نفعل بقلوب المعتدين^(١).

وليس المراد بالطبع في الآية المنع من الإيمان، لأن مع المنع من الإيمان لا يحسن تكليف الإيمان^(٢)، والطبع جعل الشيء على صفة غيره بمعنى فيه^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾
الآية: ٨٨.

هذه لام العاقبة، وهي ما يؤول إليه الأمر، كقوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(٤).

ويحتمل أن يكون المعنى: لئلا يضلوا عن سبيلك، فحذفت (لا) كقوله: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ أي لئلا تضل^(٥).

١. قارن ٥: ٤٧٢.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٥: ٤٧٣.

٤. قارن ٥: ٤٨٤، والآية في سورة القصص: ٨.

٥. قارن ٥: ٤٨٥، والآية في سورة البقرة: ٢٨٢.

فصل

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾

الآية: ٨٩.

إنما قال: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ والداعي موسى، لأن دعاء موسى كان مع تأمين هارون، على ما قاله الربيع وابن زيد وعكرمة ومحمد بن كعب وأبو العالية، والمؤمن داع، لأن معنى التأمين اللهم أجب هذا الدعاء^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا

إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ﴾ الآية: ٩٠.

اخبار منه تعالى أن فرعون حين لحقه الغرق والهلاك قال ما حكاه الله، وكان ذلك إيمان الجاء لا يستحق به الثواب، كما لا يستحق بالإيمان الضروري^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَأَ صَدَقٍ [وَرَزَقْنَاهُمْ

مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ]﴾ الآية: ٩٣.

١. قارن ٥: ٤٨٧.

٢. قارن ٥: ٤٩٠.

التبوء توطئة المنزل الذي يأوي إليه ^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أُنزِلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ

الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ الآية: ٩٤.

قال البلخي: ذلك راجع إلى قوله: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾

فأمره بأن يسألهم هل الأمر على ذلك؟ فإنهم لا يمتنعون من الإخبار به، ولم يأمره بأن يسألهم هل هو محق فيه أم لا؟ ولا أن ما أنزله عليه صدق أم لا؟ ^(٢)

ووجه آخر وهو أنه إنما أمره بأن يسألهم إن كان شاكاً ولم يكن شاكاً،

فلا يجب عليه مسألتهم، وهذا معنى ما روي عنه عليه السلام أنه قال: (ما شككت ولا أنا شاك) ^(٣).

١. قارن ٥: ٤٩٢، وما بين القوسين من المصدر زيادة يقتضيها السياق، وما يأتي من قول البلخي في الإحالة عليها.

٢. قارن ٥: ٤٩٤.

٣. لم أقف على الحديث بلفظ في غير التبيان وفيه في هذا الموضع فقط، واحسبه جزءاً من حديث يشبهه معنى ويتسق معه لفظاً، وذلك في قصة إبراهيم عليه السلام رواه ابن الأثير في النهاية وابن منظور في لسان العرب في مادة (شكك) وهو بلفظ الأول، «أنا أولى بالشك من إبراهيم» لما نزلت ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾ قال قوم سمعوا الآية: شك إبراهيم ولم يشك نبينا عليه السلام. فقال رسول الله ﷺ تواضعاً منه وتقديماً لإبراهيم على نفسه «أنا أحق بالشك من إبراهيم» «ما شككت ولا أنا شاك» أي أنا لم أشك وأنا دونه فكيف يشك هو وهذا كحديثه الآخر (لا تفضلوني على يونس بن متى).

فصل

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَتَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا

قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا﴾ الآية: ٩٨.

فإن قيل: كشفنا عنهم العذاب يدل على نزول العذاب بهم، فكيف ينفع مع ذلك الإيمان؟ وهل ذلك إلا ضد قوله: ﴿قَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾^(١).

قلنا: ليس يجب أن يكون العذاب نزل بهم، بل لا يمتنع أن يكون ظهرت لهم دلائله وإن لم يروا العذاب، كما أن العليل المدنف قد يستدرك التوبة، فيقبل الله توبته قبل أن يتحقق الموت، فإذا تحققه لم يقبل بعد ذلك توبته^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِرَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

الآية: ١٠٠.

→ أقول: قد ذكرت ما في المتن مميزاً بين حاصرتين ملحقاً بالحديث لاتساقه التام معه لفظاً ومعنى فلاحظ سياق الحديث، ولابن منظور في لسان العرب في المقام على ذلك تعقيب تحسن مراجعته.

١. قارن ٥: ٤٩٩ والآية في سورة غافر: ٨٥.

٢. قارن ٥: ٤٩٩.

معناه: أنه لا يمكن أحداً أن يؤمن إلا بإطلاق الله له في الإيمان وتمكينه منه ودعائه إليه، بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك، وقال الحسن وأبو علي الجبائي: إذنه هنا أمره، وقيل: معناه وما كان لنفس أن تؤمن إلا بعلم الله^(١).
وأصل الاذن الاطلاق في الفعل، وأما الإقذار على الفعل فلا يسمّى إذناً فيه، لأن النهي ينافي الاطلاق^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ الآية: ١٠٥.

قيل في معنى الحنيف قولان: أحدهما: الاستقامة، وقيل للمايل القدم أحنف تفاؤلاً.

الثاني: الميل، وقيل: الحنف في الدين، لأنه ميل إلى الحق^(٣).



١. قارن ٥: ٥٠٠.

٢. قارن ٥: ٥٠١.

٣. قارن ٥: ٥٠٦.

سورة هود

فصل

قوله تعالى: ﴿الرَّ كِتَبٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ﴾

الآية: ١.

قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: قال الحسن: أحكمت بالأمر والنهي، وفصّلت بالثواب والعقاب.

الثاني: قال قتادة: أحكمت آياته من الباطل، ثم فصّلت بالحلال والحرام.

«الثالث: قال مجاهد: ﴿أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ﴾ على وجه الجملة ﴿ثُمَّ فَصَّلْتُ﴾

أي بيّنت بذكرها آية آية»^(١).

وقال الجبائي: في الآية دلالة على أن كلام الله محدث، لأنه وصفه بأنه

أحكمت آياته، والإحكام من صفات الأفعال، ولا يجوز أن يكون إحكامه غيره،

لأنه لو كان إحكامه غيره لكان قبل أن يحكمه غير محكم، ولو كان كذلك كان

باطلاً، لأن الكلام متى لم يكن محكماً وجب أن يكون باطلاً فاسداً وهذا

باطل^(٢).

١. ما بين القوسين إضافة من المصدر يقتضيها السياق، قارن ٥: ٥١٢.

٢. قارن ٥: ٥١٣.

فصل

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لَيَسْتَخِفُّوا مِنْهُ﴾

الآية: ٥.

قيل في معناه ثلاثة أقوال: أحدها: قال الفراء والزجاج: يتنونها على عداوة النبي ﷺ^(١).

وقال الحسن: يتنونها على ما هم عليه من الكفر^(٢).

وقال الجبائي: يشي الكافر صدره على سبيل الانحاء في خطابه لكافر مثله ممن يختصه لئلا يعرف الله ما أضمره^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ الآية: ٦.

يعني: اللوح المحفوظ، وإنما أثبت تعالى ذلك، مع أنه عالم لا يعزب عنه شيء، لما فيه من اللطف للملائكة، أو يكون فيه لطف لمن يخبر بذلك^(٤).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ

أَيَّامٍ﴾ الآية: ٧.



١. قارن ٥: ٥١٥.

٢. قارن ٥: ٥١٦.

٣. قارن ٥: ٥١٦.

٤. قارن ٥: ٥١٧.

إنّما خلقهما في هذا المقدار من الزمان مع قدرته أن يخلقهما في أقلّ من لمح البصر، ليتبيّن بذلك أنّ الأمور جارية في التدبير على منهاج، ولما علم في ذلك من مصالح الخلق من جهة اقتضاء تنشيتها على ترتيب، يدلّ على أنّها كانت عن تدبير عالم بها قبل فعلها مثل سائر الأفعال المحكمة^(١).

قال الجبائي: في الآية دلالة على أنّه كان قبل خلق السماوات والأرض الملائكة قال: لأنّ خلق العرش على الماء لا وجه لحسنه إلا أن يكون فيه لطف لمكّلف، أو يمكنه الاستدلال به، فلا بدّ إذن من حيّ مكّلف^(٢).

والأقوى أنّه يقال: أنّه لا يمتنع أن يتقدّم خلق الله لذلك إذا كان في الأخبار بتقدّمه مصلحة للمكّلفين، وهو الذي اختاره الرمانى^(٣)، وكان علي بن الحسين الموسوي المعروف بالمرتضى رحمة الله عليه ينصره^(٤).

وظاهر الآية يقتضي أنّ العرش الذي تعبّد الله الملائكة بحمله كان مخلوقاً قبل السماوات والأرض، وهو قول جميع المفسرين^(٥).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا آلَإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ الآية: ٩.

١. قارن ٥: ٥١٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

الإنسان حيوان على الصورة الإنسانية، لا الصورة الإنسانية بانفرادها، قد تكون للتمثال ولا يكون إنساناً، فإذا اجتمعت الحيوانية والصورة لشيء فهو إنسان^(١).

وقال الرماني: وكل ما لا حياة فيه، فليس من الإنسان كالشعر والظفر وغيرهما^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ الآية: ١٧.

اختلفوا في معناه على أقوال:

أحدهما: شاهد من الله محمد ﷺ، روي ذلك عن الحسن بن علي عليه السلام، وذهب إليه ابن زيد، واختاره الجبائي^(٣).

الثاني: قال ابن عباس، ومجاهد، وإبراهيم، والفراء، والزجاج: جبرئيل يتلو القرآن على النبي ﷺ^(٤).

الثالث: شاهد منه لسانه «روي ذلك عن محمد بن علي أعني ابن الحنفية وهو قول الحسن وقتادة»^(٥).

١. قارن ٥: ٥٢٠.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٥: ٥٢٨.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٥: ٥٢٨ وما بين القوسين إضافة من المصدر تكمياً للنقص.

الرابع: روي عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام أنه علي بن أبي طالب، ورواه الرمانى، وذكره الطبري باسناده عن جابر بن عبد الله عن علي عليه السلام ^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾

الآية: ١٩.

فالعوج العدول عن طريق الصواب في الدين عِوَج بالكسر، وفي العود عِوَج بالفتح، فرقوا بين ما يرى وما لا يرى، فجعلوا السهل للسهل، والصعب للصعب بالفتح والكسر ^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعَفُ

لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعُ﴾ الآية: ٢٠.

معناه: أنه كان يثقل عليهم سماع الحق ورؤيته، كما يقال: فلان لا يستطيع النظر إلى فلان ^(٣).

وحقيقة الاستطاعة: القوة التي تنطاع بها الجارحة للفعل، ولذلك لا يقال في الله: أنه مستطيع، وليس المراد بنفي الاستطاعة في الآية نفي القدرة، بل ما ذكرناه لأنه لو لم يكن فيهم قدرة لما حسن تكليفهم ^(٤).

١- قارن ٥: ٥٢٨. والحديث في شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ١: ٢٧٥. ٢٨٢ بعدة أسانيد، وكذلك في كثر العمال ٢: ٤٣٩ ط الأولى بحيدر آباد.

٢- قارن ٥: ٥٣١.

٣- قارن ٥: ٥٣٢.

٤- نفس المصدر.

فصل

قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ إِلَّا خَسِرُونَ﴾

الآية: ٢٢.

معناه: لا بدّ أنهم، أو لا محالة أنهم^(١).

وقيل: معناه حقاً أنهم، وأصل الجرم القطع، فكأنه قال: لا قطع عن أنهم في الآخرة هم الأخسرون^(٢).

و ﴿جَرَمَ﴾ في قوله ﴿لَا جَرَمَ﴾ فعل وتقديره: لا قطع قاطع عن ذا، إلا أنه كثر حتى صار كالمثل^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرْنَكَ

إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرْنَكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى

الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ الآية: ٢٧.

قال أبو علي الفارسي: حدثنا محمد بن السري أن اللحياني قال: يقال:

أنت بادى الرأي تريد ظلمنا، لا يهمز ﴿بادي﴾، وبادى الرأي مهموز، فمن لم يهمز أراد أنت فيما بدا في الرأي، أي: أنت ظاهر الرأي، ومن همز أراد أنت أول الرأي ومبتدؤه، وهما في القرآن^(٤).

١. قارن ٥: ٥٣٤.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٥: ٥٣٤، وما بين القوسين من المصدر تكميلاً للنقص.

٤. قارن ٥: ٥٣٩.

وقال أبو علي: من قال بادي الرأي بلا همز جعله من بدو الشيء إذا ظهر، وما اتبعك إلا الأردال فيما ظهر لهم من الرأي، أي لم يفعلوه بنظر فيه ولا تبين لهم، ومن همز أراد اتبعوك في أول الأمر من غير فكر فيه ولا روية^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ الآية: ٢٩.

معناه: لست أطرد المؤمنين من عندي ولا أبعدهم على وجه الإهانة^(٢).
وقيل: أنهم كانوا سألوه طردهم ليؤمنوا له، أنفة من أن يكونوا معهم على سواء، ذكره ابن جريج والزجاج^(٣).
وقوله: ﴿وَلَكِنِّي أَرَأَيْكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ معناه أراكم تجهلون أنهم خير منكم لإيمانهم بربهم وكفركم به^(٤).

وقال قوم: أنهم قالوا له: إن هؤلاء اتبعوك طمعاً في المال على الظاهر دون الباطن، فقال لهم نوح: إنهم ملاقوا جزاء أعمالهم فيجازيهم على ما يعلم من بواطنهم، وليس لي إلا الظاهر، فأحملهم على ظاهر الإيمان وأنتم تجهلون ذلك^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٥: ٥٤٤.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

فصل

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ

الْغَيْبِ﴾ الآية: ٣١.

الغيب: ذهاب الشيء عن الإدراك، ومنه الشاهد خلاف الغائب، وإذا قيل: علم غيب، كان معناه علم من غير تعليم، وهو جميع الغيب، وعلى هذا لا يعلم الغيب إلا الله تعالى^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ

إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ الآية: ٣٤.

يحتمل ذلك أمرين:

أحدهما: إن كان الله يريد أن يخيبكم من رحمته، بأن يحرمكم ثوابه، ويعاقبكم لكفركم به، ولا ينفعكم نصحي، يقال: غوى يغوي غياً، ومنه قوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾^(٢) أي خيبة وعذاباً، وقال الشاعر:

ومن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً^(٣)

١. نفس المصدر.

٢. مريم: ٥٩، وقارن ٥: ٥٤٦.

٣. قارن ٥: ٥٤٨، والبيت من شعر المرقش الأصغر وقد مرّ آنفاً.

ومنه قوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ أي خاب من الثواب الذي كان يحصل له بتركه ^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعَ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ الآية: ٣٧.

الصناعة: الحرفة التي يتكسب بها.

وقوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ معناه بحيث نراها، فكأنها ترى بأعين على طريق المبالغة، والمعنى بحفظنا إياك حفظ من يراك، وقيل: معناه بعلمنا ^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ الآية: ٤٠.

قيل في معنى التنور أقوال:

أحدها: منها أن الماء إذا فار من تنور الخابزة وقيل: التنور عين معروفة، وقيل: أن التنور وجه الأرض ^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿سَقَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ قال

لا عاصم الآية: ٤٣.

١. قارن ٥: ٥٤٨، والآية في سورة طه: ١٢١.

٢. قارن ٥: ٥٥٢.

٣. قارن ٥: ٥٥٦.

العصمة المنع من الآفة، والمعصوم في الدين الممنوع باللطف من فعل القبيح لا على وجه الحيلولة^(١).

فإن قيل: كيف دعا نوح ابنه إلى الركوب معه في السفينة مع أن الله نهاه أن يركب فيها كافر؟

قلنا عنه جوابان:

أحدهما: أنه دعاه بشرط أن يؤمن، والثاني: قال الحسن والجبائي: أنه كان ينافق بإظهار الإيمان^(٢).

فإن قيل: هلا كان ما صار إليه ابن نوح من تلك الحال الهائلة الجاء^(٣)، قلنا: (لا) لا يكون الإلجاء إلا بأحد شيئين:

أحدهما: أن يخلق الله فيه العلم بأنه متى رام خلافه منع منه.

الثاني: تتوفّر الدواعي من ترغيب وترهيب، ولم يحصل له واحد من الأمرين، لأنه جوّز أن يكون من عجائب الزمان^(٤).

ومعنى «لا عاصِمَ» أي لا معصوم، مثل دافع بمعنى مدفوق^(٥).

تم التعليق من الجزء الخامس من التبيان.

١. قارن ٥: ٥٦١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٥: ٥٦٢.

٥. نفس المصدر.

التعليق من الجزء السادس في تفسير القرآن
يشتمل على بقية سورة هود وسورة يوسف وسورة الرعد
وسورة إبراهيم وسورة الحجر وسورة النحل
وسورة بني إسرائيل وبعض سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

قوله سبحانه: ﴿يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ الآية: ٤٦.

في هذه الآية حكاية عما أجاب الله تعالى به نوحاً حين سأله نجاة ابنه، بأن قال له: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ وقيل في معناه ثلاثة أقوال: ^(١)

أحدها: قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، والضحاك وأكثر المفسرين: أنه ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم معك، وأنه كان ابنه لصلبه، بدلالة قوله: ﴿وَتَأْدَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ فأضافه إليه اضافة مطلقة ^(٢).

والثاني: أنه أراد بذلك ليس من أهل دينك، كما قال النبي ﷺ: «سلمان منا أهل البيت» وإنما أراد على ديننا ^(٣).

١. قارن ٥: ٥٦٥.

٢. قارن ٥: ٥٦٦.

٣. قارن ٥: ٥٦٦، والحديث في مستدرک الحاكم ٣: ٥٩٨، ومعجم الطبراني الكبير ٦: ٢٦١، وطبقات ابن سعد ج ٤ ق ١: ٥٤٩ وج ٧: ٦٥ ومصادر أخرى، راجع موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥: ٢٣١.

وثالثها: قال الحسن ومجاهد: أنه كان لغير رشدة وولد على فراشه، فسأل نوح على الظاهر، فأعلمه الله باطن الأمر، فنفاه منه على ما علمه، فيكون على هذا هو نفسه عملاً غير صالح، كما يقولون الشعر زهير^(١).

وهذا الوجه ضعيف، لأن في ذلك طعنًا على النبي، وإضافة ما لا يليق به إليه، والمعتمد الأول^(٢).

وقال ابن عباس: ما زنت امرأة نبي قط، وكانت الخيانة من امرأة نوح أنها كانت تنسبه إلى الجنون، والخيانة من امرأة لوط أنها كانت تدل على أضيافه^(٣).

وروي عن علي^{عليه السلام} أنه قرأ: «ونادى نوح ابنها» نسبه إلى المرأة، وأنه كان ربيه^(٤).

وروي عن محمد بن علي بن الحسين^{عليهما السلام} وعروة بن الزبير أنهما قرءا: «ونادى نوح ابنه» بفتح الهاء وترك الألف كراهية ما يخالف المصحف، وأرادا أن ينسباه إلى المرأة وأنه لم يكن ابنه لصلبه^(٥).

الوعظ: الزجر عن القبيح بما يدعو إلى الجهل على وجه الترغيب والترهيب، والصحيح أن الجهل قبيح على كل حال^(٦).

١. قارن ٥: ٥٦٦.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٥: ٥٦٧.

وقال الرمانى: إنما يكون قبيحاً إذا وقع عن تعمد، فأما إذا وقع غلطاً أو سهواً، لم يكن قبيحاً ولا حسناً^(١).

وهذا ليس بصحيح، لأن استحقاق الذم عليه يشترط بالعمد، فأما قبحه فلا كما نقوله في الظلم سواء^(٢).

فصل

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ﴾ الآية: ٤٧.

العيادة: طلب النجاة بما يمنع من الشر، يقال: عاذ يعوذ عوداً وعياداً فهو عائد بالله، والعياذ: الاعتصام بما يمنع من الشر^(٣).

فصل

قوله: ﴿يَلْنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾ الآية: ٤٨.

قيل في معنى ﴿بِسَلَامٍ﴾ وجهان: أحدهما بسلامة منا وتحية منا، قال الأعشى^(٤):

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

قيل: أنه بمعنى والسلام عليكما، وقيل: معناه بتسليم منا.

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٥: ٥٦٨.

٤. ورد في المصدر ليبد بدل الأعشى وهو الصحيح لورود البيت في ديوانه: ٢١٤ ط الكويت.

وقوله: ﴿وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ معناه ونعم دائمة وخير ثابت، حالاً بعد حال، وأصله الثبوت، فمنه البروك والبركة لثبوت الماء فيها، قال الشاعر:

ولا ينجي من الغمرات إلا براكاء القتال أو الفرار^(١)

أي الثبوت للقتال، ومعنى ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ ثبت تعظيمه بما لم يزل ولا يزال.

فصل

قوله: ﴿وَالِىَ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ الآية: ٥٠.

إنما سمي عاداً أخاً هود مع أنهم كفار وهو نبي، لأن المراد بذلك الأخوة في النسب لا في الدين، فحذف لدلالة الحال عليه (ولولا ذلك لم يجز، وقيل: نسبه إليهم لأنه كان على لسانهم)^(٢).

فصل

قوله: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ الآية: ٥٦.

التوكل تفويض الأمر إلى الله تعالى على طاعته فيما أمر به، لأن ذلك من تسليم التدبير له، لأن أفعاله تعالى كلها جارية على ما هو أصلح للخلق^(٣).

١. قارن ٥: ٥٦٩، والبيت لبشر بن أبي خازم كما في اللسان وديوانه: ٧٩.

٢. ما بين القوسين من كلام ابن إدريس فيما يبدو قارن ٦: ٥.

٣. قارن ٦: ١١.

الناصية: قصاص الشعر، ومنه قوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾^(١) وفي جر الرجل بناصيته إذلال له، وأصل الناصية الاتصال من قولهم: (مفازة تناصي مفازة)^(٢) إذا كانت الأخيرة متصلة بالأولى، قال الشاعر:

قِيُّ تَنَاصِيهَا بِلَادِ قِيِّ

فصل

قوله: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا﴾ الآية: ٥٩.

(الجحد ضد الاعتراف، والنفي نقيض الاثبات)^(٣) والجحد خبر بأن المعنى لا يعرف صحته، والنفي خبر بعدمه^(٤).
قال صاحب العين: الجحد انكارك بلسانك ما تستيقنه نفسك.

فصل

قوله: ﴿وَإِلَى ثُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُومِرَ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^٥ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ الآية: ٦١.

قوله: ﴿أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ قيل في معناه قولان: أحدهما: أنه خلقكم من آدم وآدم من تراب، الثاني: أنه خلقكم في الأرض، والأول اختيار الجبائي وهو الأقوى^(٥).

١. الرحمن: ٤١.

٢. قارن: ٦، ١١.

٣. ما بين القوسين من كلام ابن إدريس فيما يبدو، قارن: ٦، ١٤.

٤. قارن: ٦، ١٤.

٥. قارن: ٦، ١٦.

والإنشاء هو الإيجاد ابتداءً من غير استعانة بشيء من الأسباب^(١).
والعبادة لا تستحق إلا بالنعم المخصصة التي هي أصول النعم، فلذلك لا يستحق بعضنا على بعض العبادة وإن استحق الشكر، ولذلك لا تحسن العبادة ابتداءً، كما لا يحسن الشكر إلا في مقابلة النعم^(٢).
وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ معناه أنه قريب الرحمة، لا من قرب المكان، لكنه خرج هذا المخرج لحسن البيان في المبالغة^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ الآية: ٦٢.
الريبة هي الشك، إلا أن مع الريبة تهمة للمعنى ليست في نقيضه، والشك قد يعتدل فيه التقيضان^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَيَقَوْمٍ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ الآية: ٦٤.
المسّ واللمس متقاربان، وفرق بينهما الرماني بأن المسّ يكون بين جمادين، واللمس لا يكون إلا بين حيين لما فيه من الإدراك^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ١٧.

٥. قارن ٦: ١٩.

فصل

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا^ط﴾

الآية: ٦٩.

قال محمد بن يزيد المبرد: السلام في اللغة يحتمل أربعة أشياء: منها مصدر سلمت، ومنها جمع سلامة، ومنها اسم من أسماء الله، ومنها اسم شجرة، ومنه قول الأخطل: إلا سلام وحرمل^(١).

وقوله: ﴿ذَارُ السَّلَامِ﴾ يحتمل أن يكون مضافة إلى الله تعظيماً لها، ويجوز أن يكون دار السلام من العذاب ممن حصل فيها^(٢).

وقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٣) قال سيويه: زعم أبو الخطاب أن مثله يريد، مثل قولك: (سبحان الله) تفسيره براءة الله من السوء، وقولك للرجل سلاماً تريد سلاماً منك لا ابتلى بشيء من أمرك^(٤).

فصل

قوله: ﴿قَالَتْ يَنْوِلَتْنِي آدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا^ط إِنَّ

هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ الآية: ٧٢.

١. قول الأخطل إشارة إلى قوله في ديوانه: ٢٥٩ جمع سليم الحاوي:

فراية السكران قفر فما لهم بها شبح إلا سلام وحرمل

٢. قارن ٦: ٢٤.

٣. الفرقان: ٦٣.

٤. قارن ٦: ٢٥.

معنى ﴿يَا وَيْلَتَى﴾ الانذار بورود الأمر الفظيع^(١).

وكان هذا القول من امرأة إبراهيم على وجه التعجب بطبع البشرية، إذ ورد عليها ما لم تجربه العادة قبل أن تفكر في ذلك، كما وكى موسى عليه السلام مدبراً حين انقلبت العصا حية، حتى قيل له: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ وإلا فهي كانت مؤمنة عارفة بأن الله تعالى يقدر على ذلك^(٢).

قال الرماني: والسبب في أن العجوز لا تلد، أن الماء الذي يخلق الله ﷻ منه الولد مع نطفة الرجل قد انقطع، بدلالة ارتفاع الحيض، فجعل الله الولد على تلك الحال معجزاً لنبيه إبراهيم عليه السلام^(٣).

والبلع الزوج، وأصله القائم بالأمر، فيقولون للنخل الذي يستغني بماء السماء عن سقي الأنهار والعيون بعل، لأنه قائم بالأمر في استغنائه عن تكلف السقي له^(٤)، ومالك الشيء القيم بتدبيره بعل، ومنه قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾^(٥).

و ﴿شَيْخًا﴾ نصب على الحال، والعامل فيه ما في هذا من معنى الإشارة والتنبية^(٦).

فصل

قوله: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ [وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ

١. قارن ٦: ٣٢.

٢. قارن ٦: ٣٣، والآية في سورة القصص: ٣١.

٣. قارن ٦: ٣٣.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٦: ٣٣، والآية في سورة الصافات: ١٢٥.

٦. قارن ٦: ٣٣.

السَّيِّئَاتِ ۖ قَالَ يَنْفِقُوهُمْ هَؤُلَاءِ بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ۖ﴾ الآية: ٧٨.

قيل في وجه عرض المسلمة على الكفار قولان:

قال الحسن: ان ذلك كان جائزاً في شرع لوط وفي صدر الإسلام أيضاً، ولذلك زوج النبي ﷺ بنته من أبي العاص قبل أن يسلم، ثم نسخ بقوله: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾^(١).

والثاني: قال الزجاج: ان ذلك عرض بشرط أن يسلموا، كما هو على شرط النكاح الصحيح^(٢).

والضيف يقع على الواحد والاثنين والجماعة^(٣).

فصل

قوله: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ الآية: ٨٠.

إنما قال هذا القول مع أنه كان يأوي إلى الله تعالى، لأنه إنما أراد العدة من الرجال، وإلا فله ركن شديد ويشق من معونة الله ونصره، إلا أنه لا يصح التكليف إلا مع التمكين، والقوة: القدرة^(٤).

١. قارن ٦: ٤٠، والآية في سورة البقرة: ٢٢١.

٢. قارن ٦: ٤١.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ٤٢.

فصل

قوله: ﴿قَالُوا يَلْبُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾
الآية: ٨١.

قوله: ﴿يَقِطْعُ مِنَ اللَّيْلِ﴾ فالقطع القطعة العظيمة تمضي من الليل^(١).

وقال ابن عباس: طائفة من الليل، وقيل: هو نصف الليل كأنه قطع بنصفين، ذكره الجبائي^(٢).

وقوله: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال مجاهد: لا ينظر وراءه أحد، كأنهم تعبدوا بذلك للنجاة بالطاعة في هذه العبادة^(٣).

والآخر قال أبو علي: لا يلتفت منكم أحد إلى ماله ولا متاعه بالمدينة، وليس المعنى لا يلتفت من الرؤية، كأنه أراد أن في الرؤية عبرة فلم ينهوا عنها، وإنما نهوا عما يفترهم عن الجد في الخروج من المدينة^(٤).

١. قارن: ٦: ٤٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ﴾ * [مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ] الآية: ٨٢-٨٣.

قيل في معنى ﴿سِجِّيلٍ﴾ ثمانية أقوال: أحدها: أنها حجارة صلبة، ليست من جنس حجارة الثلج والبرد. وقيل: هو فارسي معرَّب سنك وكلّ، ذكره ابن عباس وقتادة ومجاهد وسعيد بن جبير^(١).

وقال الفراء: من طين قد طبخ حتى صار بمنزلة الآجر^(٢).

سادس الأقوال من السجلّ وهو الكتاب، فتقديره من مكتوب الحجارة، ومنه قوله: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ وهي حجارة كتب الله أن يعذبهم بها، اختاره الزجاج^(٣).

وقوله: ﴿مُسَوِّمَةٌ﴾ يعني المعلمة، وذلك لأنه جعل فيها علامات تدلّ على أنها معدّة للعذاب، فأهلكوا بها، وأصل المسوِّمة (من) السيماء وهي العلامة، وذلك أن الإبل السائمة تُختلط في المرعى، فيجعل عليها السيماء لتمييزها^(٤).

١. قارن ٦: ٤٥.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٦: ٤٦، والآيات في سورة المطففين: ٧-٩.

٤. قارن ٦: ٤٦.

فصل

قوله: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا أَلْمِكَيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ﴾

الآية: ٨٤.

قوله: ﴿إِنِّي أَرَأَيْكُمْ بِخَيْرٍ﴾ يعني برخص السعر، وحذرهم من الغلاء^(١).
والنقصان أخذ الشيء عن المقدار، والزيادة ضم الشيء إلى المقدار،
وكله خروج عن المقدار أو نقصه عنه^(٢).
والوزن تعديل الشيء بغيره في الخفة والثقل بآلة التعديل، وإذا قيل:
شعر موزون، فمعناه معدل بالعروض^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ الآية: ٨٨.

التوفيق عبارة عن اللطف الذي تقع عنده الطاعة (وليس ذلك جنساً بل)
حسب ما يعلم الله تعالى، وإنما لم يكن الموفق للطاعة إلا الله، لأن أحداً لا يعلم
ما يتفق عنده الطاعة من غير تعليم سواء تعالى^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ الآية: ٩٠.

١. قارن ٦: ٤٧.

٢. قارن ٦: ٤٨.

٣. نفس المصدر.

٤. ما بين القوسين من ابن إدريس، قارن ٦: ٥١.

قيل في معنى ذلك قولان:

أحدهما: أطلبوا المغفرة من الله، بأن يكون غرضكم، وتوصلوا إليها بالتوبة.

الثاني: استغفروا ربكم ثم أقيموا على التوبة^(١).

فصل

قوله: ﴿قَالُوا يَنْشَعِيبُ مَا نَفَقَهُ﴾ الآية: ٩١.

أي: لسا نفهم عنك معنى كلامك، والفقهاء فهم الكلام على ما تضمن من المعنى، وقد صار علماً لضرب من علوم الدين، فصار الفقه عبارة عن علم مدلول الدلائل السمعية، وأصول الدين علم مدلول الدلائل العقلية^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ الآية: ٩٤.

قال البلخي: يجوز أن تكون الصيحة صيحة على الحقيقة، كما روي أن الله تعالى أمر جبرئيل فصاح بهم صيحة ماتوا كلهم من شدتها، ويجوز أن يكون ضرباً من العذاب أهلكهم واصطلمهم، تقول العرب: صاح الزمان بآل فلان إذا هلكوا، قال امرئ القيس:

دع عنك نهياً صيح في حجراته ولكن حديث ما حديث الرواحل

ومعنى صيح في حجراته، أي أهلك وذهب به^(٣).

١. قارن ٦: ٥٣.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٦: ٥٧، والبيت في ديوان امرئ القيس: ١٧٤.

فصل

قوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ الآية: ٩٥.

يقال: غنى بالمكان إذا أقام به على وجه الاستغناء به عن غيره، واتخاذَه وطناً وماوى ياوي إليه، ولذلك قيل للمنازل المغاني^(١).

وَيَعِدَّتْ وَيَعِدَّتْ بالكسر والضم لغتان، وكانت العرب تذهب بالرفع إلى التباعد، وبالكسر إلى الدعاء، وهما واحد^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [إِلَىٰ

فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَاتَّبَعُوْهُ أَمْرٌ فِرْعَوْنَ وَمَأْمُرٌ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ] الآية: ٩٦ - ٩٧.

السلطان والآيات وإن كان معناهما الحجج، فإنما عطف احدهما على الأخرى لاختلاف اللفظ^(٣).

واشتقاق السلطان من السليط، وهو ما يستضاء به، ومن ذلك قيل للزيت: السليط^(٤).

١. قارن ٦: ٥٧.

٢. قارن ٦: ٥٨.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ٥٩.

وقوله: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ﴾ معناه أنه أرسل موسى إلى فرعون وأشراف قومه الذين تملأ الصدور هيبتهم^(١).

فصل

قوله: ﴿وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَمْلُوءُ﴾ الآية: ٩٨.

الورد ما يجعله عادة لقراءة أو تلاوة القرآن، والورد ورد الحمى، كل ذلك بكسر الواو^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيرٍ﴾ الآية: ١٠١.

التبوير بمعنى غير تخسير، في قول مجاهد وقتادة، مأخوذ من تبى يده أي خسرت، ومنه تبأله، قال جرير:

عرابة من بقية قوم لوط ألا تبألما فعلوا تبأياً^(٣)

فصل

قوله: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ * يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ

نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ الآية: ١٠٤-١٠٥.

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٦: ٦٠.

٣. قارن ٦: ٦٢، والبيت في ديوان جرير: ٧٢ من قصيدة يهجو بها الراعي النميري جمع الصاوي.

إنما وصف الأجل بأنه محدود، لأنه متناه منقصر، لأن كل محدود قد وجد عدده لا يكون ذلك إلا متاهياً^(١).

فإن قيل: كيف قال ها هنا ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

وقال في موضع آخر: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ * وَلَا يُؤْذَنَ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ^(٢).

وقال في موضع آخر: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾^(٣) وقال: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٤).

وقال في موضع آخر: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾^(٥) وهل هذا إلا ظاهر التناقض؟

قلنا: لا تناقض في ذلك، لأن معنى قوله: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ إنما يسألون سؤال توبيخ وتقرير وتقريع، لا إيجاب الحجة عليهم لا سؤال استفهام، لأنه تعالى عالم بذلك لنفسه^(٦).

وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ أي لا يسأل ليعلم ذلك منه، من حيث أنه تعالى قد علم أعمالهم قبل أن يعملوها، وقيل: معناه أنه لا يسأل عن ذنب المذنب انس ولا جان غيره، وإنما يسأل المذنب لا غير^(٧).

١. قارن ٦: ٦٥.

٢. المرسلات: ٣٥ - ٣٦.

٣. النحل: ١١١.

٤. الصافات: ٢٤.

٥. الرحمن: ٣٩.

٦. قارن ٦: ٦٥.

٧. قارن ٦: ٦٦.

وكذلك قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْطِقُونَ﴾ أي لا ينطقون بحجة، وإنما يتكلمون بالإقرار بذنوبهم ولوم بعضهم بعضاً وطرح بعضهم على بعض الذنوب^(١).

فأما التكلم بحجة فلا، وهذا كما يقول القائل لمن يخاطب بخطاب كثير فارغ من الحجة: ما تكلمت بشيء، فسمي من يتكلم بما لا حجة فيه غير متكلم كما قال: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ وهم كانوا يبصرون ويسمعون^(٢).

وقال بعضهم: إن ذلك اليوم يوم طويل له مواضع ومواطن، ومواقف في بعضها يمنعون من الكلام، وفي بعضها يطلق لهم ذلك، بدلالة قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ وكلاهما حسن، والأول أحسن^(٣).

فصل

قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ الآية: ١٠٧.

الخلود: الكون في الأمر أبداً، والدوام: البقاء أبداً، ولهذا يوصف تعالى بأنه دائم ولا يوصف بأنه خالد^(٤).

وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ اختلفوا في هذا الاستثناء على عدة أقوال، فالذي نختاره _ ويليق بمذهبنا في الإرجاء _ أن الله تعالى أخبر أن الأشقياء المستحقين للعقاب يحصلون في النار^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. قارن: ٦٦، والآية في سورة البقرة: ١٧١.

٣. قارن: ٦٦.

٤. قارن: ٦٧.

٥. نفس المصدر.

ثم استثنى من أراد من فساق أهل الصلاة إذا أراد التفضل باسقاط عقابه، أو من يشفع فيه النبي ﷺ، فعند ذلك لا يدخله النار، وتكون على هذا ما معناها من، كأنه قال: إلا من شاء ربك فلا يدخله النار، وهو قول ابن عباس وقتادة والضحاك وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري وجماعة من المفسرين^(١).

فصل

قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَيَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ الآية: ١٠٨.

معنى: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ المصدر، كأنه قال: دوام السماوات والأرض إلا مشيئة ربك، وفيه حسن التقابل، وفيه جميع ما ذكرناه في الاستثناء من الخلود في النار، إلا الوجهين اللذين ذكرناهما في جواز إخراج بعض الأشقياء من تناول الوعيد لهم، أو إخراجهم من النار بعد دخولهم فيها، فإن ذلك لا يجوزها هنا، لإجماع الأمة على أن كل مستحق للثواب لا بد أن يدخل الجنة ولا يخرج منها بعد دخوله فيها^(٢).

وقيل فيه وجه آخر يوافق ما قلناه في الآية الأولى، وهو أن يكون المعنى أن الذين سعدوا بطاعات الله يدخلون الجنة خالدين فيها^(٣).

واستثنى من جملتهم من كان مستحقاً للنار وأراد الله عقابهم ثم أخرجهم

١. قارن ٦: ٦٨.

٢. قارن ٦: ٧١.

٣. نفس المصدر.

منها، فكأنه قال: خالدين فيها إلا مدة ما كانوا معاقبين في النار، ذهب إليه الضحاك، وهو يليق بقولنا في الأرجاء^(١).

فصل

قوله: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ الآية: ١١٣.

نهى الله تعالى في هذه الآية عباده المكلفين عن أن يركنوا إلى الذين ظلموا نفوسهم وغيرهم، والركون إلى الشيء هو السكون إليه بالمحبة له والانصات إليه، ونقيضه النفور عنه^(٢).

وإنما نهاهم عن الركون إلى الظلمة، لما في ذلك من التأنيس به ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ جواب النهي وبيان، لأنهم متى خالفوا هذا النهي وسكنوا إلى الظالمين نالتهم النار، ولم يكن لهم ناصر من دون الله يدفع عنهم، ثم لا يجدون من ينصرهم^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ الآية: ١١٤.

قوله: ﴿طَرَفِي النَّهَارِ﴾ يريد بهما صلاة الفجر والمغرب، في قول ابن عباس والحسن وابن زيد والجبائي^(٤).

١. قارن ٦: ٧١.

٢. قارن ٦: ٧٨.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ٧٩.

وقال الزجاج: يعني الغداة والظهر والعصر، وبه قال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي والضحاك^(١).

ويحتمل أن يريد بذلك صلاة الفجر والعصر، لأن طرف الشيء من الشيء، وصلاة المغرب ليست من النهار^(٢).

وقوله: ﴿وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد: يريد عشاء الآخرة^(٣).

وقال الزجاج: يعني المغرب والعشاء الآخرة، والزلفة المنزلة وجمعها زُلف، قال العجاج:

ناج طواه الاين ممّا وجفا طي الليالي زلفاً فزلفاً^(٤)

ومنه اشتقاق المزدلفة، لاذلاف الناس إليها منزلة من عرفات^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا﴾ الآية: ١١٦.

معنى ﴿أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ أي عَوَّدُوا الترفه بالنعيم واللذة، وذلك أن الترفه عادة

النعمة، قال الشاعر:

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن: ٧٩، والرجز للعجاج كما في ديوانه: ٤٩٥ - ٤٩٦ تحال الدكتور عزة حسن.

٥. قارن: ٧٩.

تهدى رؤوس المترفين الصداد إلى أمير المؤمنين الممتاد^(١)

أي: المسؤول فأبطرتهم النعمة حتى طغوا وبغوا.

وفي الآية دلالة على وجوب النهي عن المنكر، لأنه تعالى ذمهم بترك النهي عن الفساد، وأنه نجى القليل بنهيهم عنه، فلو نهى الكثير كما نهى القليل لما أهلكوا^(٢).

ومعنى ﴿أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ أصحاب جماعة تبقى من نسلهم، والبقية ممدوحة، يقال: في فلان بقية، أي فيه فضل وخير، كأنه قيل: بقية خير من الخير الماضي^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ إِلَّا مَن رَّحِمَ

رَبُّكَ ۗ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ الآية: ١١٨ - ١١٩.

هذه الآية تتضمن الإخبار عن قدرته تعالى بأنه لو شاء تعالى لجعل

الناس أمة واحدة، أي على دين واحد كما قال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾^(٤)

١. الرجز لرؤبة وفي ديوانه جمع وليم بن الورد البروسي: ٣٨ - ٤١ قصيدة على الروي والقافية ولم

يرد فيها البيت الشاهد .

٢. قارن ٦: ٨٢ .

٣. نفس المصدر .

٤. الزخرف: ٢٢ .

وقال: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(١) أي على دين واحد، بأن يلجأهم إلى الإسلام، بأن يخلق في قلوبهم العلم بأنهم لو راموا غير ذلك لمنعوا منه^(٢).

لكن ذلك ينافي التكليف، وببطل الغرض بالتكليف، لأن الغرض به استحقاق الثواب، والإلجاء يمنع من استحقاق الثواب^(٣).

وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ معناه في الأديان كاليهود والنصارى والمجوس وغير ذلك من اختلاف المذاهب الباطلة^(٤).

والاختلاف هو اعتقاد كل واحد نقيض ما يعتقده الآخر، وهو ما لا يمكن أن يجتمعا في الصحة، وإن أمكن أن يجتمعا في الفساد، ألا ترى أن اليهودية والنصرانية لا يجوز أن يكونا صحيحتين مع اتفاقهما في الفساد^(٥).

ويجوز أن يكون في اختلاف أهل الملل المخالفة للإسلام حق، لأن اعتقاد اليهودي أن النصرانية باطلة، واعتقاد النصراني أن اليهودية فاسدة حق^(٦).

والمعنى: ولا يزالون مختلفين بالباطل ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ بفعل اللطف لهم^(٧).

وقوله: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قبل في معناه قولان:

١. الزخرف: ٣٣.

٢. قارن ٦: ٨٣.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٦: ٨٤.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

أحدهما: قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: إن المراد وللرحمة خلقهم، وليس لأحد أن يقول: لو أراد ذلك لقال ولتلك خلقهم، لأن الرحمة مؤنثة اللفظ وذلك أن تأنيث الرحمة ليس بتأنيث حقيقي، وما ذلك حكمه جاز أن يعبر عنه بالتذكير، ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ولم يقل قريبة^(١).

الثاني: أن يكون اللام لام العاقبة، والتقدير: أنه مخلقهم وعلم أن عاقبتهم تؤول إلى الاختلاف المذموم، كما قال: ﴿فَالْتَفَتَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ ولا يجوز أن يكون اللام لام الغرض، ويرجع إلى الاختلاف المذموم، لأن الله تعالى لا يخلقهم ويريد منهم خلاف الحق، لأنه صفة نقص يتعالى الله عن ذلك^(٢).

وأيضاً فلو أراد منهم ذلك الاختلاف لكانوا مطيعين له، لأن الطاعة هي موافقة الإرادة أو الأمر، ولو كانوا كذلك لم يستحقوا عقاباً، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣) فبين أنه خلقهم وأراد منهم العبادة، فكيف يجوز مع ذلك أن يكون مريداً لخلاف ذلك؟ وهل هذا إلا تناقض؟ يتعالى الله عن ذلك.

على أن في اختلاف أهل الضلال ما يريده الله، وهو اختلاف اليهود والنصارى في التثليث، واختلاف النصارى لليهود في تأييد شرع موسى^(٤).

١. قارن ٦: ٨٤، والآية في سورة الأعراف: ٥٦.

٢. قارن ٦: ٨٥، والآية في سورة القصص: ٨.

٣. الذاريات: ٥٦، قارن ٦: ٨٥.

٤. قارن ٦: ٨٥.

فصل

قوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الآية: ١٢٣.

الغيب كون الشيء بحيث لا يلحقه الحس، ومنه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي عالم الموجود والمعدوم، وما يغيب عن احساس الناس وما يظهر^(١).

ومعنى: ﴿وَالَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ أي يذهب إلى حيث ابتدأ منه، فرجع الأمر إلى الله بالإعادة بعد النشأة الأولى، وقيل: ترجع الأمور إلى الله لا يملكها سواه^(٢).



١. قارن ٦: ٩٠، والآية في سورة التوبة: ٩٤.

٢. قارن ٦: ٩٠.

سورة يوسف

فصل

قوله: ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ الآية: ١.

المبين معناه المظهر لحلال الله وحرامه والمعاني المرادة به، وهو قول مجاهد وقتادة، والبيان هو الدلالة^(١).

فصل

قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا [لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ]﴾ الآية: ٢.

القرآن كلام في أعلى طبقة البلاغة، ووجه بلاغة القرآن كونه في نهاية التلاؤم المنافي للتنافر في تأليف اللفظ والمعنى، مع تشاكل المقاطع في الفواصل بما يقتضيه المعنى، ومع تصريف القول على أحسن ما تصرف به المعنى^(٢).

والعقل مجموعة علوم يتمكن معها من الاستدلال بالشاهد على الغائب، ويفصل به بين الحسن والقيبح، ثم يجري على كل ما يعقله الإنسان في نفسه من المعاني^(٣).

١. قارن: ٦: ٩٢.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن: ٦: ٩٢.

وفي الآية دلالة على أن كلام الله محدث، لأنه وصفه بالانزال وبأنه عربي، ولا يوصف بذلك القديم^(١).

وفيه دلالة على أن القرآن غير الله، لأنه وصفه بأنه عربي ومن زعم أن الله عربي كفر، وما كان غير الله فهو محدث^(٢).

فصل

قوله: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَتَأْتِ بِإِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ الآية: ٤.

إنما أعاد ذكر ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ لأمرين:

أحدهما: للتوكيد حيث طال الكلام، الثاني: ليدل أنه رآهم ورآى سجودهم.

وفي معنى سجودهم له قيل قولان:

أحدهما: هو السجود المعروف على الحقيقة تكرمة له لا عبادة له،
والثاني: الخضوع له في قول أبي علي، كما قال الشاعر:

ترى الأكفم فيه سجداً للحوافر^(٣)

وهو ترك للظاهر، وقال الحسن: الأحد عشر كوكباً أخوته، والشمس
والقمر أبواه، وإنما قال: ﴿سَاجِدِينَ﴾ بالياء والنون، وهو جمع ما يعقل لأنه لما

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. فارن: ٩٥، والبيت لزيد الخيل وصدرة: بجيش تفضل البلق في حجراته.

وصفها بفعل ما يعقل من السجود أجرى عليها صفات ما يعقل، كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ لما أمروا أمر من يعقل^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنِي لَّا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾ الآية: ٥.

إنما صغر ﴿بْنِي﴾ مع عظم منزلته، لأنه قصد بذلك صغر السن، ولم يقصد به تصغير الذم^(٢).

والرؤيا تصوّر المعنى في المنام على توهم الأبصار، وذلك أن العقل مغمور بالنوم، فإذا تصوّر الإنسان المعنى توهم أنه يراه^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْتَبِيكَ رُئُوكَ﴾ الآية: ٦.

الاجتباء اختيار معالي الأمور للمجتنبي، مثل ما اختاره الله تعالى ليوسف من الخصال الكريمة والأمر السنية^(٤).

فصل

قوله: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ

[إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ]﴾ الآية: ٨.

١. قارن ٦: ٩٥، والآية في سورة النمل: ١٨.

٢. قارن ٦: ٩٧.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ٩٨.

العصبة: الجماعة التي يتعصب بعضها لبعض، وكانوا عشرة، والعصبة تقع على جماعة من عشرة إلى خمسة عشر، ولا واحد له من لفظه، كالرھط والقوم والنفر^(١).

وقوله: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ معناه الإخبار عن قولهم إن أبانا في ذهاب عن طريق الحق والصواب، الذي فيه التعديل بيننا في المحبة، ولم يريدوا الضلال في الدين، لأنهم لو أرادوا ذلك لكانوا كفاراً، وذلك خلاف الإجماع^(٢). وأكثر المفسرين على أن أخوة يوسف كانوا أنبياء، وقال قوم: لم يكونوا كذلك وهو مذهبنا، لأن الأنبياء لا يجوز أن تقع منهم القبائح، وخاصة ما فعلوه مع أخيه يوسف من طرحه في الجب، وبيعهم إياه بالثمن البخس، وإدخالهم الغم به على أبيهم يعقوب، وكل ذلك يبين أنهم لم يكونوا أنبياء^(٣).

فصل

قوله: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ﴾ الآية: ١٠.

الالتقاط: تناول الشيء من الطريق، ومنه اللقطة واللقطة، ومعنى التقاطه أن يجده من غير أن يحتسبه، يقال: وردت الماء التقاطاً إذا وردته من غير أن تحتسبه^(٤).

١. قارن ٦: ١٠١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ١٠٣.

فصل

قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَنصِحُونَ﴾ الآية: ١١.

النصح: اخلاص العمل من فساد يتعمد، ونقيضه الغش، والنصح في التوبة إخلاصها مما يفسدها، وذلك واجب فيها، وهي التوبة النصوح^(١).

فصل

قوله: ﴿إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ الآية: ١٤.

الخسران: ذهاب رأس المال، والربح: زيادة على رأس المال^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَجَاءَ آبَاَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ الآية: ١٦.

العشاء آخر النهار، ومنه اشتق الأعشى، لأنه يستضيئ ببصر ضعيف، والبكاء جريان الدمع من العين عند حال الحزن^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ الآية: ٢١.

١. قارن ٦: ١٠٤.

٢. قارن ٦: ١٠٨.

٣. قارن ٦: ١١٠.

معناه: أنه قادر عليه من غير مانع حتى يقع ما أراد، ومنه وقوع المقهور بالغلبة في الذلة^(١).

ولا يدل ذلك على أن من فعل ما كرهه الله يكون قد غالب الله، لأن المراد بذلك ما قلناه من أنه غالب على ما يريد فعله بعباده^(٢).

فأما ما يريده على وجه الاختيار منهم، فلا يدل على ذلك، ولذلك لا يقال إن اليهودي المعتقد قد غلب الخليفة، حيث لم يفعل ما أراده الخليفة من الايمان وفعل ما كرهه من اليهودية، وهذا واضح^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ^ط وَهَمَّ بِهَا^ط﴾ الآية: ٢٤.

معنى الهم في اللغة على وجوه:

منها العزم على الفعل، كقوله: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَنْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾^(٤) أي أرادوا ذلك وعزموا عليه، ومثله قول الشاعر:

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله^(٥)

ومنها: خطور الشيء بالبال، وإن لم يعزم عليه، كقوله: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ والمعنى أن الفشل خطر ببالهم^(٦).

١. قارن ٦: ١١٦.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. المائدة: ١١.

٥. البيت لضابئ البرجمي كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢٠٣ ط ليدن.

٦. قارن ٦: ١٢٠، والآية في سورة آل عمران: ١٢٢.

ولو كان الهمّ ها هنا عزمًا، لما كان الله وليهما، لأنّه قال: ﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ ذُبْرَةٌ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ وإرادة المعصية والعزم عليها معصية بلا خلاف^(١).

وقال قوم: العزم على الكبير كبير، وعلى الكفر كفر، ولا يجوز أن يكون الله ولي من عزم على الفرار عن نصرته نيّة^(٢)، ويقوي ذلك قول كعب بن زهير:

فكم فيهم من سيد متوسع ومن فاعل للخير إن همّ أو عزم^(٣)

ففرّق بين الهمّ والعزم، وظاهر التفرقة يقتضي اختلاف المعنى، ومنها المقاربة يقولون: همّ بكذا وكذا، أي: كاد بفعله^(٤)، قال ذو الرمة:

أقول لمسعود بجرعاء مالك وقد همّ دمعي أن تسيح أوائله^(٥)

والدمع لا يجوز عليه العزم، وإنّما أراد كاد وقارب، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ أي: كاد^(٦).

ومنها الشهوة وميل الطباع، يقول القائل فيما يشتهي ويميل طبعه ونفسه إليه: هذا من همّي، وهذا أهمّ الأشياء إليّ^(٧).

١. قارن ٦: ١٢٠، والآية في سورة الأنفال: ١٦.

٢. البيت لكعب بن زهير كما في ديوانه: ٦٩ ط دار الكتب المصرية.

٣. قارن ٦: ١٢١.

٤. قارن ٦: ١٢١، والبيت للذي الرمة كما في ديوانه: ١٢٤٥ ط دمشق سنة ١٣٩٢ وروايته أن تلج أوائله.

٥. قارن ٦: ١٢١، والآية في سورة الكهف: ٧٧.

٦. قارن ٦: ١٢١.

وروي هذا التأويل في الآية عن الحسن فقال: أَمَا هَمَّهَا فَكَانَ أَخْبَثَ الهم، وَأَمَا هَمُّهُ فَمَا طَبَعَ عَلَيْهِ الرِّجَالُ مِنْ شَهْوَةِ النِّسَاءِ^(١).

وإذا احتمل الهمّ هذه الوجوه، نفينا عنه **إِثْلَالُ الْعِزْمِ** على القبيح، وأجزنا باقي الوجوه لأنّ كلّ واحد منها يليق بحاله^(٢).

ويمكن أن يحمل الهم في الآية على العزم، ويكون المعنى: وهمّ بضربها ودفعها عن نفسه، كما يقول القائل: كنت هممت بفلان، أي بأن أوقع به ضرباً أو مكروهاً^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَقُلْنَا حَنَشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾ الآية: ٣١.

قال أبو عليّ الفارسي: لا يخلو قولهم ﴿حَاشَ لِلَّهِ﴾ من أن يكون الحرف الجار في الاستثناء، كما قال الشاعر:

حاشى أبي ثوبان^(٤)

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ١٣٠ وجزء من بيت نسبه في لسان العرب إلى سيرة بن عمرو الأسدي وهو:

حاشى أبي ثوبان إن به ضناً عن الملحاة والشتم

وقال أبو حيّان في البحر المحيط ٥: ٣٠ ط دار الكتب العلمية بيروت، هو بيت ركبوا فيه صدر بيت على عجز آخر، وهما من بيتين وهما:

حاشى أبي ثوبان إن أبا ثوبان ليس بيكمة قدم

عمرو بن عبد الله إن به ضناً عن الملحاة والشتم

أو فاعلاً من قولهم: (حاشى يحاشى) ولا يجوز أن يكون حرف الجر، لأن حرف الجر لا يدخل على مثله، فإذا بطل ذلك ثبت أنه فاعل مأخوذ من الحشى الذي هو الناحية، والمعنى: أنه صار في ناحية ممّا قذف به، وفاعله يوسف، والمعنى بعد عن هذا الذي رمي به^(١).
 ﴿الله﴾ أي: لخوفه من الله ومراقبته أمره^(٢).

فصل

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ [مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ] وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الآية: ٣٣.
 إنما جاز أن يقول: السجن أحب إليّ من ذلك، وهو لا يحب ما يدعونه إليه ولا يريده ولا يريد السجن أيضاً، لأنه إن أريد به المكان فذلك لا يراد، وإن أريد به المصدر فهو معصية (منهي) عنها^(٣)، فلا يجوز أن يريده لأمرين: أحدهما: أن ذلك على وجه التقدير، ومعناه: أنني لو كنت ممّا أريده لكانت إرادتي لهذا أشد.

الثاني: أن المراد أن توطئن نفسي على السجن أحب إليّ^(٤).
 وقيل: معناه أن السجن أسهل عليّ ممّا يدعونني إليه^(٥).

١. قارن ٦: ١٣٠.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٦: ١٣٤، وما بين القوسين تصحيح من المصدر.

٤. قارن ٦: ١٣٤.

٥. نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَلَا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ معناه ضرر كيدهن، لأن كيدهن قد وقع وحصل^(١).

فصل

قوله: ﴿إِنِّي أَرْلِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ الآية: ٣٦.

الخمر: عصير العنب إذا كان فيه الشدة، والتقدير: أعصر العنب للخمر^(٢)، وقال الضحاك: هي لغة يسمي العنب خمرًا، ذكر جماعة أنها لغة عمان^(٣).
والإحسان: النفع الواصل إلى الغير إذا وقع على وجه يستحق به الحمد، وإن اختصرت فقلت هو النفع الذي يستحق عليه الحمد جاز، لأن ما يفعله الإنسان مع نفسه لا يسمي إحساناً^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ﴾ الآية: ٣٨.

الملة مذهب جماعة يحمي بعضها بعضاً في الديانة، وأصله الحمى من المليئة، وهي حمى ما يلحق الإنسان دون الحمى^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٦: ١٣٨.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٦: ١٤٠.

والآباء جمع أب، وهو الذي يكون منه نطفة الولد، والأم الأنثى التي يكون منها الولد، والجد أب بواسطة، ولا يطلق عليه صفة أب، وإنما يجوز ذلك بقرينة تدلّ على أنّه أب بواسطة الإبن، وجد الأب أب بواسطتين^(١).

فصل

قوله: ﴿إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾ الآية: ٤٠.

قيل في معناه قولان:

أحدهما: أنّه لما كانت الأسماء التي سمّوا بها آلهتهم لا تصحّ معانيها، صارت كأنّها أسماء فارغة يرجعون في عبادتهم إليها، فكأنّهم إنّما يعبدون الأسماء، لأنّه لا يصحّ معاني يصحّ لها من إله ورب^(٢).

الثاني: إلّا أصحاب أسماء سمّيتوها لا حقيقة لها^(٣).

والعبادة هي الاعتراف بالنعمة، مع ضرب من الخضوع في أعلى الرتبة، ولذلك لا يستحقها إلّا الله تعالى^(٤).

فصل

قوله: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ الآية: ٤١.

الاستفتاء طلب الفتيا، والفتيا جواب بحكم المعنى فهو غير الجواب بعينه^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٦: ١٤٢.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٦: ١٤٣.

فصل

قوله: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾ الآية: ٤٧.

الزراع طرح الحب في الأرض بالدفن مع التعاهد له بالسقي، تقول: زرع يزرع زرعاً وازدراع ازدراعاً وزارعه مزارعة^(١).
والحصد قطع الزرع، حصده يحصده حصداً، واستحصد الزرع إذا حان حصاده^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ﴾ الآية: ٥٠.

الملك هو القادر الواسع المقدور الذي إليه السياسة والتدبير، وكان هذا الملك ملك مصر.
ويجوز أن يمكن الله الظالم من الظلم وينهاه عن فعله، ولا يجوز أن يملكه الظلم، لأن ما يملكه فقد جعل له، وذلك لا يليق بعدله، وعلى هذا إذا مكّن الله تعالى من الظلم أو الغضب لا يكون ملكه، لأنه لم يجعل له التصرف فيه، بل زجره عنه^(٣).

فصل

قوله: ﴿قَالَ آجَعَلَنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ [إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ]

الآية: ٥٥.

١. قارن ٦: ١٤٩.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٦: ١٥٢.

طلب إليه ذلك، ليحفظ ذلك عمّن لا يستحقه، ويوصله إلى الوجوه التي يجب صرف الأموال إليها، فلذلك رغب إلى الملك فيه، لأنّ الأنبياء لا يجوز أن يرغبوا في جمع أموال الدنيا إلّا لما قلناه^(١).

وقوله: ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾ معناه حافظ للمال عمّن لا يستحقه، عليم بالوجوه التي يجب صرفها إليه^(٢).

وفي الآية دلالة على جواز تقلّد الأمر من قبل السلطان الجائر إذا تمكّن معه من ايصال الحقّ إلى مستحقه^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا﴾ الآية: ٥٦.

التبوء هو اتخاذ منزل يرجع إليه، وأصله الرجوع من: ﴿بَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ قال الشاعر:

فإن تكن القتلى بواء فإنكم فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر^(٤)

أي: يرجع بدم بعضها على بعض، فإنّ هذا المقتول لا كفاء لدمه^(٥).

فصل

قوله: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ الآية: ٥٩.

١. قارن ٦: ١٥٧.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ١٥٨، والبيت من شعر ليلي الأخيلية كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢٧٤ ط ليدن.

٥. قارن ٦: ١٥٨.

الوفاء تمام الأمر على ما يوجه الحق، ويكون ذلك في الكيل، وفي الوزن، وفي الذرع، وفي العد، وفي العقد^(١).

فصل

قوله: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَنَهَا﴾ الآية: ٦٨.

لما وردوا عليه، ودخلوا إليه من أبواب متفرقة حسب ما أمرهم به أبوهم، ورغبهم فيه، لم يكن يعقوب يغني عنهم من الله شيئاً، إلا حاجة في نفس يعقوب قضاهها من خوف العين عليهم أو الحسد، على اختلاف القولين^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ الآية: ٨١.

الشهادة خبر عن مشاهدة اقرار أو حال، ويجوز أن يشهد الإنسان بما علمه من جهة الدليل، كشهادتنا بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ الآية: ٨٤.

١. قارن ٦: ١٦٠.

٢. قارن ٦: ١٦٨.

٣. قارن ٦: ١٨٠.

أخبر الله بأنّه ابيضّت عيناه، والمعنى: أنّه عمي فلم يبصر شيئاً، والعين حاسة الإدراك للمريّات^(١).

والحزن: الغم الشديد، وهو من الحزن وهي الأرض الغليظة، والكظيم: هو الممسك للحزن في قلبه لا يبتّه بما لا يجوز إلى غيره^(٢).

فصل

قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ الآية: ٨٦.

البث: تفريق الهم بإظهاره عن القلب، يقال: بثّه ما في نفسه بثّاً، وأبّثه إبثاثاً، وبثّ الخيل على العدو إذا فرقها^(٣).

والبكاء ليس بممنوع منه في الشرع، وإنّما الممنوع للطمع وانخدش والجزّ وتخريق الثياب، والقول الذي لا يسوغ، وكلّ ذلك لم يكن منه عليه^(٤).

فصل

قوله: ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ الآية: ٨٨.

الأهل خاصة الشيء الذي ينسب إليه، ومنه قوله: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ وتسمّى زوجة الرجل بأنّها أهله، وكذلك أهل البلد وأهل الدار، وهم خاصّة الذين ينسبون إليه^(٥).

١. قارن ٦: ١٨٢.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٦: ١٨٤.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٦: ١٨٦، والآية في سورة هود: ٤٥.

فصل

قوله: ﴿وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ الآية: ٩٠.

أي: أنعم علينا بنعمة قطعتنا عن حال الشدة، يقال: من الله عليه يمنٌ مناً، وأصله القطع من قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي غير مقطوع، ومنه من عليه في الصنيعة، إذا ذكرها بما يجري مجرى التعبير بها لأنه قاطع عن شكرها^(١).

والمنون: الموت، لأنه يقطع عن تصرف الأحياء^(٢).

والاحسان فعل يستحق به الحمد^(٣).

فصل

قوله: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ] وَهُوَ أَرْحَمُ

الرَّحِيمِينَ] الآية: ٩٢.

معناه: لا تأثر عليكم اليوم بما سلف منكم، والثريب تعليق الضرر لصاحبه من أجل جرم كان منه^(٤).

وقال سفيان: معنى ﴿لَا تَثْرِبَ﴾ لا تعبير، وقيل: معناه لا تخلط بعائد مكروه^(٥).

١. قارن ٦: ١٨٩، والآية في سورة فصلت: ٨.

٢. قارن ٦: ١٨٩.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ١٩١.

٥. نفس المصدر.

قيل في معنى قوله ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: أنه دعا لهم بالمغفرة، ويكون الوقف عند قوله: ﴿لَا تَشْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ ثم ابتداء فقال: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ﴾ وقد وقف بعضهم عند قوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ والأول أجود.

الثاني: لما كان ظلمهم له معلّقاً بإحلاله إياهم منه، حسن هذا القول، لأنّ الله هو الآخذ له بحقه إلا أن يصفح^(١).

فصل

قوله: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي﴾ الآية: ٩٣.

هذا إخبار من الله تعالى بأن يوسف أعطى إخوته قميصه وقال لهم: احملوه إلى أبي يعقوب واطرحوه على وجهه، فإنّه يرجع بصيراً ويزول عنه العمى، وذلك معجز دال على نبوّته^(٢).

لأنّه على قول المفسرين كالحسن والسدي وغيرهما: كان قد عمي، ولولا أن الله أعلمه أنّه يرجع بصيراً لم يدر أنّه يرجع إليه بصره^(٣).

فصل

قوله: ﴿يَتَابَانَا أَسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ الآية: ٩٧.

١. قارن ٦: ١٩١.

٢. قارن ٦: ١٩١.

٣. قارن ٦: ١٩٢، وليعلم أن هنا تقديم وتأخير في ترتيب الآيات المفسرة، فقد ذكرت الآية: ٩٣ قبل الآيات: ٨٨ و ٩٠ و ٩٢، ولم ينبّه على ذلك في المطبوعة، فأعدنا ترتيبها كما في المصدر وكما يقتضيه السياق.

أي: سل الله أن يستر علينا ذنوبنا، لا يعاقبنا عليها^(١).

ومتى قيل: كيف سألوه الإستغفار مع أنهم كانوا تابوا، والتوبة تسقط العقاب؟.

قلنا: أما على مذهبنا فإن التوبة لا تسقط العقاب وجوباً، وإنما يسقطه الله تعالى عندها تفضلاً.

وأما على مذهب مخالفينا، فإنهم سألوه ذلك، لأجل المظلمة المتعلقة بصفح المظلوم، وسؤال صاحبه أن لا يأخذه بظلمه^(٢).

فصل

قوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ الآية: ٩٩.

يعني: أباه يعقوب وأمه، فثني على لفظ الأب تغليلاً للذكر على الأنثى، ولم يثن على لفظ الأم، كما غلب المفرد على المضاف في قولهم: سنة العمرين، ومثله قوله: ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾^(٣) يعني أباه وأمه^(٤).

فصل

قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ﴾ الآية: ١٠٢.

١. قارن ٦: ١٩٥.

٢. نفس المصدر.

٣. النساء: ١١.

٤. قارن ٦: ١٩٦.

الغيب: ذهاب الشيء عن الحس، ومنه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(١) أي عالم بما غاب عن الحواس وبما حضرها^(٢).
﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ أي نلقيه، والايحاء: الالقاء^(٣).

فصل

قوله: ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ
السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ الآية: ١٠٧.

الغاشية ما يتجلل الشيء بانبساطها عليه، يقال: غشيه يغشاه غشياناً فهو غاشٍ وهي غاشية، أو تغيثهم القيامة بغتة أي فجأة^(٤).
والبغتة والفجأة والفلتة نظائر، وهو مجيئ الشيء من غير مقدمة، قال
يزيد بن مقسم الثقفي:

ولكنهم بانوا ولم أدر بغتة وأفطع شيء حين يفجؤك البغت^(٥)

فصل

قوله: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ الآية: ١٠٩.

مَنْ جَرَّهُ فعلى الإضافة، تقديره: ولداد الحال الآخرة، لأن للناس حالين:
حال الدنيا وحال الآخرة، ومثله صلاة الأولى والصلاة الأولى، فمن أضافه قدر

١. الأنعام: ٧٣ وغيرها.

٢. قارن ٦: ٢٠٠.

٣. قارن ٦: ٢٠١.

٤. قارن ٦: ٢٠٤.

٥. قارن ٦: ٢٠٤، والبيت في لسان العرب منسوب إلى يزيد بن ضبة الثقفي.

صلاة الفريضة الأولى، ومن لم يصف جعله صفة، ومثله ساعة الأولى والساعة الأولى، ذكره الزجاج^(١).

وقال الفراء: قد يضاف الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظهما، مثل حق اليقين ومثله بارحة الأولى والبارحة الأولى، ومسجد الجامع والمسجد الجامع^(٢).

فصل

قوله: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ الآية: ١١١.

معناه: إن ما أخبرناك به لم يكن حديثاً كذباً، والحديث الإخبار عن حوادث الزمان، وتسميته بأنه حديث يدل على أنه حادث، لأن القديم لا يكون حديثاً^(٣).

والافتراء القطع بالمعنى على خلاف ما هو به، وأصل الفري من قولهم: فريت الأديم فرياً إذا قطعته^(٤).



١. قارن ٦: ٢٠٦.

٢. قارن ٦: ٢٠٧.

٣. قارن ٦: ٢٠٩.

٤. نفس المصدر.

سورة الرعد

فصل

قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا﴾ الآية: ٢.

قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ معناه استولى بالاعتقاد عليه ونفوذ السلطان، وأصله استواء التدبير، كما أن أصل القيام الانتصاب، ثم يقال: قائم بالتدبير، فالمعنى مستو على العرش بالتدبير المستقيم من جهته بجميع الأمور^(١).

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ فالتسخير والتذليل والتوطئة نظائر، والمسخر هو المهيأ، لأن يجري بنفسه من غير معاناة صاحبه فيما يحتاج إليه، كتسخير النار للإسخان، والماء للجريان، والفرس للركوب^(٢).

والأجل هو الوقت المضروب لحدوث أمر أو انقطاعه، فأجل الدنيا الوقت المضروب لانقضائها، وأجل الآخرة الوقت المضروب لحدوثها، وأجل الدين وقت حدوث أدائه، وأجل العمر الوقت المضروب لانقضائه^(٣).

١. قارن: ٦: ٢١٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَبِّرَاتٌ وَجَنَّتْ مِّنْ أُعْتَسَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] الآية: ٤.

الزرع: القاء الحب للنبات في الأرض، والغرس: جعل الأصل من الشجر النابت في الأرض^(١).

والصنوان: المتلاصق، وهي الفسيلة تكون في أصل النخلة، وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد: الصنوان النخلات التي أصلها واحد^(٢).

﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ معناه أن ما ذكرناه يسقى بماء واحد^(٣).

﴿وَنُفْضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ بأن يكون بعضه حلواً وبعضه حامضاً وبعضه مرّاً في الأكل، فالأكل الطعام الذي يصلح للأكل^(٤).

فدلّ بذلك على بطلان قول من يقول بالطبع، لأنه لو كان قولهم صحيحاً لما اختلفت طعوم هذه الأشياء، مع أن التربة واحدة والأرض واحدة، والماء واحد، وجميع أحوالها المعقولة واحدة متساوية، فلما تفاضلت مع ذلك دلّ على أن المدبّر لها عالم حكيم يفعله بحسب المصلحة^(٥).

١. قارن ٦: ٢١٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ٢١٩.

٥. نفس المصدر.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ إخبار منه تعالى أن فيما ذكرناه دلالات لقوم يعقلونها^(١).

فصل

قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ الآية: ٦.

قال ذلك على وجه الاخبار عن نفسه بالرحمة لخلقه، والتفضل عليهم، بأنه يغفر للناس مع كونهم ظالمين.

وذلك يدل على بطلان قول من قال: إن أصحاب الكبائر لا يجوز أن يعفو الله عنهم إلا بالتوبة، لأنه تعالى لم يشترط في ذلك التوبة، ومن شرط في الآية التوبة أو خصها بالصغائر، كان تاركاً للظاهر^(٢).

فصل

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ [خَوْفًا وَطَمَعًا] وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ الآية: ١٢.

البرق: ما ينفدح من السحاب من اللعان كعمود النار، وجمعه بروق، وفيه معنى السرعة، يقال: امض في حاجتك كالبرق الخاطف^(٣).

قوله: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قيل في معناه قولان:

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٦: ٢٢٢.

٣. قارن ٦: ٢٢٩.

أحدهما: قال الحسن: خوفاً من الصواعق التي يكون مع البرق، وطمعاً في الغيث الذي يزيل الجذب والقحط.
وقال قتادة: خوفاً للمسافر من أذاه، وطمعاً للمقيم في الرزق به^(١).

فصل

قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ الآية: ١٥.

قيل في معنى ذلك ثلاثة أقوال:

أحدها: قال الحسن وقاتدة وابن زيد: أن المؤمن يسجد طوعاً والكافر يسجد كرهاً بالسيف.

الثاني: أن المؤمن يسجد لله طوعاً، والكافر في حكم الساجد كرهاً، بما فيه من الحاجة إليه والذلة التي تدعو إلى الخضوع لله تعالى.

الثالث: قال أبو علي: سجود الكره بالتذلل للتصريف من عافية إلى مرض، وغنى إلى فقر، وحياة إلى موت، كتذليل الأكم للحوافر في قول الشاعر:

تري الأكم فيها سجداً للحوافر

(٢)

وقوله: ﴿وَوَلَّاهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ قيل في معناه قولان:

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٦: ٢٣٤ والشطر من بيت لزيد الخيل صدره (بجمع تفضل البلق في حجرته).

أحدهما: أن سجود الظلال ما فيه من تغير الذكة التي تدعو إلى صانع غير مصنوع له العزة والقدرة^(١).

والثاني: قيل سجود الظلال، لأنه يقصر بارتفاع الشمس ويطول بانحطاطها وذلك من آيات الله الدالة عليه^(٢).

والسجود هو وضع الوجه على الأرض على وجه الخضوع مذللاً لمن وضع له، وأصله التذليل من قول الشاعر:

بجمع تظل البلق في حجراته ترى الأكم فيه سجداً للحوافر^(٣)

وأصل السجود هو الميل والتطأطؤ، يقال: سجد البعير وأسجده صاحبه إذا طأطأه ليركبه^(٤).

والآصال جمع أصل، والأصل جمع أصيل وهو العشي، فكأنه قيل: أصل الليل الذي ينشأ منه، لأنه مأخوذ من الأصيل، وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس^(٥)، قال أبو ذؤيب:

لعمري لأنت البيت أكرم أهله وأقعد في أفئاته بالاصائل^(٦)

فصل

قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية: ١٦.

١. قارن ٦: ٢٣٤.

٢. قارن ٦: ٢٣٥.

٣. نفس المصدر والبيت من الشواهد مرّ ويأتي.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٦: ٢٣٥ والبيت في شرح أشعار الهدلين صناعة السكري ١: ١٤٢ ط مصر.

مَنْ تَعَلَّقَ مِنَ الْمَجْبَرَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلُ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ على أَنَّ أفعال العباد مخلوقة لله فقد أبعد، لأنَّ المراد بذلك أَنَّهُ خالق كلِّ شيء يستحقُّ بخلقه العبادة دون ما لا يستحقُّ به ذلك^(١).

ولو كان المراد ما قالوه، لكان فيه حجة للخلق على الله، وبطل التوحيخ الَّذي تَضَمَّنَتْ الآية إلى من وجَّه عبادته إلى الأصنام، لأنَّه إذا كان الخالق لعبادتهم الأصنام هو الله على قول المجبرة^(٢) فلا توحيخ يتوجَّه على الكفار، ولا لوم يلحقهم، بل لهم أن يقولوا: أنكَ خلقت فينا ذلك فما ذنبنا فيه، ولم توبخنا على فعل فعلته؟ فتبطل حينئذٍ فائدة الآية^(٣).

فصل

قوله: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾

الآية: ١٧.

الوادي سفح الجبل العظيم، المنخفض الَّذي يجتمع فيه ماء المطر، ومنه اشتقاق الدية، لأنَّه جمع المال العظيم الَّذي يؤدَّى عن القتل^(٤).
والاحتمال رفع الشيء على الظهر بقوة الحامل^(٥).

١. قارن: ٦: ٢٣٧.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن: ٦: ٢٣٩.

٥. نفس المصدر.

وقوله هذا يحتمل وجهين، معناه له قوّة يحمل بها الوجهين، والزبد وضر الغليان وهو خبث الغليان^(١).

فصل

قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ الآية: ١٨.

قيل في معناه قولان:

قال إبراهيم النخعي: إنّ سوء الحساب هو مؤاخذة العبد بذنبه، لا يغفر له شيء منه^(٢).

وقال الجبائي: معناه أخذه به على وجه التوبيخ والتقريع^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ الآية: ٢٢.

قال ابن زيد: الصبر على وجهين:

أحدهما: الصبر لله على ما أحب، والآخر الصبر له عمّا كره، كما قال: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(٤).

وقيل: ويدرون سفه الجاهل بما فيهم من الحلو.

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٦: ٢٤١.

٣. قارن ٦: ٢٤٢.

٤. قارن ٦: ٢٤٥.

وقيل: يدفعون ظلم الغير عن نفوسهم بالرفق والمواظظ الحسنه^(١).

فصل

قوله: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ الآية: ٢٣.

الجنات البساتين التي يحفها الشجر، واحدا جنة.

والعدن الإقامة الطويلة، عدن بالمكان ((إذا أقام به)) يعدن عدناً، ومنه المعادن التي يخرج منها الذهب والفضة وغيرهما^(٢).

والسلام التحية بالكرامة على انتفاء كل أمر يشوبه من مضرة^(٣).

فصل

قوله: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ الآية: ٢٦.

معناه: يوسعه على من يشاء من عباده بحسب ما يعلمه من مصلحته ويضيقه على آخرين إذا علم أن مصلحتهم في ذلك^(٤).

فصل

قوله: ﴿قُلْ إِنَّا لِلَّهِ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أُنَابَ﴾

الآية: ٢٧.

١. نفس المصدر .

٢. قارن ٦: ٢٤٦، وما بين القوسين من المصدر .

٣. قارن ٦: ٢٤٦ .

٤. قارن ٦: ٢٤٧ .

أمر الله نبيه أن يقول لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ بمعنى أنه يحكم على من يشاء بالضلال إذا ضلَّ عن طريق الحق.

ويجوز أن يكون المراد يضلُّ من يشاء عن طريق الجنة بسوء أفعالهم وعظم معاصيهم، ولا يجوز أن يريد بذلك الإضلال عن طريق الحق، لأن ذلك سفه لا يفعله الله تعالى^(١).

وقوله: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ أي يحكم لمن رجع إلى طاعة الله والعمل بها بالجنة ويهديه إليها، والهداية الدلالة التي تؤدي إلى طريق الرشداً بدلاً من طريق الغي، والمراد بها الحكم بسلوك طريق الجنة^(٢).

فصل

قوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية: ٢٨.

الإيمان هنا هو الاعتراف بتوحيد الله على جميع صفاته، والاقرار بنبوة نبيه، وقبول ما جاء به من عند الله، والعمل بما أوجبه عليهم. وفي اللغة الإيمان هو التصديق^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ الآية: ٣٠.

١. قارن ٦: ٢٤٩.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

إِنَّمَا قَالَ: ﴿بِالرَّحْمَانِ﴾ دُونَ اللَّهِ لِأَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ قَرِيشٍ قَالُوا: اللَّهُ نَعْرِفُهُ وَالرَّحْمَنَ لَا نَعْرِفُهُ، وَلِذَلِكَ قَالُوا: ﴿وَمَا الرَّحْمَانُ أَتَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾^(١) وَقَالَ: ﴿قُلْ اادْعُوا اللَّهَ أَوْ اادْعُوا الرَّحْمَانَ أَيُّمَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ^(٢).

فصل

قوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ^ط وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾
الآية: ٣٩.

وَجِهَ اتِّصَالُ هَذِهِ الْآيَةِ بِمَا تَقْدَمُ، هُوَ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ اقْتَضَى أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، فَبَيَّنَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ، لِثَلَاثٍ يَتَوَهَّمُ أَنَّ الْمَعْصِيَةَ مُثَبَّتَةً بَعْدَ التَّوْبَةِ كَمَا هِيَ قَبْلَ التَّوْبَةِ^(٣).
وَقِيلَ: إِنَّ مِمَّا يَمْحَى وَيُثَبِّتُ النَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ^(٤).

وَقِيلَ: يَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مِمَّا يُثَبِّتُهُ الْمَلَكَانِ، لِأَنَّهُ لَا يُثَبِّتُ إِلَّا الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي دُونَ الْمُبَاحَاتِ^(٥).

﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ مَعْنَاهُ أَصْلُ الْكِتَابِ، لِأَنَّهُ كَتَبَ أَوَّلًا سَيَكُونُ كَذَا وَكَذَا لِكُلِّ مَا يَكُونُ، فَإِذَا وَقَعَ كَتَبَ أَنَّهُ قَدْ كَانَ مَا قِيلَ أَنَّهُ سَيَكُونُ^(٦).

١. قارن ٦: ٢٥٢، والآية في سورة الفرقان: ٦٠.

٢. قارن ٦: ٢٥٢، والآية في سورة الاسراء: ١١٠.

٣. قارن ٦: ٢٦٣.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٦: ٢٦٤.

وقيل: أصل الكتاب لأن الكتب التي أنزلت على الأنبياء منه نسخت^(١).

فصل

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾

الآية: ٤١.

قيل في معناه أربعة أقوال: قال ابن عباس والحسن والضحاك: ما فتح على المسلمين من أرض المشركين^(٢).

وقال مجاهد وقتادة: ننقصها بموت أهلها.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس ومجاهد بموت العلماء، وفي رواية أخرى عنهما بخرابها^(٣).

والطرف منتهى الشيء، وهو موضع من الشيء ليس وراءه ما هو منه، وأطراف الأرض نواحيها^(٤).

فصل

قوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ

عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ الآية: ٤٣.

١. نفس المصدر.

٢. قانون: ٦: ٢٦٥.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: روي عن ابن عباس أنه قال: هم أهل الكتاب الذين آمنوا من اليهود والنصارى.

وقال الحسن: الذي عنده علم الكتاب هو الله تعالى، وبه قال الزجاج^(١).

وقال أبو جعفر وأبو عبد الله^(٢): هم آئمة آل محمد^(عليهم السلام) لأنهم الذين عندهم علم الكتاب بجملته لا يشذ عنهم شيء من ذلك، دون من ذكره^(٣).

والكفاية: وجود الشيء على قدر الحاجة، فكأنه قيل: قد وجد من الشهادة مقدار ما بنا إليه من الحاجة في فصل ما بيننا وبين هؤلاء الكفار^(٣).



١. قارن ٦: ٢٦٧.

٢. قارن ٦: ٢٦٨.

٣. نفس المصدر.

سورة إبراهيم

فصل

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ^١

فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ الآية: ٤.

يحتمل أمرين: أحدهما: أنه يحكم بضلال من يشاء إذا ضلّوا هم عن طريق الحق^(١).

والثاني: يضلّهم عن طريق الجنة إذا كانوا مستحقين للعقاب، ويهدي من يشاء إلى طريق الجنة^(٢).

ورفع قوله: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ﴾ لأن التقدير الاستئناف لا العطف على ما

مضى، ومثله قوله: ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَتُقَرَّرُ فِي الْأَرْحَامِ﴾^(٣) ومثله: ﴿فَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾^(٤).

ثم قال بعد ذلك: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ لأنه إذا لم يجز أن يكون

عطفاً على ما مضى فينتصب لفساد المعنى، فلا بد من استئناف ورفع^(٥).

١. قارن: ٦: ٢٧٣.

٢. نفس المصدر.

٣. الحج: ٥.

٤. التوبة: ١٤.

٥. قارن: ٦: ٢٧٣.

وقال الحسن: امتن الله على نبيه محمد ﷺ أنه لم يبعث رسولا إلا إلى قومه وبعثه خاصة إلى جميع الخلق^(١).

وقال مجاهد: بعث الله نبيه إلى الأسود والأحمر، ولم يبعث نبيا قبله إلا إلى قومه وأهل لغته^(٢).

فصل

قوله: ﴿الَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ] الآية: ٩.

قوله: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي لا يعلم تفاصيل أحوالهم، وما فعلوه وفعل بهم من العقوبات، ولا عددهم إلا الله، ولذلك قال النبي ﷺ: «كَذِبَ النَّسَابُونَ»^(٣). وقوله: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ قيل في معناه خمسة أقوال: أحدها: قال عبد الله بن مسعود وابن زيد: أنهم عضوا على أناملهم تغيطاً عليهم في دعائهم إلى الله، كما قال: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾^(٤).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٦: ٢٧٨، والحديث النبوي الشريف في تفسير القرطبي ٩: ٣٤٤ و ٣٤٥، وتفسير الطبري ١٣:

١٨٧، وتفسير ابن كثير ٢: ٥٢٥، والجامع الصغير ١: ١٠٠، وفيض القدير ٤: ٥٥٠ و ١٠٩، وطبقات

خليفة ١: ٣، وطبقات ابن سعد ١: ٥٦.

٤. قارن ٦: ٢٧٨، والآية في سورة آل عمران: ١١٩.

وثانيها: قال الحسن: جعلوا أيديهم في أفواه الأنبياء تكذيباً لهم ورداً لما جاؤا به^(١).

فصل

قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ الآية: ١٣.

إنما قالوا: ﴿أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ وهم لم يكونوا على ملتهم قط، لأمرين: أحدهما: أنهم توهموا _ ذلك على غير حقيقة _ أنهم كانوا على ملتهم. والثاني: أنهم ظنوا بالنشوء، أنهم كانوا عليها دون الحقيقة^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ الآية: ١٥.

معناه: استنصروا، وهو طلب الفتح بالنصر، ومنه قوله: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي يستنصرون^(٣).

وقال الجبائي: هو سؤالهم أن يحكم الله بينهم وبين أممهم، لأن الفتح الحكم، ومنه قوله: الْفَتْاحُ الْحَاكِمُ^(٤).

والجبرية: طلب علو المنزلة بما ليس وراءه غاية في الوصف، فإذا وصف العبد بأنه جبار كان ذمّاً، وإذا وصف الله به كان مدحاً، لأنّ له علو المنزلة بما ليس وراءه غاية في الصفة^(٥).

١. قارن ٦: ٢٧٨.

٢. قارن ٦: ٢٨٢.

٣. قارن ٦: ٢٨٢، والآية في سورة البقرة: ٨٩.

٤. قارن ٦: ٢٨٢.

٥. قارن ٦: ٢٨٢.

والعنيد: هو المعاند، إلا أن فيه مبالغة، والعناد: الامتناع من الحق مع العلم به، كبيراً وبغياً^(١).

فصل

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ الآية: ٢٢.

قال الجبائي: في الآية دلالة على أن الشيطان لا يقدر على الإضرار بالإنسان بأكثر من إغوائه ودعائه إلى المعاصي، فأما بغير ذلك فلا يقدر عليه، لأنه أخبر بذلك، ويجب أن يكون صادقاً، لأن الآخرة لا يقع فيها من أحد قبيح لكونهم ملجئين إلى تركه^(٢).

فصل

قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ * [أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا * وَتَضْرِبُ اللَّهُ الْآمِثَالِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ]﴾ الآية: ٢٣ - ٢٥.

تحية بعضهم لبعض في الجنة سلام، والتحية التلقائي بالكرامة في المخاطبة، كقولك: أحياك الله حياة طيبة، سلام عليك وما أشبه ذلك، تبشيراً لهم بدوام السلامة^(٣).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٦: ٢٨٦.

٣. قارن ٦: ٢٩١.

وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أن هذه الشجرة الطيبة هي النخلة، وقال ابن عباس: هي شجرة في الجنة^(١).

وقوله: ﴿تُؤْتِي أكلُهَا﴾ أي تخرج هذه الشجرة الطيبة ما يؤكل منها في كل حين^(٢).

وقال ابن عباس: - في رواية - يعني ستة أشهر إلى صرام النخل، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله ﷺ، وبه قال سعيد بن جبير والحسن^(٣).

وأهل اللغة يذهبون إلى أن الحين هو الوقت^(٤)، قال النابغة:

يادرها الراقون من سوء سمها وتطلقه حيناً وحيناً تراجع^(٥)

قوله: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ الآية: ٢٦.

لما ضرب الله المثل للكلمة الطيبة ((بالشجرة الطيبة التي ذكرها وأكلها)) ضرب المثل للكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة^(٦).

قال أنس بن مالك ومجاهد: الشجرة الممثل بها هي شجرة الحنظل، قال أنس: هي السرمان، وقال ابن عباس: هي شجرة لم تخلق بعد^(٧).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ٢٩٢.

٥. قارن ٦: ٢٩٢، والبيت في ديوان النابغة الذبياني: ٨٠ صنعة ابن السكيت تحدّد. شكري فيصل.

٦. قارن ٦: ٢٩٢.

٧. قارن ٦: ٢٩٣.

والمثل: قول سائر يشبه فيه حال الثاني بالأول، والكلمة إنما تكون خبيثة إذا خبث معناها^(١). ((أو هي كلمة الكفر والطيبة كلمة الإيمان))^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ آلَاءَ صَنَامٍ * رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ الآية: ٣٥ - ٣٦.

أي: جنبنا عبادة الأصنام بلطف من ألطافك الذي نختار عنده الامتناع من عبادتها، ودعاء الأنبياء لا يكون إلا مستجاباً، فعلى هذا يكون سؤاله أن يجنب نيّ عبادة الأصنام، مخصوصاً بمن علم الله من حاله أنه يكون مؤمناً لا يعبد إلا الله^(٣).

وقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ إخبار من إبراهيم أن هذه الأصنام ضلّ كثير من الناس بها حتى عبدوها، فكأنها أضلتهم، كما يقول القائل: فتنتني فلانة أي: افتتنت بها^(٤)، قال الشاعر:

هبوني امرءاً منكم أضلّ بغيره^(٥)

يعني: ضلّ بغيره عنه، لأن أحداً لا يضلّ بغيره عنه قاصداً إلى ضلاله^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. زيادة من نسخة الرضوية.

٣. قارن ٦: ٢٩٩.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر والبيت تمامه: له ذمة إن الذمام كبير، ذكره المرتضى في الأمالي ١: ٨١ مع أبيات نسبها إلى أبي دهل الجمحي.

٦. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ

الْمُحَرَّمِ﴾ الآية: ٣٧.

الوادي سفح الجبل العظيم، ومن ذلك قيل للأنهار العظام: أودية، لأن حافاتها كالجبال لها، ومنه الدية لأنه مال عظيم يحمل في أمر عظيم من قتل النفس المحرمة^(١).

والزراع كل نبات ينغرس من غير ساق، وجمعه زروع^(٢).

﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ معناه: حرم فيه ما أحلّ في غيره من البيوت من الجماع، والملابسة بشيء من الدم والنجاسة^(٣).

وإنما أضاف البيت إلى الله، لأنه مالكة من غير أن يملكه أحد سواه، لأن ما عداه قد ملك غيره من العباد^(٤).

وسمّاه بيتاً قبل أن يبنيه إبراهيم لأمرين:

أحدهما: أنه لما كان المعلوم أنه يبنيه، فسماه بما يكون بيتاً.

والثاني: قيل: أنه كان البيت قبل ذلك، وإنما خربته طسم واندرس، وقيل:

أنه رفع أيام الطوفان إلى السماء^(٥).

١. قارن ٦: ٣٠٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

[فصل]

قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ الآية: ٣٩^(١).

الحمد هو الوصف بالجميل على وجه التعظيم لصاحبه والإجلال، والهيئة
عطية التملك من غير عقد ماثمة^(٢).

فصل

قوله: ﴿رَبَّنَا آغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾
الآية: ٤١.

نداء من إبراهيم لله تعالى أن يغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين، وهو أن
يستر عليهم ما وقع منهم من المعاصي عند من أجاز الصغائر عليهم، ومن لم يجر
ذلك حمل ذلك على أنه انقطاع منه إليه تعالى فيما يتعلق به، وسؤال على الحقيقة
في غيره، وقد بينا أن أبوي إبراهيم لم يكونا كافرين^(٣).

وفي الآية دلالة على ذلك، لأنه سأل المغفرة لهما يوم القيامة، فلو كانا
كافرين لما سأل ذلك، لأنه قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ فدل
ذلك على أن أباه الذي كان كافراً جده لأمه، أو عمه على الخلاف^(٤).

فصل

قوله: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ﴾
الآية: ٤٢ - ٤٣.

١. ما بين القوسين زيادة من المصدر يقتضيها السياق .

٢. قارن ٦: ٣٠١ .

٣. قارن ٦: ٣٠٢ .

٤. قارن ٦: ٣٠٢، والآية في سورة التوبة: ١١٤ .

شخص البصر أن تبقى العين مفتوحة لا تنطبق لعظم ذلك اليوم^(١).
 ﴿مُهْطِعِينَ﴾ قال سعيد بن جبير والحسن وقتادة: معناه مسرعين، يقال:
 أھطع اھطاعاً إذا أسرع، قال الشاعر:

بمھطع سرح كأن زمامه في رأس جذع من أراك مشذب^(٢)

فصل

قيل في قوله: ﴿وَأَفْعِدْتُهُمْ هَوَاءً﴾ ثلاثة أقوال:

أولها: قال ابن عباس ومرة والحسن: منخرقة لا تعي شيئاً، وفارغة من كل شيء إلا من ذكر اجابة الداعي^(٣).

الثاني: قال سعيد بن جبير: يردد في أجوافهم لا يستقر في مكان^(٤).

الثالث: قال قتادة: خرجت إلى الحناجر لا تفصل ولا تعود، وكل ذلك

تشبيه بهواء الجو^(٥)، والأوّل أعرف بكلام العرب، قال حسان بن ثابت:

ألا أبلغ أبسا سفيان عني فأنّت مجوف نخب هواء^(٦)

وقال زهير:

كان الرجل منها فوق صعل من الظلمان جؤجؤه هواء^(٧)

فصل

قوله: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

الآية: ٥١.

١. قارن ٦: ٣٠٣.

٢. قارن ٦: ٣٠٣، والبيت من الشواهد في مجاز القرآن لأبي عبيد ١: ٣٤٣ وتفسير الطبري ١٣: ١٤١.

٣. قارن ٦: ٣٠٤.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٦: ٣٠٤.

٦. قارن ٦: ٣٠٤، والبيت في ديوان حسان: ٨ ط مصر جمع البروقي.

٧. نفس المصدر، والبيت في شرح ديوانه: ٦٣ جمع ثعلب ط دار الكتب المصرية.

أي: سريع المجازاة. وقيل: سريع الحساب لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة آخرين^(١).

والكسب فعل ما يجتلب به النفع للنفس، أو يدفع به الضرر عنها، فالكسب ليس بجنس الفعل، والله تعالى يقدر على مثله في الجنس^(٢).
وفي الآية حجة على ثلاث فرق:

أحدها: على المجبرة في الإرادة، لأنها تدلّ على أنه تعالى أراد من جميع المكلفين أن يعلموا إنما هو إله واحد، وهم يزعمون أنه أراد من النصارى أن يثلاثوا، ومن الزنادقة أن يقولوا بالتثنية^(٣).

الثاني: حجة عليهم في أن المعصية لم يردّها، لأنه إذا أراد منهم أن يعلموا أنه إله واحد لم يرد خلافه من التثليث والتثنية الذي هو الكفر^(٤).

الثالث: حجة على أصحاب المعارف، لأنه بين أنه أراد من الخلق أن يتذكروا ويفكروا في دلائل القرآن التي تدلّهم على أنه إله واحد^(٥).

ثم أخبر تعالى: ﴿وَلْيَذَكِّرُوا وَلْيُذَكِّرُوا أُولَئِكَ﴾ أي ذووا العقول، لأن من لا عقل له لا يمكنه الفكر والاعتبار^(٦).



١. قارن ٦: ٣١١.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٦: ٣١٢.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

سورة الحجر

فصل

قوله: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية: ٢.

قال المبرد: قال الكسائي: العرب لا تكاد توقع ﴿رُبَّ﴾ على أمر مستقبل، وهذا قليل في كلامهم، وإنما المعنى عندهم أن يوقعوا على الماضي، كقولهم ربما فعلت ذلك، وربما جاءني فلان^(١).

وإنما جاز هذا في القرآن _ على ما جاء في التفسير _ أن ذلك يكون يوم القيامة^(٢).

وإنما جاز هذا، لأن كل شيء من أمر الله خاصة، فإنه وإن لم يكن وقع بعد، فهو كالماضي الذي قد كان، لأن وعده آت لا محالة، وعلى هذا عامة القرآن، نحو قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) وقوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾^(٤) وقوله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾^(٥).

١. قارن ٦: ٣١٦.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٦: ٣١٦، والآية في سورة الزمر: ٦٨.

٤. الزمر: ٧٣.

٥. قارن ٦: ٣١٧، والآية في سورة ق: ٢١.

فإن قيل: لم قال: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ﴾ والكتاب هو القرآن؟ ولم أضاف الآيات إلى الكتاب وهي قرآن، وهل هذا إلا إضافة الشيء إلى نفسه؟^(١)

قلنا: إنما وصفه بالكتاب وبالقرآن لاختلاف اللفظين، وما فيهما من الفائدةين، وإن كانا لموصوف واحد، لأن وصفه بالكتاب يفيد أنه مما يكتب ويدون، والقرآن يفيد أنه مما يؤلف ويجمع بعض حروفه إلى بعض^(٢)، قال الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم^(٣)
وقال مجاهد وقتادة: المراد بالكتاب ما كان قبل القرآن من التوراة والانجيل فعلى هذا سقط السؤال^(٤).

فأما إضافة الشيء إلى نفسه فقد بينا الوجه فيما مضى فيه، وأنه يجري مجرى قولهم: مسجد الجامع وصلاة الظهر ويوم الجمعة، وقوله تعالى: ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ وهو مستعمل مشهور^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ الآية: ١١.

الهاء: إظهار ما يقصد به العيب على إيهام المدح، وهو بمعنى اللعب والسخرية^(٦).

١. قارن ٦: ٣١٧.

٢. نفس المصدر.

٣. البيت من الشواهد ورد في معاني القرآن للفراء ١: ١٠٥، وأمثالي المرتضى ١: ٢٠٥ وغيرهما.

٤. قارن ٦: ٣١٧.

٥. قارن ٦: ٣١٧، والآية في سورة الحاقة: ٥١.

٦. قارن ٦: ٣٢١.

فصل

قوله: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ الآية: ١٧.

وحفظ الشيء جعله على ما ينفي عنه الضياع^(١).

والرجم: الرمي بالشيء بالاعتماد من غير آلة مهيأة للإصابة، فإن القوس يرمى عنها ولا يرجم^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ

شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ الآية: ١٩.

قوله: ﴿مَوْزُونٍ﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والجبائي: من كل شيء مقدر معلوم.

((والثاني)) وقال الحسن وابن زيد: من الأشياء التي توزن من الذهب والفضة والنحاس والحديد وغير ذلك.

والوزن وضع أحد الشئين بأزاء الآخر على ما يظهر ((به مساواته في المقدار وزيادته))^(٣). ((وقوله: ومن لستم له برازقين، قال مجاهد: المراد به العبيد والاماء والدواب والأنعام، قال القراء: العرب لا تكاد تجعل (من) إلا في الناس خاصة فإن كان مع الدواب والمماليك حسن حينئذ))^(٤).

١- نفس المصدر.

٢- نفس المصدر.

٣- فارن ٦: ٣٢٤، وما بين القوسين من المصدر.

٤- إضافة من النسخة الرضوية.

فصل

قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ الآية: ٢٢.

يحتمل ذلك شيئين:

أحدهما: أن يجعل الريح هي تلقح بمرورها على التراب والماء، فيكون فيها اللقاح، فيقال: ريح لاقح، كما يقال: ناقة لاقح^(١).
والثاني: أن يصفها باللقح، وإن كانت تلقح كما قيل: ليل نائم، وسر كاتم^(٢).
واللواقح التي تلقح السحاب حتى يحمل الماء، أي يلقى إليه ما يحمل به، يقال: لقحت الناقة إذا حملت، وألقحها الفحل إذا ألقى إليها الماء فحملته، فكذلك الريح هي كالقح للبحر^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾

الآية: ٢٦.

قيل في معنى الصلصال قولان:

أحدهما: أنه الطين اليابس الذي يسمع له عند النقر صلصلة، ذهب إليه ابن عباس والحسن وقتادة^(٤).

والثاني: قال مجاهد: هو مثل الخزف الذي يصلصل^(٥).

١. قارن ٦: ٣٢٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ٣٣٠.

٥. نفس المصدر.

وقال الفراء: الصلصال طين الحرار، إذا خلط بالرمل إذا جف كان صلصلاً، وإذا طبخ كان فخاراً^(١).

والصلصلة القعقة، وهو صوت شديد متردد في الهواء، يقال لصوت الرعد صلصلة، وللثوب الجديد قعقة، وأصل الصلصلة الصوت يقال: صل يصل وله صليل إذا صوت^(٢)، قال الشاعر:

رجعت إلى صدر كجرة حنتم إذا فرغت صفراً من الماء صلت^(٣)

فصل

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِّقُ بَشَرًا﴾ [مِنْ صَلْصَلٍ

مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ] الآية: ٢٨.

المراد بالبشر آدم، وسمي بشراً لأنه ظاهر الجلد، لا يرى به شعر ولا صوف كسائر الحيوان^(٤)، وأضاف روح آدم إلى نفسه تكرمة له، وهي إضافة الملك، لما شرفه وكرمه^(٥).

والروح جسم رقيق روحاني، فيه الحياة التي بها يجيئ الحي، فإذا خرجت الروح من البدن كان ميتاً في الحكم، وإذا انتفت الحياة من الروح فهو ميت في الحقيقة^(٦).

١. قارن ٦: ٣٣١.

٢. نفس المصدر.

٣. البيت من شعر عمرو بن شاس كما في اللسان (ختم) والكنز اللغوي لابن السكيت: ١٠٠.

٤. قارن ٦: ٣٣٢.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

وقوله: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ أمر من الله للملائكة أن يسجدوا لآدم، وقيل في وجه سجودهم له قولان:

أحدهما: أنه سجود تحية وتكرمة لآدم وعبادة لله. وقيل: إنه على معنى السجود إلى القبلة، والأول عليه أكثر المفسرين^(١).

والسجود خفض الجبهة بالوضع على بسط من الأرض أو غيره، وأصله الانخفاض، قال الشاعر:

ترى الأكم فيه سجداً للحوافر^(٢)

فصل

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ

الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ الآية: ٣٦ - ٣٨.

قال البلخي: أراد بذلك إلى يوم الوقت المعلوم الذي قدر الله أجله فيه، وهو معلوم له، لأنه لا يجوز أن يقول تعالى لمكلف: إني أبقيك إلى وقت معين، لأن في ذلك اغراء له بالقبيح^(٣).

واختلفوا في تجويز اجابة دعاء الكافر، فقال الجبائي: لا يجوز لأن اجابة الدعاء، ثواب لما فيه من إجلال الداعي بإجابته إلى ما سأل^(٤).

وقال ابن الاخشاذ: يجوز ذلك، لأن الإجابة كالنعمة في احتمالها أن يكون ثواباً وغير ثواب، لأنه قد يحسن منا أن نجيب الكافر إلى ما سأل

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٦: ٣٣٣ والشعر لزيد الخيل، وصدرة ((بجمع تفضل البلق في حجراته)) وهو من الشواهد.

٣. قارن ٦: ٣٣٥.

٤. نفس المصدر.

استصلاحاً له ولغيره، فأما قولهم فلان مجاب الدعوة، فهذه صفة مبالغة لا تصح لمن كانت إجابته نادرة من الكفار^(١).

فصل

قوله: ﴿هَٰذَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ الآية: ٤٤.

قال الجبائي: ذلك يدل على أن الجن لا يقدرون على الإضرار ببني آدم، لأنه على عمومه^(٢).

قال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة وابن جريج: أبوابها أطباق بعضها فوق بعض، لكل باب جزء من المستحقين للعقوبة على قدر استحقاقهم من العقاب في القلة والكثرة^(٣).

فصل

قوله: ﴿إِنَّ الْأَمْتِّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ

[أَمْنِينَ]﴾ الآية: ٤٥ - ٤٦.

يقال للمتقين ادخلوها بسلام آمنين بسلامة، وهي البراءة من كل آفة ومضرة، كما قال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ أي براءة منكم^(٤). وقوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ الغل الحقد الذي ينعقد في القلب، ومنه الغل الذي يجعل في العنق، والغلول الخيانة التي تطوق عارها صاحبها^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٦: ٣٣٨.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ٣٣٩، والآية في سورة الفرقان: ٦٣.

٥. قارن ٦: ٣٣٩.

فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الْأَحْقَادَ الَّتِي فِي صُدُورِ أَهْلِ الدُّنْيَا، تَزُولُ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيَصْبَحُونَ إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ ^(١).

وَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّ نَزْعَ الْغُلِّ يَكُونُ قَبْلَ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ، وَقَالَ آخَرُونَ: يَكُونُ ذَلِكَ بَعْدَ دُخُولِهِمْ فِيهَا.

فصل

قوله: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ الآية: ٥٣.

إِنَّمَا وَصَفَهُ بِأَنَّهُ عَلِيمٌ قَبْلَ كَوْنِهِ لِدَلَالَةِ الْبَشَارَةِ بِهِ، عَلَى أَنَّهُ سَيَكُونُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا بَشَّرَ بُولَدَ يَرْزُقُهُ اللَّهُ لِهَمَّا وَيَكُونُ عَلِيمًا، فَقَالَ لَهُمُ إِبْرَاهِيمُ: ﴿أُبَشِّرُكُمْ نِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ ^(٢).

فصل

قوله: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ * إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ

قَدَرْنَا ^٣ إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿﴾ الآية: ٥٩ - ٦٠.

﴿قَدَرْنَا﴾ أَيِ كَتَبْنَا ﴿إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ وَالْغَابِرُ الْبَاقِي فِي مَنْ يَهْلِكُ ^(٤).

وَأَلَّ الرَّجُلَ أَهْلَهُ الَّذِينَ يَرْجِعُونَ إِلَى وِلَايَتِهِ، وَلِهَذَا يُقَالُ: أَهْلُ الْبَلَدِ، وَلَا يُقَالُ: آلُ الْبَلَدِ وَلَكِنْ آلُ الرَّجُلِ، قَالَ لُوطٌ: أَتَبَاعُهُ الَّذِينَ يَرْجِعُ أَمْرُهُمْ إِلَيْهِ بِوِلَايَتِهِ وَنَصْرَتِهِ ^(٥).
وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: فِي الْآيَةِ مَعْنَى فَقَهُ، وَكَانَ أَبُو يُوسُفَ يَتَأَوَّلُهُ فِيهَا، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اسْتَشْنَى آلَ لُوطٍ مِنَ الْمَجْرَمِينَ، ثُمَّ اسْتَشْنَى امْرَأَةَ لُوطٍ مِنْ آلِ لُوطٍ، فَارْجَعَتْ

١. نفس المصدر .

٢. قارن ٦: ٣٤٢، وما بين القوسين من المصدر .

٣. قارن ٦: ٣٤٣ .

٤. قارن ٦: ٣٤٤ .

امراته في التأويل إلى القوم المجرمين، لأنه استثناء ورد على استثناء كان قبله، وكذلك كل استثناء في الكلام إذا جاء بعد آخر عاد المعنى إلى أول الكلام، كقول الرجل: لفلان عليّ عشرة إلا أربعة إلا درهماً، فإنه يكون اقرار بسبعة^(١).

وكذلك لو قال: له عليّ خمسة إلا درهماً إلا ثلاثاً، كان اقرار بأربعة وثلاث، قال: وأكثر ما يستثنى ما هو أقل من النصف، ولم يسمع أكثر من النصف إلا بيت أنشده الكسائي:

أدوا التي نقصت سبعين من مائة ثم ابعثوا حكماً بالعدل حكّاما^(٢)

فجعلها مائة إلا سبعين وهو يريد ثلاثين، وضعف المبرد الاحتجاج بهذا البيت، ولم يجز استثناء الأكثر من الجملة ولا نصفها^(٣).

وإنما جاز استثناء ما دون النصف من الجملة حتى قال: لا يجوز أن يقال: له عندي عشرة إلا نصف، أو لا عشرة إلا واحداً، قال: لأنّ تسعة ونصفاً أولى بذلك، وعلى هذا النحو يبني هذا الباب، والصحيح الأوّل عند أكثر العلماء من المتكلمين والفقهاء وأكثر النحويين^(٤).

فصل

قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَرَ هُمْ﴾ الآية: ٦٥.

قيل: بقطع من الليل ببعض من الليل، وقيل: بقية من الليل، وقيل: إذا بقي من الليل قطعة ومضى أكثره^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. البيت من الشواهد ولم أقف على قائله.

٣. قارن: ٦: ٣٤٤.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن: ٦: ٣٤٦.

والادبار جمع دُبر، وهو جهة الخلف، والقُبل جهة القدام، ويكنى بهما عن الفرج^(١).

فصل

قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُونِ﴾ الآية: ٦٩.

الخزي الانقماع بالغيب الذي يستحيى منه، خزي خزيّاً وأخزاه الله اخزاءً، والإخزاء والإذلال والإهانة نظائر^(٢).

فصل

قوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ الآية: ٧٢.

معنى: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ مدة بقائك حياً، والعمر والعمر واحد، غير أنه لا يجوز في القسم إلا بالفتح^(٣).

قال أبو عبيدة: ارتفع لعمرك وهي يمين، والأيمان تكون خفصاً إذا كانت الواو في أوائلها، ولو كانت وعمرك لكانت خفصاً، وإنما صارت هذه الأيمان رفعاً بدخول اللام في أوائلها، لأنها أشبهت لام التأكيد، فأما قولهم: عمرك الله أفعل كذا فإنهم ينصبون عمرك^(٤).



١. نفس المصدر.

٢. قارن ٦: ٣٤٧.

٣. قارن ٦: ٣٤٨.

٤. نفس المصدر.

سورة النحل

فصل

قوله: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ﴾ الآية: ١.

التسبيح في اللغة ينقسم أربعة أقسام:

أحدها: التنزيه، مثل قوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾^(١).

والثاني: بمعنى الاستثناء، كقوله: ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾^(٢) أي هلا تستنون.

والثالث: الصلاة، كقوله: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾^(٣).

والرابع: النور، جاء في الحديث «فلولا سبحات وجهه» أي نوره^(٤).

فصل

قوله: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ الآية: ٢.

الروح تنقسم عشرة أقسام: فالروح الإرشاد، والحياة، والروح الرحمة قرأ

رسول الله ﷺ: ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ﴾^(٥) والروح النبوة، لقوله: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ

عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٦) والروح عيسى روح الله، أي خلق من غير بشر، وقال

١. الإسراء: ١.

٢. القلم: ٢٨.

٣. الصافات: ١٤٣.

٤. قارن: ٦: ٣٥٨.

٥. قارن: ٦: ٣٥٩، والآية في سورة الواقعة: ٨٩.

٦. قارن: ٦: ٣٥٩، والآية في سورة غافر: ١٥.

آخرون: من غير فعل، وقيل: إنه سمي بذلك لكونه رحمة على عباده لما يدعوهم إلى الله^(١).

والروح جبرئيل عليه السلام، والروح النفخ يقال: أحييت النار بروحي أي بنفخي، والروح الوحي، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾^(٢) قيل: إنه جبرئيل، وقيل: الوحي، والروح ملك في السماء من أعظم خلقه^(٣).

والروح روح الإنسان، وقال ابن عباس: في الإنسان روح ونفس، فالنفس التي تكون فيها التمييز والكلام، والروح هو الذي يكون به الغطيط والنفس، فإن نام العبد خرجت نفسه وبقي روحه، وإذا مات خرجت نفسه وروحه معاً^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ﴾ الآية: ٥.

الأنعام جمع نعم، وهي الابل والبقر والغنم، سميت بذلك لنعومة مشيها بخلاف ذات الحافر الذي يصلب مشيها^(٥).

والدفء ما استفادت به، وقال الحسن: يريد ما استفد به من أوبارها وأصوافها وأشعارها، وقال ابن عباس: هو اللباس من الأكسية وغيرها^(٦).

١. قارن: ٦: ٣٦٠.

٢. قارن: ٦: ٣٦٠، والآية في سورة الشورى: ٥٢.

٣. قارن: ٦: ٣٦٠.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن: ٦: ٣٦١.

٦. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ الآية: ١٠.

قوله: ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ أي ترعون، يقال: أسمت الإبل إذا رعيته، وقد سامت تسوم هي سائمة إذا رعت، وأصل السوم الإبعاد في المرعى، والسوم في البيع الارتفاع في الثمن^(١).

فصل

قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾ الآية: ١٢.

ووجه تسخير الشمس والقمر والليل والنهار، أن الليل والنهار إنما يكون بطلوع الشمس وغروبها، فما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر وهو غياب ضوء الشمس فهو ليل، وما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس فهو نهار، فالله تعالى سخر الشمس على هذا التقدير لا تختلف، لمنافع خلقه ومصالحهم، وليستدلوا بذلك على أن المسخر لذلك والمقدر له حكيم^(٢).

والذرة إظهار الشيء بآيجاده، ذرأه يذرؤه ذرأاً وذرأة وفطره وأنشأ نظائر، وملح ذرأني ظاهر البياض^(٣).

فصل

قوله: ﴿أَفَمَنْ تَخَلَّقُ كَمَنْ لَا تَخَلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الآية: ١٧.

١. قارن ٦: ٣٦٥.

٢. قارن ٦: ٣٦٦.

٣. نفس المصدر.

تعلق بهذه الآية المجبرة فقالوا: أعلمنا الله تعالى أن أحداً لا يخلق، لأنه خلاف الخالق، وأنه لو كان خالق غيره لوجب أن يكون مثله ونظيره^(١). وهذا باطل، لأن الخلق في حقيقة اللغة هو التقدير والإتقان في الصنعة، وفعل الشيء لا على وجه السهو والمجازفة^(٢)، بدلالة قوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾^(٣) وقوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾^(٤) وقوله: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٥) فأعلمنا أن غيره يكون خالقاً لأنه لو لم يستحق اسم خالق غيره لما قال: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ كما لا يجوز أن يقول: أنه أعظم الالهة لما لم يستحق الالهية غيره^(٦)، وقال زهير: ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري^(٧)

فصل

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾ الآية: ٢٤-٢٥.

معناه أنهم يتحملون مع أوزارهم من أوزار من أضلّوه عن دين الله، وأغووه عن اتباع الحق بغير علم منهم بذلك، بل جاهلين به^(٨).

١. قارن ٦: ٣٦٧.

٢. نفس المصدر.

٣. العنكبوت: ١٧.

٤. المائدة: ١١٠.

٥. المؤمنون: ١٤.

٦. قارن ٦: ٣٦٩.

٧. قارن ٦: ٣٦٩، والبيت في ديوان زهير: ٢٩.

٨. قارن ٦: ٣٧٢.

والمعنى أن هؤلاء كانوا يصدّون من أراد الإيمان بالنبى ﷺ، فعليهم آثامهم وآثام أتباعهم لاقتدائهم بهم^(١).

وعلى هذا ما روي عن النبى ﷺ أنه قال: «أيماداع دعا إلى ضلالة فاتبع، فإن عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(٢).

فصل

قوله: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَنُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ نُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ﴾ [الآية: ٢٦ - ٢٧].

معنى ﴿تُشَاقُّونَ﴾ أي تعادون الله فيهم، فيجعلونها شركاء له، والشقاق الخلاف في المعنى^(٣).

ومعنى ﴿تُشَاقُّونَ﴾ أي تكونون في جانب، والمسلمون في جانب، لا تكونون معهم يداً واحدة، ومن ثم قيل لمن خرج عن طاعة الإمام وعن جماعة المسلمين: شق العصا، أي صار في جانب عنهم، فلم يكن مجتمعاً في كلمتهم^(٤). والمكر: القتل بالحيلة إلى جهة منكراة^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. الحديث النبوي في تفاسير الطبري والقرطبي والسيوطي ومصادر آخر، راجع موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٤: ١٥٩.

٣. قارن ٦: ٣٧٤.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

قيل في معنى ﴿خَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوَقِهِمْ﴾ قولان:

أحدهما: أنه قال ذلك تأكيداً، كقولك قلت أنت^(١).

الثاني: أنهم كانوا تحته، وقد يقول القائل: تهدمت عليّ المنازل وإن لم

يكن تحتها، وأيضاً فيعلم أنهم لم يكونوا فوق السقوف^(٢).

فصل

قوله: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ

مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الآية: ٢٨.

وقوله: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ أي قالوا ما عملنا من سوء، فكذبهم الله

وقال ﴿بَلَىٰ﴾ قد فعلتم، والله عالم بما كنتم تعملون في الدنيا من المعاصي وغيرها^(٣).

وقيل في معنى ذلك قولان:

أحدهما: ما كنّا نعمل من سوء عند أنفسنا، لأنهم في الآخرة ملجؤون

إلى ترك القبيح والكذب، ذكره الجبائي^(٤).

وقال الحسن وابن الأخشاذا: ((في)) الآخرة مواطن يلجؤون في بعضها

دون بعض^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ

١. قارن ٦: ٣٧٤.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٦: ٣٧٥.

٤. قارن ٦: ٣٧٦.

٥. نفس المصدر.

مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ الآية:

حكى الله تعالى عن المشركين أنهم قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أي لو أراد الله لم نكن نعبد شيئاً من دونه، من الأصنام والأوثان لا نحن ولا آباؤنا، ولا حرمنا من قبل نفوسنا، بل أراد الله ذلك منا فلذلك فعلنا، كما تقوله المجبرة الضلال، فكذبهم الله وأنكر عليهم وقال مثل ذلك فعل الذين من قبلهم من الكفار الضلال، كذبوا رسل الله وجحدوا أنبياءه^(١).

ثم عذر أنبياءه فقال: ﴿هَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ الظاهر، أي ليس عليهم إلا ذلك، وفي ذلك إبطال مذهب المجبرة، لأن الله أنكر عليهم قولهم أنه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ
أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ الآية: ٦٢.

المعنى أنهم مقدمون بالأعجال إلى النار، وهو قول العرب: أفرطنا فلاناً في طلب الماء فهو مفرط، إذا قدم لطلبه، وفرط فهو فارط إذا تقدم لطلبه، وجمعه فراط^(٣)، قال القطامي:

واستعجلونا وكانوا من صحابتنا كما تعجل فراط لوراد^(٤)

١. قارن ٦: ٣٧٨.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٦: ٣٩٥.

٤. البيت من شعر القطامي كما في اللسان (فرط) وغيره من كتب اللغة.

ومنه قول النبي ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض» أي متقدمكم وسابقكم حتى تردوه^(١).

ومنه يقال في الصلاة على الصبي الميت: اللهم اجعله لنا ولأبويه فرطاً^(٢). وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا والنبون فراط القاصفين» أي المذنبين^(٣). وقيل في وجه تعميمهم بالهلاك مع أن فيهم مؤمنين قولان: أحدهما: أن الإهلاك وإن عمهم فهو عقاب للظالم دون المؤمن، لأن المؤمن يعوض عليه.

الثاني: أن يكون ذلك خاصة، والتقدير: ما ترك عليها من دابة من أهل الظلم^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾

الآية: ٦٦.

الفرق بين أسقينا وسقينا، أن معنى أسقينا جعلنا له شرباً دائماً من نهر أو لبن وغيرهما، وسقينا شربة واحدة، ذكره الكسائي^(٥).

١. الحديث الشريف في البخاري ومسلم ومسنند أحمد مكرراً وغير ذلك، راجع موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٢: ٥٢٣.

٢. الوسائل ٢ أبواب صلاة الجنازة باب ١٢ حديث ١ / ١.

٣. الحديث الشريف في البحار ٣: ١١٤ بلفظ: «أنا والنبون فراط القاصفين» قال المجلسي رحمه المزدحمون كأن بعضهم يقصف بعضاً لفرط الزحام ... وهذا في مجمع الزوائد ١٠: ٢٥، والمعجم الكبير للطبراني ١٨: ٣٦٥، وكرر المجلسي ذكره في ٩٨: ٢٢١ بلفظ: «أنا والنبون فراط» أي متقدمون إلى الشفاعة، وقيل إلى الحوض نقلاً عن نهاية ابن الأثير.

٤. قارن ٦: ٣٩٦.

٥. قارن ٦: ٣٩٩.

وبعضهم جعله لغتين، ويحتج بقول لبيد:

سقى قومي بني مجد وأسقى نميماً والقبائل من هلال^(١)

والأظهر ما قال الكسائي عند أهل اللغة^(٢).

وقال بعضهم: سقيته ماء أكفوله: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ وأسقيته

سألت الله أن يسقيه^(٣).

وقال أبو عبيد: إذا سقاه مرة يقال سقيته، وإذا سقاه دائماً قال أسقيته^(٤).

والأنعام يعني الابل والبقر والغنم^(٥).

[فصل]

قوله: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا

وَرِزْقًا حَسَنًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الآية: [٦٧]^(٦).

وقد استدلل قوم بهذه الآية على تحليل النبيذ، بأن قالوا: امتن الله علينا

وعده من جملة نعمه علينا، أي خلق لنا الثمار التي نتخذ منها السكر والرزق

الحسن، وهو تعالى لا يمتن بما هو محرم^(٧).

وهذا لا دلالة فيه لأمر:

١. ديوان لبيد ١: ١٢٨ ط الكويت.

٢. قارن ٦: ٣٩٩.

٣. قارن ٦: ٣٩٩، والآية في سورة الإنسان: ٢١.

٤. قارن ٦: ٣٩٩.

٥. نفس المصدر.

٦. إضافة يقتضيها السياق.

٧. قارن ٦: ٤٠١.

أحدها: أنه خلاف ما عليه المفسرون، لأنّ أحداً منهم لم يقل ذلك، بل التابعون من المفسرين قالوا: هو ما حرم من الشراب، وقال الشعبي منهم: أنه أراد ما حلّ طعمه من شراب وغيره^(١).

والثاني: أنه لو أراد بذلك تحليل السكر لما كان لقوله: ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ معنى لأنّ ما أحله وأباحه، فهو أيضاً رزق حسن، فلم يفرّق بينه وبين الرزق الحسن، والكل شيء واحد^(٢).

وإنّما الوجه فيه أنه خلق هذه الثمار لينتفعوا بها، فاتخذتم أنتم منها ما هو محرّم عليكم، وتركتم ما هو رزق حسن^(٣).

وأما وجه المنة فبالأمرين معاً ثابتة، لأنّ ما أباحه وأحله فالمنة به ظاهرة ليعجل الانتفاع به، وما حرّمه فوجه المنة أنه إذا حرّم عليه وأوجب الامتناع ضمن في مقابله الثواب الذي هو أعظم النعم، فهو نعمة على كلّ حال^(٤).

والثالث: أن السكر إذا كان مشتركاً بين المسكر وبين الطعم، وجب أن يتوقّف فيه ولا يحمل على أحدهما إلاّ بدليل، وما ذكرناه مجمع على أنه مراد^(٥)، وما ذكره ليس عليه دليل، على أنه كان يقتضي أن يكون ما أسكر منه يكون حلالاً، وذلك خلاف الإجماع، لأنهم يقولون: القدر الذي لا يسكر هو المباح، وكان يلزم على ذلك أن يكون الخمر مباحاً، وذلك لا يقوله أحد^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قانون: ٤٠٢.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

والسكر في اللغة على أربعة أقسام:
أحدها: ما أسكر.

والثاني: ما طعم من الطعام، كما قال الشاعر:
جعلت عيب الأكرمين سكرًا^(١)
أي طعمًا.

الثالث: السكون، قال الشاعر:

وجعلت عين الجزور تسكر^(٢)

والرابع: المصدر من قولك سكر سكرًا، وأصله انسداد المجاري بما يلقي فيها، ومنه السكر^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ الآية: ٦٨.

ثم قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا﴾ يعني: بطون النحل ﴿شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ من أصفر وأبيض وأحمر، مع أنها تأكل الحامض والمر، فيحيله الله عسلًا حلواً لذيذاً فيه شفاء للناس^(٤).

وأكثر المفسرين على أن الهاء راجعة إلى العسل، وهو الشراب الذي ذكره الله، وأن فيه شفاء من كثير من الأمراض ومنافع جمّة^(٥).

١. قارن ٦: ٤٠١، والبيت لم أقف على قائله وهو من الشواهد في التفاسير، وفي اللسان (سكر).

٢. نفس المصدر، وصدر البيت «وطلعت شمس عليها مغفر» كما في فتح القدير للشوكاني ٣: ١٢٣.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ٤٠٤.

٥. نفس المصدر.

وإنما قال: ﴿مِنْ بَطُونِهَا﴾ وهو خارج من فيها، لأن العسل يخلقه الله في بطن النحل ويخرجه إلى فيه، ولو قال من فيها لظن أنها تلقيه من فيها، وليس بخارج من البطن^(١).

فصل

قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ الآية: ٧٢.

قيل في معنى ﴿حَفَدَةً﴾ أقوال: أحدها: الخدم، وقيل: الأعوان، وقيل: البنون وبنو البنين^(٢)، وقيل: الأختان وهم أزواج البنات^(٣).

فصل

قوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ [وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ] الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية: ٧٥.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: الشكر لله على نعمه^(٤).

وفي هذه الآية دلالة على أن المملوك لا يملك شيئاً، لأن قوله: ﴿مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ ليس المراد به نفي القدرة، لأنه قادر على التصرف، وإنما المراد أنه لا يملك التصرف في الأموال، وذلك عام في جميع ما يملك ويتصرف فيه^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٦: ٤٠٧.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ٤٠٩.

٥. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْآتَعَمِرِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ^١ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارَهَا وَأَشْعَارَهَا أَثْنًا وَمَتْنًا﴾
الآية: ٨٠.

((هي بيوت الادم التي تتخذ للسفر والحضر، فهيأ الله ذلك لما فيه من المرافق والمنافع))^(١) ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي يخف عليكم حملها ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ أي ارتحالكم^(٢).

ثم قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم ... وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ أي: من أصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز ﴿أَثْنًا﴾ يعني متاع البيت^(٣).

وخصَّ الحرَّ بذلك مع أنَّ وقايتها للبرد أكثر لأمرين: أحدهما: أنَّ الذين خوطبوا بذلك أهل حر في بلادهم، فحاجتهم إلى ما بقي الحر أشد، في قول عطاء.

الثاني: أنَّه ترك ذلك لأنه معلوم، كما قال الشاعر:
وما أدري إذا يعمت أرضاً أريد الخير أيهما يليني^(٤)
فكنى عن الشر ولم يذكره، لأنه مدلول عليه، ذكره القراء.

فصل

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ^٥﴾
الآية: ٨٩.

١. ما بين القوسين من كلام ابن إدريس .

٢. قارن ٦: ٤١٢ .

٣. قارن ٦: ٤١٣ .

٤. البيت من الشواهد في تفسير ابن كثير وزاد المسير لابن الجوزي وغيرها ولم ينسب لقائل فيهما .

يقول الله تعالى: إِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي «نَبَعْتُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا» أي من يشهد عليهم^(١)، «مِنْ أَنْفُسِهِمْ» أي من أمثالهم من البشر، ويجوز أن يكون ذلك نبيهم الذي بُعث إليهم، ويجوز أن يكونوا مؤمنين عارفين بالله ونبيه، يشهدون عليهم بما فعلوه من المعاصي^(٢).

وفي ذلك دلالة على أن كل عصر لا يخلو ممن يكون قوله حجة على أهل عصره عدل عند الله، وهو قول الجبائي وأكثر أهل العدل، وهو قولنا، وإن خالفناهم في مَنْ هو ذلك العدل والحجة^(٣).

«وَجِئْنَا بِكَ» يا مُحَمَّد «شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ» يعني: كفّار قريش وغيرهم من الذين كفروا بنبوته، ثم قال: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ» يعني القرآن «رَبِّيًا نَأْتِي لِكُلِّ شَيْءٍ» أي بياناً لكل أمر مشكل، والبيان والبيان واحد^(٤).

ومعنى العموم في قوله «لِكُلِّ شَيْءٍ» المراد به من أمور الدين، إما بالنص عليه، أو الإحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي ﷺ والحجج القائمين مقامه، أو إجماع الأمة، أو الاستدلال، لأن هذه الوجوه أصول الدين وطرق موصلة إلى معرفته^(٥).

فصل

قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ»

الآية: ٩٠.

١. قارن ٦: ٤١٧.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ٤١٨.

٥. نفس المصدر.

﴿بِالْعَدْلِ﴾ يعني: الإنصاف بين الخلق، وفعل ما يجب على المكلف
﴿وَالْإِحْسَانَ﴾ إلى الغير، ومعناه: يأمركم بالإحسان، فالأمر بالأوّل على وجه
الإيجاب، وبالإحسان على وجه التندب، وفي ذلك دلالة على أنّ الأمر يكون أمراً
بالمندوب إليه دون الواجب ^(١).

﴿وَإِتْيَاءَ ذِي الْقُرْبَى﴾ أي: وأمركم باعطاء ذي القربى، ويحتمل أمرين:

أحدهما: صلة الأرحام، فيكون ذلك عاماً في جميع الخلق ^(٢).

والثاني: أن يكون أمراً بصلة قرابة النبي ﷺ وهم الذين أرادهم الله
بقوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى﴾ وهم على ما يتناه فيما قبل ^(٣).

ثم أمر خلقه بأن يفوا بعهده إذا عاهدوا عليه، والعهد الذي يجب الوفاء
به هو كل فعل حسن إذا عقد عليه، وعاهد الله ليفعلنه بالعزم عليه، فإنّه يصير
واجباً عليه، ولا يجوز له خلافه، ثم يكون عظم النقص بحسب الضرر به، فأما إذا
رأى غيره خيراً منه، فليأت الذي هو خير وليكفر عند الفقهاء، وقال أصحابنا: إذا
وجد خيراً منه فعل الخير ولا كفارة عليه ^(٤).

ثم قال: ﴿وَلَا تَنَقُّضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ نهى منه تعالى عن حث
الإيمان بعد عقدها ^(٥).

وفي الآية دلالة على أنّ اليمين على المعصية غير منعقدة، لأنها لو كانت
منعقدة لما جاز نقضها، وأجمعوا على أنّه يجب نقضها، ولا يجوز الوفاء بها، فعلم
بذلك أنّ اليمين على المعصية غير منعقدة ^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٦: ٤١٩.

٣. قارن ٦: ٤١٩، والآية في سورة الأنفال: ٤١.

٤. قارن ٦: ٤١٩.

٥. قارن ٦: ٢٠، والآية: ٩١ من سورة النحل.

٦. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾

الآية: ٩٨.

قال: يا محمد ﴿إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ والمراد به جميع المكلفين ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ والمعنى إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله، كما قال: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾ والمعنى: إذا أردتم القيام إليها^(١)، لأن بعد القراءة لا تجب الاستعاذة إلا عند من لا يعتد بخلافه^(٢).

والاستعاذة عند التلاوة مستحبة غير واجبة بلا خلاف، ثم أخبر أنه ليس للشيطان سلطان وحجة على الذين آمنوا بالله وحده، ولم يشركوا به سواه^(٣).

قال الجبائي: في الآية دلالة على أن الصرع ليس من قبل الشيطان، قال: لأنه لو أمكنه أن يصرعه لكان له عليهم سلطان، وأجاز أبو الهذيل وابن الاخشاذ ذلك^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ

الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾

الآية: ١٠٣.

١. قارن ٦: ٤٢٤، والآية في سورة المائدة: ٦.

٢. قارن ٦: ٤٢٥.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ٤٢٥.

قال الضحاك: أرادوا به سلمان الفارسي^(١)، وقال قوم: أرادوا به إنساناً يقال له: عايش أو يعيش كان مولى لحويطب بن عبد العزى أسلم وحسن إسلامه^(٢).

فقال الله تعالى ردأ عليهم: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ أي: يميلون إليه ﴿أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ﴾ كما تقول العرب للقصيدة: هذه لسان فلان، قال الشاعر:

لسان السوء تهديها إلينا وحتت وما حسبتك أن تحينا^(٣)

١- صحابي جليل كان يسمي نفسه سلمان الإسلام، كان عالماً بالشرائع وغيرها وهو الذي أشار بحفر الخندق، واختلف عليه المهاجرون والأنصار كل يقول سلمان منا، فقال رسول الله: سلمان منا أهل البيت.

وهو أحد الأربعة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «أمرني ربي يحب أربعة، وأخبرني أنه سبحانه يحبهم: عليّ وأبوذر والمقداد وسلمان رضي الله تعالى عنهم»، وقال فيه أمير المؤمنين عليّ: وقد سئل عنه فقال: «سلمان منا وإلينا أهل البيت من لكم بمثل لقمان الحكيم علم العلم الأول والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأول والكتاب الآخر وكان بحراً لا ينزف»، وقال أيضاً فيه أول مشاهدته الخندق وهو الذي أمر بحفره، ولم يفته بعد ذلك مشهد مع رسول الله ﷺ، وكان إذا خرج عطاؤه - وهو خمسة آلاف - تصلق به، ويأكل من عمل يده، وكانت له عباءة يفتersh بعضها ويلبس بعضها، قال مالك: كان سلمان يعمل الخوص بيده فيعيش منه ولا يقبل من أحد شيئاً.. وعن عائشة قالت: كان لسلمان مجلس من رسول الله ﷺ ينفرد به بالليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله ﷺ توفي سنة: ٣٥ وقيل بل في أول سنة ٣٦ وولي غسله وأمر تجهيزه والصلاة عليه ودفنه أمير المؤمنين عليه السلام.

ترجمه غير واحد كابن سعد وابن عبد البر وابن حجر في تراجم الصحابة، وفيه كتب خاصة للجلودي وابن بابويه والنوري والسيئي وغيرهم، راجع الذريعة ١: ٣٣٢ - ٢٣٣.

٢. ذكره ابن حجر في الإصابة باسم يعيش وقال: ذكره المستغفري وساق من طريق وكيع حديثاً. جاء فيه - كان النبي ﷺ يقرئ غلاماً لبني المغيرة أعجمياً. قال وكيع قال سفيان أراه يقال له يعيش. فنزلت ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ الآية.

٣. البيت من الشواهد في التبيان ومجمع البيان والمغني لابن هشام ولم ينسب لأحد بعينه.

والأعجمي الذي لا يفصح، والعجمي منسوب إلى العجم، والأعرابي البدوي والعربي منسوب إلى العرب، ومعناه ظاهر بين لا يشك^(١).

فصل

قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ الآية: ١٠٦.

نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر رحمة الله عليه أكرهه المشركون بمكة بأنواع العذاب^(٢).

وقيل: أنهم غطوه في بئر ماء على أن يلفظ بالكفر، وكان قلبه مطمئناً بالإيمان فخاف من ذلك وجاء إلى النبي ﷺ جزعاً، فقال له النبي ﷺ: كيف كان قلبك؟ قال: كان مطمئناً بالإيمان، فأنزل الله فيه الآية، وأخبر أن الذين يكفرون بالله بعد أن كانوا مصدقين به بأن يرتدوا عن الإسلام فعليهم غضب من الله^(٣).

فصل

قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ

وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ الآية: ١٠٧.

معناه أحد شيئين:

أحدهما: أنه لا يهديهم إلى طريق الجنة والثواب لكفرهم^(٤).

١. قارن ٦: ٤٢٧.

٢. نزول الآية في عمار ممّا لا شك فيه، وقد اتفق المفسرون على ذلك، وعلى هذه الآية بنى الفقهاء أحكام التقية ومساائل الإكراه، وحتى في المعارض مندوحة عن الكذب.

٣. وذلك قوله تعالى في تمة الآية السابقة: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

٤. قارن ٦: ٤٢٩.

الثاني: أنه لا يحكم بهدايتهم لكونهم كفّاراً، فأما نصب الدلالة فقد هدى الله جميع المكلفين، كما قال: ﴿وَأَمَّا نُمُودُ فَبَعْدَئِذَا هُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾^(١).

وقيل: أنهم لما لم يهتدوا بتلك الأدلة، فكأنها ما نصبت لهم، ونصبت للمؤمنين الذين اهتدوا بها، فلذلك نفاها عنهم فكأنها لم تكن^(٢).

فصل

قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الآية: ١١٠.

نزلت في المستضعفين المفتنين بمكة: عمار، وبلال، وصهيب، فإنهم حملوا على الارتداد عن دينهم، فمنهم من أعطى ذلك تقية، منهم عمار فإنه أظهر ذلك تقية ثم هاجر^(٣).

قال الرماني: في الآية دلالة على أنهم فُتنوا عن دينهم بمعصية كانت منهم لقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لأن المغفرة الصفح عن الخطيئة، ولو كانوا أعطوا التقية على حقها لم تكن هناك خطيئة^(٤).

هذا الذي ذكره ليس بصحيح، ولا في الكلام دلالة عليه، وذلك أن الله تعالى إنما قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ يعني: بعد الفتنة التي يشق أمرها ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: سائر عليهم، لأن ظاهر ما أظهره يحتمل القبيح والحسن^(٥).

١. قارن ٦: ٤٢٩، والآية في سورة فصلت: ١٧.

٢. قارن ٦: ٤٢٩.

٣. قارن ٦: ٤٣١.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

فلما كشف الله عن باطن أمورهم، وأخبر أنهم كانوا مطمئنين بالإيمان، كان في ذلك ستر عليهم وإزالة للظاهر المحتمل إلى الأمر الجلي، وذلك من نعم الله عليهم^(١).

فصل

قوله: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ الآية: ١١٢.

إنما سمّاه لباس الجوع، لأنه يظهر عليهم من الهزال، وشحوب اللون، وسوء الحال ما هو كاللباس^(٢).

وقيل: أنه شملهم الجوع والخوف، كما يشمل اللباس البدن^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَجَدِلْتُهُمْ بِلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الآية: ١٢٥^(٤).

الجدال فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج، والتي هي أحسن، فيه الرفق والوقار والسكينة مع نصرة الحق بالحجة^(٥).



١. نفس المصدر.

٢. قارن ٦: ٤٣٣.

٣. نفس المصدر.

٤. إضافة من المصدر يقتضيها السياق.

٥. قارن ٦: ٤٤٠.

سورة بني إسرائيل

قالت أم هاني بن أبي طالب: إن النبي ﷺ كان في منزلها ليلة أسري به^(١)، وقال الحسن وقتادة: كان في نفس المسجد الحرام^(٢) والمسجد الأقصى بيت المقدس، وهو مسجد سليمان بن داود^(٣) في قول الحسن وغيره من المفسرين، وإنما قيل الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام.

فصل

قوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ الآية: ٣.

((نصبه على النداء، وهو خطاب لجميع الخلق، لأن الخلق كله من نسل نوح من بنيه الثلاثة: حام وهو أبو السودان، ويافث وهو أبو البيضان الروم والترك والصقالبة وغيرهم، وسام وهو أبو العرب والفرس))^(٤).

فصل

قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ

شَدِيدٍ﴾ الآية: ٥.

١. قارن ٦: ٤٤٦.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. ما بين القوسين من كلام ابن إدريس.

قيل في معنى ﴿بَعَثْنَا﴾ قولان:

أحدهما: قال الحسن: أنا خلينا بينهم وبينكم، خاذلين لكم جزاءاً على كفركم ومعاصيكم، كما قال: ﴿أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزَّهُمْ أَزْأً﴾^(١).

الثاني: قال أبو علي: أمرناهم بقتالكم^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَخَرَجْنَاهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۚ﴾ [أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا] * مِّنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا] الآية: ١٣ - ١٥.

معنى ﴿طَائِرُهُ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: عمله من خير أو شر، كالطائر الذي يجيء من ذات اليمين فيتبرك به، والطائر الذي يجيء من ذات الشمال فيتشأم به، وطائره عمله، وإلزام الله طائره في عنقه: الحكم عليه بما يستحقه من ثواب أو عقاب^(٣).

ثم قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي لا يأخذ أحداً بذنب غيره، والوزر الاثم^(٤).

١. قارن ٦: ٤٤٨، والآية في سورة مريم: ٨٣.

٢. قارن ٦: ٤٤٨.

٣. قارن ٦: ٤٥٥.

٤. قارن ٦: ٤٥٧.

وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولاً﴾ اخبار من الله أنه لا يعاقب أحداً على معاصيه حتى يستظهر عليه بالحجة وانفاذ الرسل^(١).

وليس في ذلك دلالة على أنه لو لم يبعث رسولاً لم يحسن منه أن يعاقب إذا ارتكب القبائح العقلية^(٢).

اللهم! إلا أن يفرض أن في بعثة الرسل لطفاً، فإنه لا يحسن من الله مع ذلك أن يعاقب أحداً إلا بعد أن يعرفه ما هو لطف له ومصلحة لتزاح علته^(٣).

وقيل معناه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ بعذاب الاستيصال والإهلاك في الدنيا ﴿حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولاً﴾^(٤) وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبرة، من أن الله تعالى يعذب أطفال الكفار بكفر آبائهم، لأنه بين أنه لا يأخذ أحداً بجرم غيره^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾

الآية: ١٦.

ذكر في هذه الآية وجوه أربعة:

أحدها: أن مجرد الإهلاك لا يدل على أنه حسن أو قبيح، بل يمكن وقوعه على كل واحد من الأمرين، فإذا كان واقعاً على وجه الظلم كان قبيحاً، وإذا كان واقعاً على وجه الإستحقاق، أو على وجه الإمتحان كان حسناً، فتعلق

١. نفس المصدر، والآية ١٥ من سورة الإسراء .

٢. نفس المصدر .

٣. قارن ٦: ٤٥٨ .

٤. نفس المصدر .

٥. نفس المصدر .

الارادة به لا يقتضي تعلّقها على الوجه القبيح، وإذا علمنا أنّ القديم لا يفعل القبيح علمنا أنّ إرادته للإهلاك على الوجه الحسن^(١).

وقوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ المأمور به محذوف، وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق وإن وقع بعده الفسق^(٢)، بل لا يمتنع أن يكون التقدير: وإذا أردنا أن نهلك أهل القرية أمرناهم بالطاعة ففسقوا فيها فحق عليها القول، وجرى ذلك مجرى قولهم: أمرته فعصى، والمراد أمرته بالطاعة فعصى^(٣).

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: المعنى أمرناهم بالطاعة ففسقوا، ومثله أمرتك فعصيتني^(٤).

ومن قرأ: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ بتشديد الميم بمعنى أكثرنا، من قولهم: سكة مأبورة ومهرة مأمورة، أي كثيرة التاج، فالمعنى أي أكثرنا عددهم أو مالهم ففسقوا، فقد سلم من الاعتراض^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ﴾ الآية: ٢٣.

في ﴿أَفٍ﴾ سبع لغات: روي عن الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: لو علم الله لفظة أوجز في ترك عقوق الوالدين من أف لأتى بها^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ٤٦١.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٦: ٤٦٦، والحديث في مجمع البيان ٦: ٤٠٩.

فإن قيل: هل أباح الله أن يقال لهما أفّ قبل أن يبلغا الكبر ؟

قلنا: لا، لأن الله أوجب على الولد طاعة الوالدين على كلّ حال، وحظر عليه أذاهما^(١).

وإنما خصّ الكبر، لأن وقت كبر الوالدين ممّا يضطر فيه الوالدان إلى الخدمة إذا كانا محتاجين عند الكبر، وفي المثل يقال: (فلان أبرّ من النسر) لأن النسر إذا كبر ولم ينهض للطيران جاء الفرخ فرقه كما كان أبواه يزقانه^(٢).

ومثله قوله: ﴿وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾^(٣).

والوجه في قوله: ﴿وَكَهْلًا﴾ مع أن الناس يتكلّمون كلّهم حال الكهولية، أن الله تعالى أخبر أن عيسى يكلم في المهد أعجوبة، وأخبر أنه يعيش حتى يكتهل ويتكلّم بعد الكهولة.

ونحوه قوله: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾^(٤) إنما خصّ بذلك اليوم بأن الأمر لله، لأن في الدنيا مع أنه يملك، قد ملك أقواماً جعلهم ملوكاً وخلفاء، وذلك اليوم لا يملك سواه^(٥).

معنى قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ أي أمر، في قول ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد^(٦).

١. قارن ٦: ٤٦٦.

٢. المثل لم أقف عليه في مجمع الأمثال للميداني ولا في المستقصى للزمخشري.

٣. آل عمران: ٤٦.

٤. قارن ٦: ٤٦٦، والآية في سورة الانفطار: ١٩.

٥. قارن ٦: ٤٦٦.

٦. نفس المصدر.

فإن قيل: الأمر لا يكون أمراً بالألا يكون الشيء، لأنه يقتضي ارادة المأمور به، والإرادة لا تتعلق بالألا يكون الشيء، وإنما تتعلق بحدوث الشيء^(١).

قلنا: المعنى أنه كره ربكم عبادة غيره، وأراد منكم عبادته على وجه الاخلاص، وسمي ذلك أمراً بـ ﴿الَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ لأن معناهما واحد^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا] الآية: ٢٩.

أي لا تكن ممن لا يعطي شيئاً ولا يهب، فتكون بمنزلة من يده مغلولة إلى عنقه، ولا يقدر على الإعطاء، وذلك مبالغة في النهي عن الشح والإمساك ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ أي ولا تعط أيضاً جميع ما عندك، فتكون بمنزلة من بسط يده حتى لا يستقر فيها شيء، وذلك كناية عن الإسراف^(٣).

والمحسور المغموم المتحسر والحسرة الغم^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ الآية: ٣٣.

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٦: ٤٧٠.

٤. قارن ٦: ٤٧١.

إسرافه فيه أن يقتل غيرَ مَنْ قُتِل، أو يقتل أكثرَ مَنْ قاتل وليه، لأنَّ مشركي العرب كانوا يفعلون ذلك، والتقدير فلا يسرف الولي في القتل، إنَّ الولي كان منصوراً بقتل قاتل وليه والاقتصاص منه.

فصل

قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ^١ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ^٢﴾ الآية: ٣٤.

إنما خصَّ مال اليتيم بذلك، وإن كان التصرف في مال البالغ بغير إذنه لا يجوز أيضاً، لأنَّ اليتيم إلى ذلك أحوج والطمع في مثله أكثر^(١).

وقوله: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ قال قوم: حتى يبلغ ثمان عشرة سنة. وقال آخرون: حتى يبلغ الحلم، وقال آخرون - وهو الصحيح - : حتى يبلغ كمال العقل ويؤنس منه الرشد^(٢).

وقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ أمر من الله تعالى بالوفاء بالعهد وهو العقد، ومتى عقد عاقد على ما لا يجوز، فعليه نقض ذلك العقد الفاسد والتبري منه، وإنما يجب الوفاء بالعقد الذي يحسن^(٣).

وقيل: كلَّ ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد، وقد يجب الشيء للنذر، وللعهد والوعد به، وإن لم يجب ابتداءً وإنما يجب عند العقد^(٤).

١. قارن ٦: ٤٣٦.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ٤٧٧.

وقوله: ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ معناه: إنه كان مسؤولاً عنه للجزاء عليه، فحذف عنه لأنه مفهوم^(١).

ثم نهى نبيه أن يقفو ما ليس له به علم، وهو متوجه إلى جميع المكلفين، وأصله القفو اتباع الأثر، ومنه القيافة وكأنه يتبع قفا المتقدم^(٢).
واستدل بهذه الآية على أنه لا يجوز العمل بالقياس ولا بخبر الواحد، لأنهما لا يوجبان العلم، وقد نهى الله تعالى أن يتبع الإنسان ما لا يعلمه^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ الآية: ٦١.

إنما جاز أن يأمره بالسجود له، ولم يجز أن يأمره بالعبادة له، لأن السجود يترتب في التعظيم بحسب ما يراد به، وليس كذلك العبادة التي هي خضوع بالقلب ليس فوقه خضوع، لأنه يترتب في التعظيم بحسب نيته، بين ذلك أنه لو سجد ساهياً لم يكن له منزلة في التعظيم، على قياس غيره من أفعال الجوارح^(٤).

قال الرماني: الفرق بين السجود لآدم والسجود إلى الكعبة، أن السجود لآدم تعظيم له بإحسانه، وهذا يقارب قولنا في أنه قصد بذلك تفضيله بأن أمره بالسجود له^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ الآية: ٣٦ من سورة الإسراء.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ٤٩٦.

٥. نفس المصدر.

ومعنى «لَاخْتَنِكَنَّ»^(١) لاقتطعتهم إلى المعاصي، يقال منه احتك فلان ما عند فلان من مال أو علم أو غير ذلك، قال الشاعر:

نشكو إليك سنة قد أجهفت جهداً إلى جهد بنا وأضعفت
واحتكت أموالنا وجلفت^(٢)

فصل

قوله: «وَأَسْتَفْزِزْ مَنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ
وَرَجْلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ» الآية: ٦٤.

معنى «أَسْتَفْزِزْ» استزل، يقال: استزله واستفزّه بمعنى واحد، وتفزز
الشوب إذا تخرق وفززه تفزيراً، وأصله القطع، فمعنى استفزّه استزله بقطعه عن
الصواب^(٣).

والاستطاعة قوة تنطاع بها الجوارح للفعل، ومنه الطوع والطاعة وهو
الانقياد للفعل^(٤).

وقيل في الصوت الذي يستفزه به قولان:

أحدهما: قال مجاهد: هو صوت الغناء واللهو.

الثاني: قال ابن عباس: هو كل صوت يدعى به إلى معصية الله^(٥).

١. إشارة إلى قوله تعالى: «لَاخْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً» الآية: ٦٢ من الإسراء.

٢. قارن ٦: ٤٩٧.

٣. قارن ٦: ٤٩٩.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَشَارَكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ فمشاركته إياهم في الأموال كسبها من وجوه محظورة، أو إنفاقها في وجوه محظورة، كما فعلوا في السائبة والبحيرة^(١) وفي الأولاد قال مجاهد والضحاك: فهم أولاد الزنا، وقال ابن عباس: المؤودة، وقال ابن عباس في رواية: هو تسميتهم عبد الحارث وعبد شمس^(٢).

فصل

قوله: ﴿فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْتِيَكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ الآية: ٧١.

جعل الله تعالى اعطاء الكتاب باليمين من علامة الرجاء والخلاص، وأن من أعطي كتابه باليمين، تمكن من قراءة كتابه وسهل له ذلك، وكان فحواه أن من أعطي كتابه بيساره أو وراء ظهره، فإنه لا يقدر على قراءة كتابه ولا يتأتى له بل يتلجلج فيه^(٣).

والفتيل هو المفتول الذي في شق النواة في قول قتادة^(٤).

وقيل: الفتيل في بطن النواة، والنقير في ظهرها، والقطير قشر النواة، ذكره الحسن^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٦: ٥٠٤.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ^ط إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ الآية: ٧٨.

اختلفوا في الدلوك، فقال ابن عباس وابن مسعود وابن زيد: هو الغروب، والصلاة المأمور بها هنا هي المغرب^(١).

وقال ابن عباس في رواية أخرى والحسن ومجاهد وقتادة: دلوكها زوالها وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله^(٢).

وذلك أن الناظر إليها يدلك عينيه لشدة شعاعها، وأما عند غروبها فيدلك عينيه ليتبينها^(٣)، وغسق الليل ظهور ظلامه^(٤).

و﴿قُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ يعني قرآن الفجر في الصلاة، وذلك يدل على أن الصلاة لا تتم إلا بالقراءة، لأنه أمر بالقراءة وأراد بها الصلاة، لأنها لا تتم إلا بها^(٥).

وقوله: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ معناه: يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، ذهب إليه ابن عباس وقتادة ومجاهد وإبراهيم^(٦).

ومعنى ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي عند دلوكها^(٧).

١. قارن ٦: ٥٠٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ٥٠٩.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. قارن ٦: ٥١٠.

واستدلّ قوم بهذه الآية على أنّ وقت الأولى موسّع إلى آخر النهار، لأنّه أوجب إقامة الصلاة من وقت الدلوك إلى وقت غسق الليل، وذلك يقتضي أن ما بينهما وقت^(١).

وهذا ليس بشيء، لأنّ من قال: إنّ الدلوك هو الغروب لا دلالة له فيها، لأنّ من قال ذلك يقول: إنّّه تجب إقامة المغرب من عند الغروب إلى وقت اختلاط الظلام الذي هو غروب الشفق، وما بين ذلك وقت المغرب، ومن قال: الدلوك هو الزوال يمكنه أن يقول: المراد بالآية بيان وجوب الصلوات الخمس على ما ذكره الحسن، لا بيان وقت صلاة واحدة، فلا دلالة في الآية^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ الآية: ٧٩.

التهجّد التيقظ لما ينفي النوم^(٣).

وقال المبرّد: التهجّد عند أهل اللغة: السهر للصلاة أو لذكر الله، فإذا سهر للصلاة قيل: تهجّد، وإذا أراد النوم قيل: هجد^(٤).

قال الرماني: يجوز أن يكون نافلة أكثر ثواباً من فريضة، إذا كان ترك الفريضة صغيراً، لأنّ نافلة النبيّ أعظم من هذه الفريضة من فرائض غيره.

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٦: ٥١١.

٤. نفس المصدر.

وقد تكون نعمة واجبة أعظم من نعمة واجبة، كنعمة الله، لأنه يستحق بها العبادة من نعمة الإنسان التي يستحق بها الشكر فقط^(١).

وقوله: ﴿نَافِلَةٌ لَّكَ﴾ وجه هذا الاختصاص هو أنه أتم، للترغيب لما في ذلك من صلاح أمته في الاقتداء به، والدعاء إلى الاستئذان بسنته، وروي أنها فرضت عليه ولم تفرض على غيره، فكانت فضيلة له، ذكره ابن عباس^(٢).

وقوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وهي الشفاعة، في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة^(٣).

وقال قوم: المقام المحمود إعطاؤه لواء الحمد يوم القيامة^(٤).

و ﴿عَسَى﴾ من الله واجبة، وقد أنشد لابن مقبل:

ظنني بهم كعسى وهم بتوفه يتنازعون جوائز الأمثال^(٥)
يريد كيقين.

فصل

قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ الآية: ٨٤.

معنى ذلك أي على طريقته التي تشاكل أخلاقه، وقال مجاهد: على طبيعته، وقيل: على عادته التي ألفها^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٦: ٥١٢.

٤. نفس المصدر.

٥. البيت من الشواهد في مجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ١٣٤ وفي الهامش جملة من مصادره.

٦. قارن ٦: ٥١٤.

والمعنى أنه ينبغي للإنسان أن يحذر إلف الفساد، فلا يستمر عليه بل يرجع عنه.

فصل

قوله: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية: ٨٥.

اختلفوا في الروح، فقال ابن عباس: هو جبرئيل^(١).

وروي عن أمير المؤمنين علي^(عليه السلام) أن الروح ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه، لكل وجه سبعون ألف لسان، يسبح لله بجميع ذلك^(٢).
وقيل: هو روح الحيوان، وهو الأظهر في الكلام^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ الآية: ٩٤.

فإن قيل: لم جاز أن يرسل الله إلى النبي. وهو من البشر. ملكاً ليس من جنسه؟ ولم يجر أن يرسل إلى غير النبي مثل ذلك؟^(٤).

قلنا: لأنه صاحب معجزة، قد اختير للهداية والمصلحة، فصارت حاله بذلك مقاربة لحال الملك، وليس كذلك غيره من الأمة، مع أن الجماعة الكثيرة

١. قارن ٦: ٥١٥.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٦: ٥٢١.

ينبغي أن يتخير لها ما تجتمع عليها همها بما لا يحتاج إليه في الواحد منها، إذا أريد صلاح الجميع^(١).

على أنه يلزمهم على الامتناع من اتباع النبي. لأنه بشر مثلهم. الامتناع من اتباع المَلَك، لأنه عبد ومحدث مثلهم في العبودية، فإن جاز ذلك لأن الله عظمه وشرفه واختاره جاز أيضاً في البشر لمثل هذه العلة^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ

أَوْلِيَاءَ﴾ الآية: ٩٧.

قيل في معنى ذلك قولان:

أحدهما: من يحكم الله بهدايته وتسميته بها باخلاصه الطاعة، فهو المهتدي في الحقيقة، وفيه دعاء إلى الاهتداء، وترغيب فيه، وحث عليه، وفيه معنى الأمر به^(٣).

الثاني: من يهديه الله إلى طريق الجنة فهو المهتدي إليها.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ يحتمل أيضاً أمرين:

أحدهما: من يحكم الله بضلاله وتسميته ضالاً بسوء اختياره للضلالة، فإنه لا تنفعه ولاية ولي له، فلو تولاه لم يعتد بتولييه، لأنه من اللغو الذي لا منزلة له، فلذلك حسن أن ينفي، لأنه بمنزلة ما لم يكن^(٤).

١. قارن ٦: ٥٢٢.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٦: ٥٢٣.

٤. نفس المصدر.

والثاني: من يضلله الله عن طريق الجنة وأراد عقابه على معاصيه لم يوجد له ناصر يمنعه من عقابه^(١).

فصل

قوله: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَا مَسَكُكُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَنُ قَتُورًا﴾ الآية: ١٠٠.

القتور البخيل في قول ابن عباس. وظاهر قوله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَنُ قَتُورًا﴾ العموم، وقد علمنا أن في الناس الجواد، والوجه فيه أحد أمرين^(٢).

أحدهما: أن الأغلب عليهم من ليس بجواد من مقتصد أو بخيل، فجاز إطلاقه تغليبا للأكثر.

والثاني: أنه لا أحد إلا وهو يجرّ إلى نفسه نفعاً بما فيه ضرر على الغير، فهو بخيل بالإضافة إلى جود الله^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَسَئَلَٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ الآية: ١٠١.

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٦: ٥٢٥.

٣. قارن ٦: ٥٢٦.

اختلفوا في هذه التسع، فقال ابن عباس والضحاك: هي يد موسى، وعصاه، ولسانه، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع والدم^(١).

وقوله: ﴿مَسْحُورًا﴾ حكاية عما قال فرعون لموسى: ﴿إِنِّي لَأُظْنِكُ يَا مُوسَى﴾ معطى علم السحر، فهذه العجائب التي تفعلها من سحر، وقد يجوز أن يكون المراد ﴿إِنِّي لَأُظْنِكُ يَا مُوسَى﴾ ساحراً، فوضع المفعول موضع فاعل^(٢).

فصل

قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا﴾ الآية: ١١٠.

معناه: بأيّ أسمائه تعالى تدعون ربكم به، وإنما تدعون واحداً، فله الأسماء الحسنی، وإنما أمره بذلك، لأن مشركي قومه لما سمعوا النبي ﷺ يدعو الله تارة بأنه الله، وتارة بأنه الرحمن، فظنوا أنه يدعو إلهين، حتى قال بعضهم: الرحمن رجل باليمامة، فأنزل الله هذه الآية احتجاجاً لنبيه بذلك وأنه شيء واحد، وإن اختلفت أسماءه وصفاته، وبه قال ابن عباس ومكحول ومجاهد وغيرهم^(٣).

وقوله: ﴿أَيًّا مَا﴾ يحتمل أن يكون صلة، كقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ ويحتمل أن يكون بمعنى أي كررت لاختلاف لفظها، كما قالوا: ما رأينا كالليلة لليلة^(٤).

١. قارن ٦: ٥٢٧.

٢. قارن ٦: ٥٢٨.

٣. قارن ٦: ٥٣٣.

٤. قارن ٦: ٥٣٣، والآية في سورة الإسراء: ١١٠.

وقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ نهي

من الله تعالى عن الجهر العظيم في حال الصلاة، وعن المخافتة الشديدة، وأمر بأن يتخذ بين ذلك طريقاً، وحدّ أصحابنا الجهر فيما يجب الجهر فيه بأن يسمع غيره، والمخافتة بأن يسمع نفسه^(١).

ثم قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾^(٢) وليس لأحد أن يقول: كيف يحمد الله على أن لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك، والحمد إنّما يستحق على فعل له صفة التفضّل؟^(٣).

وذلك أن الحمد في الآية ليس هو على أن لم يفعل ذلك، وإنّما هو حمد على أفعاله المحموده، ووجه إلى من هذه صفته لا من أجل أن ذلك صفته، كما تقول: أنا أشكر فلاناً الطويل الجميل، ليس أنّك تشكره على جماله وطوله، بل على غير ذلك من فعله^(٤).



١. قارن ٦: ٥٣٣.

٢. قارن ٦: ٥٣٥.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

سورة الكهف

فصل

قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ

عِوَجًا * قَيِّمًا﴾ الآية: ١ - ٢.

كسرت العين من قوله: ﴿عِوَجًا﴾ لأن العرب تقول عوجاً - بكسر العين - في كل أعوجاج كان في دين أو فيما لا يرى شخصه قائماً ولا يدرك عياناً منتصباً، كالعوج في الدين، ولذلك كسرت العين في هذا الموضع، وكذلك العوج في الطريق، لأنه ليس بالشخص المنتصب^(١)، فأما ما كان في الأشخاص المنتصبين، فإن عينها تفتح، كالعوج في القناة والخشبة ونحوهما^(٢).

فصل

قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ﴾ الآية: ٦.

معناه: فلعلك يا محمد قاتل نفسك، فتهلكها على آثار قومك، يقال: بنع نفسه يبنعها بنعاً وبنوعاً، قال ذو الرمة:

ألا أيهذا البائع الوجد نفسه لشيء نحته عن يديه المقادر^(٣)
يريد نحته نخفف.

١. قارن ٥: ٧.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٧، والبيت في ديوان ذي الرمة: ١٠٣٧ ط دمشق وروايته عن يدك.

قوله: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ الصعيد ظهر الأرض^(١)، والجرز الذي لا نبات عليه ولا زرع ولا غرس^(٢).

فصل

قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ الآية: ٩.

اختلفوا في معنى ﴿الرقيم﴾ فقال قوم: هو اسم قرية، ذهب إليه ابن عباس^(٣).

وقال عطية: الرقيم واد^(٤).

وقال قتادة: الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف^(٥).

وقال سعيد بن جبير: هو لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أهل الكهف، ثم وضعوه على باب الكهف، وهو اختيار البلخي والجبائي وجماعة^(٦).

فصل

قوله: ﴿لَنْ نَدْعُوًا مِنْ دُونِهِ إِلَّا هَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ الآية: ١٤.

الشطط الخروج عن الحد بالغلو فيه، ومنه قد أشط فلان في السوم إذا تجاوز القدر بالغلو فيه، يشط إشطاطاً وشططاً، وشط منزل فلان يشط شطوطاً إذا جاوز القدر في البعد^(٧).

١. قارن ٧: ١٠، والآية ٨ من السورة.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ١١.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. قارن ٧: ١٥.

فصل

قوله: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ

وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ إِلَيْهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ الآية: ١٧.

قيل: في معنى ﴿تَقَرَّبُ إِلَيْهِمْ﴾ قولان: أحدهما: تقطعهم في ذات الشمال، أي أنها تجوزهم منحرفة عنهم من قولك قرضته بالمقراض أي قطعتة^(١). قال أبو عبيد: كذلك هو في كلامهم، يقال: قرضت الموضع إذا قطعتة وجاوزته، وقال الكسائي والفراء: هو المحاذاة^(٢).

والقرض يستعمل في أشياء غير هذا، منه القطع للثوب وغيره، ومنه سمي المقراض، ومنه قرض الفأر، والقرض من تقارض الناس بينهم الأموال، وقد يكون ذلك في الثناء ثني عليه كما يثني عليك^(٣). والقرض بلغة أهل الحجاز المضاربة^(٤).

والقرض قول الشعر القصيد منه خاصة دون الرجز، وقيل للشعر: قريض من ذلك، قال الأغلب العجلي:

أرجزاً تريد أم قريضاً^(٥)

قوله: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ معناه من يسمه الله هادياً ويحكم

بهدايته فهو المهتدي^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٧: ١٥، والرجز للأغلب العجلي كما في ديوانه: ٣١٣، وقارن الفائق للزمخشري ٢: ٢٣٩.

٦. قارن ٧: ٢١.

ويحتمل أن يكون أراد من يهده الله إلى الجنة فهو المهتدي في الحقيقة^(١)، ويحتمل أن يكون من يطف الله له بما يهتدي عنده فهو المهتدي^(٢).
 ﴿وَمَنْ يُضِلَّ﴾ أي من يحكم بضلاله أو يسمه ضالاً، أو من يضله عن طريق الجنة ويعاقبه^(٣).

فصل

قوله: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ﴾ الآية: ١٩.

في ورقكم أربع لغات: فتح الواو وكسر الراء وهو الأصل، وفتح الواو وسكون الراء، وكسر الواو وسكون الراء ((والادغام)) فالورق الدراهم، ويقال أيضاً بفتح الراء ويجمع أوراقاً، ورجل وراق كثير الدراهم، فأما ما يكتب فيه فهو الورق بفتح الراء لا غير^(٤).

وقيل: الورق - بفتح الراء - المال كله المواشي وغيرها، قال العجاج:

اغفر خطاياي وثمر روقي^(٥)

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. ما بين القوسين من المصدر كما في ٧: ٢٣.

٥. الرجز للعجاج بن روبة وقبلة كما في ديوانه: ١١٨:

يا رب، رب البيت والمشرق

والمرقلاات كل سهب سملق

إياك أدعو فتقبل تلقني

برواية الأصمعي وتحقيق الدكتور عزة حسن ط دار الشرق سوريا.

فصل

قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً

سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَثَامِنُهُمْ﴾ الآية: ٢٢.

قال الرماني: وفرق بينهما، لأن السبعة أصل للمبالغة في العدة، كما قال ﷺ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾^(١).

قوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ قال قتادة: معناه قذفاً بالغيب، وقال المورج: ظناً بالغيب^(٢).

قوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إني فاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ نهى من الله لنبيه أن يقول: إني أفعل شيئاً في غد، إلا أن يقيد قوله بمشيئة الله، فيقول: إن شاء الله، لأنه لا يأمن اختراجه، فيكون خبره كاذباً، وإذا قيد بقوله: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ثم لم يفعل لم يكن كاذباً^(٣).

والمراد بالخطاب جميع المكلفين، ومتى أخبر المخبر عن ظنه وعزمه بأنه يفعل شيئاً فيما بعد ثم لا يفعل لا يكون كاذباً، لأنه أخبر عن ظنه وهو صادق فيه^(٤).

وقال الفراء قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ بمعنى المصدر، فكأنه قال: إلا مشيئة الله، والمعنى إلا ما يريد الله، وإذا كان الله تعالى لا يشاء إلا الطاعات،

١. قارن ٧: ٢٦.

٢. قارن ٧: ٢٧.

٣. قارن ٧: ٢٨، والآية ٢٣ من السورة.

٤. نفس المصدر.

فكأنه قال له: لا تقل أنني أفعل إلا الطاعات وما يقرب إلى الله^(١).

وهذا وجه حسن، ولا يطعن في ذلك جواز الإخبار عما يريد فعله من المباحات التي لا يشاؤها الله، لأن هذا النهي ليس هو نهى تحريم، وإنما هو نهى تنزيه، لأنه لو لم يقل ذلك لما أثم بلا خلاف، وإنما هو نهى تحريم فيما يتعلق بالقبح، فإنه لا يجوز أن يقول: أنني أفعل ذلك بحال^(٢).

والآية تضمنت أن لا يقول الإنسان إنني أفعل غداً شيئاً إلا أن يشاء الله، فأما أن يعزم عليه من غير ذكر ذلك، فلا يلزم المشيئة فيه إلا ندباً^(٣).

قال ابن عباس: له أن يستني ولو إلى سنة^(٤).

والذي نقوله: إن الاستثناء متى لم يكن متصلاً بالكلام أو في حكم المتصل، لم يكن له تعلق بالأول ولا حكم له، وأنه يجوز دخول الاستثناء بمشيئة الله في جميع أنواع الكلام من الأمر والنهي والخبر والأيمان وغير ذلك، ومتى استثنى ثم خالف لم يكن حائثاً في يمينه ولا كاذباً في خبره، ومتى هو استثناءه بعد مدة وبعد انفصال الكلام لم يبطل ذلك حثه ولزمته الكفارة^(٥).

ولو لم نقل ذلك أدّى إلى أن لا يصح يمين ولا خبر ولا عقد، فإن الإنسان متى شاء استثنى في كلامه ويبطل حكم كلامه^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ٢٨، وخبر ابن عباس في المحلى لابن حزم ٨: ٤٦، وأحكام القرآن لابن العربي ٢: ٦٤١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦: ٢٧٣ وغيرها.

٥. قارن ٧: ٢٩.

٦. نفس المصدر.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من حلف على أمر يفعله، ثم رأى ما هو خير له، فليحنت وليكفر»^(١).

ولو كان الاستثناء جائزاً بعد مدة، لكان يقول: فليستثن ولا يحتاج إلى الكفارة ولا يلزمه الحنث^(٢).

وقد روي في أخبارنا مثل ما حكيناه عن ابن عباس.

ويشبه أن يكون المراد به أنه إذا استثنى وكان قد نسي من غير تعمّد، فإنه يحصل له ثواب المستثني دون أن يؤثر في كلامه، وهو الأشبه بابن عباس وأليق بعلمه وفضله، فإن ما حكى عنه بعيد جداً^(٣).

وقال الكسائي والفراء: التقدير ولا تقولن لشيء أنني فاعل ذلك غداً إلا أن تقول إن شاء الله فأضمن القول^(٤).

وإنما كان الاستثناء مؤثراً إذا كان الكلام متصلاً، لأنه يدل على أنه نواه بأول كلامه، وإذا لم يكن متصلاً، فقد استقرت نيته وثبتت، فلا يؤثر الاستثناء فيها^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَلَيْتُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٢٥-٢٦﴾

١- قارن ٧: ٢٩، والحديث الشريف في الموطأ ٢: ٤٧٨، ومسنّد أحمد ٢: ٣٦١، والسنن الكبرى للبيهقي ٩: ٢٣٢ وغيرها بلفظ «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت بالذي هو خير وليكفر عن يمينه»، وراجع الخلاف للطوسي ٦: ١٣٤ ط مؤسسة النشر الإسلامي.

٢- قارن ٧: ٢٩.

٣- نفس المصدر.

٤- قارن ٧: ٣٠.

٥- نفس المصدر.

معناه: اخبار من الله تعالى وبيان عن مقدار مدة لبثهم، أعني أصحاب الكهف إلى وقت انتباههم^(١).

ثم قال لنبيه: فَإِنْ حَاجَّكَ الْمُشْرِكُونَ فِيهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقُلْ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾.

ويحتمل أن يكون المعنى: ولا يجوز لحاكم أن يحكم إلا بما حكم الله به، أو بما دلّ على حكم الله، وليس لأحد أن يحكم من قبل نفسه، فيكون شريكاً لله في أمره وحكمه^(٢).

وقيل: إن معناه قل الله أعلم بما لبثوا إلى أن ماتوا^(٣).

وحكي عن قتادة أن ذلك حكاية عن قول اليهود، وأنهم الذين قالوا: لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً، وقوى ذلك بقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ فذكر أنه تعالى العالم بذلك دون غيره^(٤).

وقد ضعف جماعة هذا الوجه، قالوا: لأن الوجه الأول أحسن، لأنه ليس لنا أن نصرف أخبار الله إلى أنه حكاية، إلا بدليل قاطع، ولأنه معتمد الاعتبار الذي بينه الله ﷻ للعباد^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ الآية: ٢٨.

١. قارن ٧: ٣٢.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ٣٢.

٥. نفس المصدر.

معناه: يريدون تعظيمه، والقربة إليه، دون الرياء والسمعة، فذكر الوجه بمعنى التعظيم، كما يقال: أكرمته لوجهك أي لتعظيمك، لأن من عادتهم أن يذكروا وجه الشيء، ويريدون به الشيء المعظم، كقولهم: هذا وجه الرأي، أي هذا الرأي ((الحق المعظم))^(١).

فصل

قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ الآية ٤٢.

قال بعض أهل اللغة: الثمر المال، والثمر المأكول، وجاء في التفسير أن الثمر النخل والشجر، والثمر - على ما روي عن جماعة من السلف - الأصول التي تحمل الثمرة لا نفس الثمرة، بدلالة قوله: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ أي في الجنة^(٢).

فصل

قوله: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾ الآية: ٣٣.

الألف في ﴿كِلْتَا﴾ ليست ألف التثنية، ولذلك لا يجوز أن تقول الاثنتان قام، ويجوز أن يقال: كل الجنة آتت، ولم يجز كل المرأة قامت، لأن بعض المرأة ليس بامرأة، وبعض الجنة جنة، فكأنه قال: كل جنة من جملة ما آتت^(٣). والمحاورة المراجعة في الكلام.

فصل

قوله: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ الآية: ٣٧.

١. ما بين القوسين من المصدر ٧: ٣٥.

٢. قارن ٧: ٣٩، هكذا ذكر بعد تفسير قوله: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ الآية ٣٤ من سورة الكهف كشاهد لمعنى الثمر، وليس كتفسير مستقل للآية، ويبدو أن ذكره مستقلاً في المقام من سهو القلم، وسيأتي تفسير الآية.

٣. قارن ٧: ٤١.

معنى ﴿خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ أَنْ أَصْلَكَ مِنْ تُرَابٍ، إِذْ خَلَقَ أَبَاكَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ تُرَابٍ فَهُوَ مِنْ تُرَابٍ وَيَصِيرُ إِلَى تُرَابٍ^(١).

وقيل: لما كانت النطفة يخلقها الله بمجرى العادة من الغذاء، والغذاء ينبت من تراب، جاز أن يقال: خلقتك من تراب، لأن أصله تراب، كما قال: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ وهو في هذه الحالة خلق سوي حي، لكن لما كان أصله كذلك جاز أن يقال ذلك^(٢).

وفي الآية دلالة على أن الشك في البعث والنشور كفر^(٣).

[فصل

قوله: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ الآية: ٤٠.]

قوله: ﴿حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ قال ابن عباس وقتادة: معناه عذاباً، وقيل: ناراً من السماء تحرقها^(٤).

وقيل: أصل الحسبان السهام التي ترمى لتجري في طلق واحد وكان ذلك من رمي الأساورة، والحسبان المرامي الكثيرة مثل كثرة الحساب واحده حسبانة^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ

مُنتَصِراً * هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ﴾ الآية: ٤٣ - ٤٤.

١. قارن ٧: ٤٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. ما بين القوسين من المصدر يقضيه السياق.

٥. قارن ٧: ٤٧.

والفتنة الجماعة، وقد يسمّى الرجل الواحد فتنة، كما أنّ الطائفة تكون جماعة وواحداً^(١).

قال ابن عباس: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فالطائفة الرجل الواحد^(٢).

فأما الولاية - بفتح الواو وكسرهما - فلغتان، مثل الوكالة والدلالة، وقال قوم: هما مصدران، فالمكسور مصدر الوالي من الإمارة والسلطان، والمفتوح مصدر الولي ضد العدو^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ

فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ الآية: ٤٢.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ معناه: هلكت ثمرتهم عن آخرها ولم يسلم منها شيء، كما يقال: أحاط بهم العدو إذا هلكوا عن آخرهم^(٤).

ومعنى ﴿يُقَلِّبُ كَفِّهِ﴾ أي يتحسّر على ما أنفق في عمارتها^(٥).

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ معناه حيطانه قائمة لا سقوف عليها، لأنّها

انهارت فصارت في قرارها، ومثله قولهم: وقعت الدار على سقوفها، أي أعلاها في أسفلها^(٦).

١. قارن ٧: ٤٩.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

والعروش الأبنية، وقيل: العروش السقوف، فصارت الشيطان على السقوف^(١).

فصل

قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ^(٢)﴾ [أَفْتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا] الآية: ٥٠.

قوله: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ معناه صار من الجن المخالفين لأمر الله^(٣). وقال قوم: ذلك يدل على أنه لم يكن من الملائكة، لأن الجن جنس غير الملائكة، كما أن الانس غير جنس الجن^(٤).

ومن زعم أنه من الملائكة يقول: معنى ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ يعني من الذين يستترون عن الأبصار، لأنه مأخوذ من الجن وهو الستر، ومنه المجن لأنه يستر الإنسان^(٥).

وقال ابن عباس: نسب إلى الجنان التي كان عليها، كقولك كوفي وبصري^(٥).

وقال غيره: بل كانت قبيلته التي كان منها يقال لهم الجن، وهم سبط من الملائكة فنسب إليهم^(٦).

١. قارن ٧: ٥٠.

٢. قارن ٧: ٥٦.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

وقوله: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ معناه خرج عن أمر ربه إلى معصيته بترك السجود لآدم^(١).

وأصل الفسق الخروج إلى حال تضر، يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها، وفسقت الفأرة إذا خرجت من جحرها^(٢).

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾.

قال ابن عباس: أي مهلكاً، وبه قال قتادة والضحاك وابن زيد، وهو من أوبقته ذنوبه، أي أهلكته، وقال أنس بن مالك: وهو واد في جهنم من قيح ودم^(٣).

[فصل]

قوله: ﴿وَرَأَى الْمَجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ الآية: ٥٣.

﴿ظَنُّوا﴾ أي علموا ﴿أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا﴾ عن دخولها معدلاً ولا مصرفاً، لأن معارفهم ضرورية، فالظن هنا بمعنى العلم، وقد يكون الظن غير العلم، وهو ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه، مع تجويزه أن يكون على خلافه^(٤).

[فصل]

قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ الآية: ٥٤.

١. قارن ٧: ٥٧.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٥٨.

٤. قارن ٧: ٥٩ وما بين القوسين منه.

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ أي خصومة.

والجدل شدة القتال عن المذهب بطريق الحجاج، وأصله الشدة، ومنه الأجل الصقر لشدة، وسير مجدول شديد القتال^(١).

وقوله: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ الآية: ٥٥. معناه ما منعهم من الإيمان بعد مجيء الدلالة أن يستغفروا ربهم على ما سبق من معاصيهم ((الأطلب)) أن تأتيهم سنة الأولين، في مجيء العذاب من حيث لا يشعرون، أو مقابلة من حيث يرون، وإنما هم بامتناعهم من الإيمان بمنزلة من يطلب هذا حتى يؤمن كرهاً، لأنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَمَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم

مَوْعِدًا﴾ الآية: ٥٩.

من ضم الميم وفتح اللام - وهو الاختيار - فلأن المصدر من ((أفعل)) والمكان يجيء على ((مفعل))، كقوله: ﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ كذلك أهلكه الله مهلكاً^(٣).

وكل فعل كان على ((فعل يفعل)) مثل ضرب يضرب فالمصدر مضرب بالفتح، والزمان والمكان ((مفعل)) بكسر العين، وكل فعل كان مضارعه ((يفعل)) بالفتح نحو يشرب ويذهب، فهو مفتوح أيضاً، نحو المشرب والمذهب^(٤).

١. ما بين القوسين من المصدر، قارن ٧: ٦٠.

٢. ما بين القوسين من المصدر، قارن ٧: ٦٠.

٣. قارن ٧: ٦٤، والآية في سورة الإسراء: ٨٠.

٤. قارن ٧: ٦٤.

وكلّ فعل كان على ((فعل يفعل)) بضم العين في المضارع، نحو يدخل ويخرج فالمصدر والمكان منه بالفتح، نحو المدخل والمخرج، إلا ما شذّ منه نحو المسجد فإنه من سجد يسجد^(١).

قيل: فتى موسى كان يوشع بن نون، وقيل: ابن يوشع، وسُمّي فتاه لملازمته إياه، «لَا أَبْرَحُ» أي لا أزال^(٢).

وقيل: أنّه كان وعد بلقاء الخضر عند مجمع البحرين^(٣).

قال قتادة: مجمع البحرين بحر فارس والروم^(٤).

وقوله: «فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا» يعني بين البحرين «نَسِيَا حُوتَهُمَا» وإنّما نسيه يوشع بن نون وأضافه إليهما، كما يقال: نسي القوم زادهم وإنّما نسيه بعضهم^(٥).

وقوله: «فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ» يعني الحوت «فِي الْبَحْرِ سَرَبًا» قال ابن عباس وابن زيد ومجاهد: أحبى الله الحوت، فاتخذ طريقه في البحر مسلوكاً^(٦).

وكان موسى وفتاه تزودا حوتاً مملوحاً حتى إذا كانا حيث شاء الله، ردّ الله إلى الحوت روحه فسرب في البحر^(٧).

قال الحسن: وكان موسى سأل ربّه هل أحد أعلم منّي؟ يعني الآدميين، فأوحى إليه: نعم عبدي الخضر، فقال موسى: كيف لي بلفائه؟ فأوحى الله إليه أن

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٧: ٦٥.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ٦٦.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

يحمل حوتاً في متاعه ويمضي على وجهه حتى يبلغ مجمع البحرين، بحر فارس والروم والمحيطان بهذا الخلق، وجعل العَلَمَ على لقائه أن يفقد حوته، فإذا فقدت الحوت فاطلب حاجتك عند ذلك، فأنك تلقى الخضر عند ذلك^(١)، ثم: ﴿قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ ففتش متاعه ففقد الحوت، قال: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ وكانت الصخرة عند مجمع البحرين ﴿فَأَنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ فقال موسى لفاته: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾^(٢).

تم التعليق من الجزء السادس من كتاب التبيان في تفسير القرآن، وكتب محمد بن إدريس حامداً مصلياً^(٣).

١. قارن ٧: ٦٧.

٢. نفس المصدر.

٣. في النسخة الرضوية: كتبه لنفسه مهنا بن علي بن عطا ف ثاني صفر من سنة أربعين وستيه حامداً مصلياً على محمد وآله الطاهرين.

وفي نسخة دانشگاه: تم التعليق من الجزء - كذا - السادس من كتاب التبيان في تفسير القرآن وكتبه الراجي عفو الله ورحمته وكرمه الله ابن المرحوم السيد عطا الله الحسيني من نسخة مصنفه بخطه المقدس محمد بن إدريس عليه السلام حامداً مصلياً مسلماً.

التعليق من الجزء السابع من التبيان في تفسير القرآن

تصنيف الشيخ أبي جعفر الطوسي رحمته الله

يشتمل على بقية الكهف وسورة مريم وسورة طه والأنبياء

والحج والمؤمنين والنور والفرقان والشعراء والنمل

والقصص والعنكبوت والروم ولقمان

فصل

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا﴾ [لَقَدْ لَقِينَا مِنْ

سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا] الآية: ٦٢.

النصب: التعب والوهن الذي يكون عن الكد، ومثله الوصب، فقال له

فتاه في الجواب: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ الوقت الذي ﴿أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ أي أقمنا عندها ﴿فَأَنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾^(١).

ثم قال: ﴿وَمَا أَنْسَانِي﴾ يعني الحوت ﴿إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أذكُرَهُ﴾ أي وسوسني وشغلني بغيره حتى نسيت، فلذلك أضافه إلى الشيطان، لما كان عند فعله، وجاز نسيان مثل ذلك مع كمال العقل، لأنه كان معجزاً^(٢).

﴿وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ بمعنى أن موسى عليه السلام لما رأى الحوت قد حيي وهو يسلك طريقاً إلى البحر عجب منه ومن عظم شأنه^(٣).

١. قارن ٧: ٦٨.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٦٨.

وقوله: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي﴾ حكاية عما قال موسى عند ذلك من أن ذلك الذي كنا نطلب من العلامة يعني نسيانك الحوت، لأنه قيل له: صاحبك الذي تطلبه وهو الخضر حيث تنسى الحوت، فارتداً يقصّان أي يتبعان آثارهما، حتى انتهيا إلى مدخل الحوت^(١).

فصل

قوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ قال له موسى هل أتبعك على أن تُعلِّمَني الآية: ٦٥ - ٦٦.

اختلفوا في الذي كان يتعلم موسى منه هل كان نبياً أم لا؟^(٢)
فقال الجبائي: كان نبياً، لأنه لا يجوز أن يتبع النبي من ليس بنبي ليتعلم منه العلم، لما في ذلك من الغضاضة على النبي^(٣).
وقال ابن الأخشاذ: ويجوز أن لا يكون نبياً على أن لا يكون فيه وضع من موسى، وقال قوم: كان ملكاً^(٤).
وقال الرماني: لا يجوز أن يكون إلا نبياً، لأن تعظيم العالم المعلم فوق تعظيم المتعلم ((منه))^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٧: ٧٠.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر، وما بين القوسين منه.

وقيل: إنه سمي خضرًا، لأنه كان إذا صلى في مكان لا نبات فيه اخضر ما حوله، وكان الله تعالى قد أطلعه من علم بواطن الأمور على ما لم يطلع عليه غيره^(١).

فإن قيل: كيف يجوز أن يكون نبي أعلم من نبي في وقته ؟

قيل عن ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدهما: يجوز أن يكون نبي أعلم من نبي في وقته عند من قال: إن الخضر كان نبياً^(٢).

والثاني أن يكون موسى أعلم من الخضر بجميع ما يؤدي عن الله إلى عباده وفيما هو حجة فيه، وإنما خص الخضر بعلم ما لا يتعلق بالأداء^(٣).

الثالث: أن موسى استعلم من جهته ذلك العلم فقط، وإن كان عنده علم ما سوى ذلك^(٤).

فصل

قوله: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ

أَخْرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ

لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ قَالَ لَا تَأْخُذْ بِمَا فُتِنْتُ وَلَا تَرْهِقْنِي

مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ الآية: ٧١ - ٧٣.

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٧٠.

٤. قارن ٧: ٧١.

قال أبو عمرو: الزاكية التي لم تذنّب قط، والزاكية التي أذنبت وتابت، أخبر الله تعالى عن موسى وصاحبه الذي تبعه ليتعلّم منه، انهما ذهبا حتى إذا بلغا البحر فركبا في السفينة فحرق صاحبه السفينة، أي شق فيها شقاً، لما أعلمه الله من المصلحة في ذلك^(١).

فقال له موسى منكراً لذلك على ظاهر الحال: ﴿أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا﴾ أي غرضك بذلك أن تغرق أهلها الذين ركبوها، ويحتمل أن يكون قال ذلك مستفهماً^(٢). والأول أقوى، لقوله بعد ذلك: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْرًا﴾ والإمر المنكر في قول مجاهد وقتادة. وقال أبو عبيدة: داهية عظيمة وأنشد:

لقد لقي الأقران منه نكراً داهية دهياء إذاً إمراً^(٣)

فقال له: يا موسى ﴿أَلَمْ أَقُلْ﴾ فيما قبل ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ أي لا يخف عليك ما تشاهده من أفعالي ويثقل عليك، لأنك لا تعرف المصلحة فيه. ولم يرد بالاستطاعة القدرة، لأن موسى كان قادراً في حال ما خاطبه بذلك ولم يكن عاجزاً، وهذا كما يقول الواحد منا لغيره: أنا لا أستطيع النظر إليك، وإنما يريد أنه يثقل عليّ، دون نفي القدرة في ذلك^(٤).

فقال له موسى في الجواب عن ذلك: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ وروي أنّه قال ذلك لما رأى أن الماء ليس يدخل السفينة مع خرقها، علم أن ذلك لمصلحة يريدّها الله، قال: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾.

وقيل في معنى ﴿نَسِيتُ﴾ ثلاثة أقوال:

١. قارن ٧: ٧٣.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٧٣، والبيت من شواهد الكشف، وفي الصحاح واللسان والتاج (أمر).

٤. قارن ٧: ٧٤.

أحدها: ما حكى عن أبي بن كعب أنه قال: معناه بما غفلت من النسيان الذي هو ضد الذكر^(١).

والثاني: ما روي عن ابن عباس أنه قال: معناه بما تركت من عهدك^(٢).

الثالث: لا تؤاخذني بما كآني نسيته ولم ينسه في الحقيقة^(٣).

فصل

قوله: «حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ» قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا» الآية: ٧٧.

الانقضاء السقوط بسرعة^(٤).

قال الفراء: في قوله: «لَوْ شِئْتَ» قال موسى: لو شئت لم تقمه حتى يقرؤنا فهو الأجر، وأنشد في «يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ» قول الشاعر:

ان دهرأ يلف شملي بجميل لزمان يسهم بإلاحسان^(٥)

أي: كأنه يسهم، وإنما هو سبب الاحسان المؤذي إليه، وقال الآخر:

يشكوا إلى جملي طول السرى صبراً جميلاً فكلانا مبتلى^(٦)

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ٧٦.

٥. البيت لحسان بن ثابت كما في شواهد الكشاف: ١٤٨، ولم أقف عليه في ديوانه جمع البرقوقي.

٦. البيت مركب من بيتين وروايتهما كما في أمالي المرتضى ١: ١٠٧:

شكوا إليّ جملي طول السرى يا جملي لبس إليّ المشنكى

الدرهمان كلّفانا ما نرى صبر جميل فكلانا مبتلى

والجمل لم يشك شيئاً، وقال عنترة:

وشكا إليّ بعبرة وتحمحم^(١)

كل ذلك يراد به ما ظهر من الإمامة الدالة على المعاني.

فصل

قوله: ﴿فَارَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَهْمًا خَيْرًا مِنْهُ﴾ الآية: ٨١.

قال قوم: أبدلت الشيء من الشيء إذا أزلت الأول وجعلت الثاني مكانه، كقول أبي النجم:

عزل الأمير للأمير المبدل^(٢)

وبدلت الشيء من الشيء إذا غيّرت حاله وعينه، والأصل باق، كقولهم: بدلت قميصي، جبةً واستدلوا بقوله: ﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ يَدُّنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾^(٣) فالجلد الثاني هو الأول، ولو كان غيره لم يجز عقابه^(٤).

قوله: ﴿فَارَدْتُ أَنْ أُعَيِّبَهَا﴾ والسبب في ذلك أنه كان ﴿وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ فقليل: أن الملك كان يأخذ السفينة الصحيحة، ولا يأخذها إذا كانت معيبة^(٥).

١- الشطر عجز بيت لعنترة من معلقته وصدر البيت رقم ٧٥. فازور من وقع القنا يلبّاه ط المكتب الإسلامي.

٢- الشطر من شعر أبي النجم في لاميته نيفت على ١٩٠ بيتاً، وصدر البيت رقم ١٦٥.

نحى السديس فانتحى للمعدل

٣- النساء: ٥٦.

٤- قارن ٧: ٧٩.

٥- قارن ٧: ٨٠.

والوراء والخلف واحد، وهو نقيض جهة القدام على مقابلتها^(١).

وقال قتادة: وراءهم ها هنا بمعنى أمامهم، ومنه قوله: ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾^(٢) و ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ﴾^(٣) وذلك جائز على الاتساع، لأنها جهة مقابلة الجهة، فكان كل واحد من الجهتين وراء الآخر، قال لييد:

أليس ورائي ان تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الأصابع^(٤)
وقال آخر:

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا^(٥)
وقال الفراء: يجوز ذلك في الزمان دون الأجسام، تقول: البرد والحر وراءنا ولا تقول زيد وراءك^(٦).

وقال الرماني وغيره: يجوز في الأجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر^(٧).

وقال الزجاج: ﴿وَرَائِهِمْ﴾ خلفهم، لأنه كان رجوعهم عليه ولم يعملوا به^(٨).
وقيل: ان قوله ﴿فَخَشِينَا﴾ من قول الخضر، وقيل: أنه من قول الله تعالى، ومعناه علمنا، وقيل: معنى خشينا كرهنا، فبين أن الوجه في قتله ما لأبويه من

١. نفس المصدر.

٢. الجاثية: ١٠.

٣. المؤمنون: ١٠٠.

٤. ديوان لييد: ١٧٠ ط الكويت.

٥. البيت لسوار بن المضرب كما في الكامل للمبرّد: ٢٨٩ ط أوروبا في قصيدة له مشهورة ذكر المبرّد منها أبياتاً.

٦. قارن ٧: ٨٠.

٧. نفس المصدر.

٨. قارن ٧: ٨١.

المصلحة في ثبات الدين، لأنه لو بقي حياً ﴿لأرهقهما طغياناً وكفراً﴾ أي أوقعهما فيه^(١) فكان يكون ذلك مفسدة، فأمر الله بقتله لذلك، كما لو أماته^(٢).

ثم أخبر عن حال الجدار الذي أقامه، وأعلمه أنه: ﴿كَانَ لِفُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ فقال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد: كانت صحف ((من)) علم^(٣).

وقال الحسن: كان لوحاً من ذهب مكتوب فيه الحكم^(٤).

وقال قتادة وعكرمة: كان كنز مال، والكنز في اللغة هو كل مال مذكور من ذهب وفضة وغير ذلك^(٥).

وقال الجبائي: لا يجوز أن يكون صاحب موسى الخضر، لأن خضراً كان نبياً من الأنبياء الذين بعثهم الله من بني إسرائيل بعد موسى، قال: ولا يجوز أيضاً أن يبقى الخضر إلى وقتنا هذا، كما يقوله من لا يدري، لأنه لا نبي بعد نبينا، ولأنه لو كان لعرفه الناس ولم يخف مكانه^(٦).

وهذا الذي ذكره ليس بصحيح، لأننا لا نعلم أولاً أن خضراً كان نبياً، ولو ثبت لم يمتنع أن يبقى إلى وقتنا هذا، لأن تبقيته في مقدور الله تعالى، ولا يؤدي إلى أنه نبي بعد نبينا، لأن نبوته كانت ثابتة قبل نبينا، وشرعه إن كان شرعاً خاصاً

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٨١، وما بين القوسين من المصدر.

٤. قارن ٧: ٨٢.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٧: ٨٣.

له منسوخ بشرع نبينا، وإن كان يدعو إلى شرع موسى، أو من تقدم من الأنبياء فإن جميعه منسوخ بشرع نبينا ﷺ، فلا يؤدي إلى ما قال^(١).

وقوله: لو كان باقياً لرؤي ولعرف غير صحيح، لأنه لا يمتنع أن يكون بحيث لا يتعرف إلى أحد منهم وإن شاهدوه لا يعرفونه^(٢).

وروي عن جعفر بن محمد ﷺ في قوله: ﴿وَكَاَن تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ قال: سطران ونصف ولم يتم الثالث: عجباً للموقن بالرزق كيف يتعب، وعجباً للموقن بالحساب كيف يغفل، وعجباً للموقن بالموت كيف يفرح^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَسَفَّلُونَا عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ الآية: ٨٣.

قيل: سمّي ذا القرنين لأنه كان في رأسه شبه القرنين^(٤).

وقيل: أنه سمّي بذلك لأنه ضرب على جانبي رأسه، وقيل: لأنه كانت له ضفيران، وقيل: أنه بلغ قرني الشمس^(٥).

﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي في عين ماء ذات حمأة، في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير، ومن قرأ حامية أراد حارة في قول الحسن^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ٨٦.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ

لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ الآية: ٩٠.

معناه: أنه لم يكن بها جبل ولا شجر ولا بناء، لأن أرضهم لم يكن ثبت عليها بناء، فكانوا إذا طلعت الشمس يغورون في المياه والأسراب، وإذا غربت تصرّفوا في أمورهم، في قول الحسن وقتادة وابن جريج^(١).

وقال الحسن: إن ذا القرنين كان نبياً ملك مشارق الأرض ومغاربها^(٢).

وقال عبد الله بن عمر: وكان ذو القرنين والخضر نبيين، وكذلك لقمان كان نبياً^(٣).

قوله: ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ فالرديم أشد الحجاب، في قول ابن

عباس، يقال: ردم فلان موضع كذا يردمه ردماً، وردم ثوبه تردماً إذا أكثر الرقاع فيه، ومنه قول عنترة:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم^(٤)

أي: هل تركوا من قول يؤلف تأليف الثوب المرقّع، وقيل: الرديم السد

المترأكب^(٥).

١. قارن ٧: ٨٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. ديوان عنترة: ١٥، والبيت أول قصيدته إحدى المعلقات السبع.

٥. قارن ٧: ٩١.

قال الجبائي والبلخي وغيره: انْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ قَبِيلَانِ مِنْ بَنِي آدَمَ ^(١)،
قال الجبائي: قيل أَنَّهُمَا مِنْ وَلَدِ يَافَثَ بْنِ نُوحٍ، وَمِنْ نَسْلِهِ الْأَتْرَاقُ ^(٢).

وقال سعيد بن جبير: قوله:

﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ معناه يَأْكُلُونَ النَّاسَ، وقال قوم: معناه سيفسدون
ذهب إليه قتادة ^(٣).

فصل

قوله: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ الآية: ٩٦.

الزبرة: الجملة المجتمعة من الحديد والصفرة ونحوهما، وأصله الاجتماع
ومنه ﴿الزُّبُورُ﴾، وزبرت الكتاب إذا كتبته، لَأَنَّكَ جَمَعْتَ حُرُوفَهُ ^(٤).
والصدفان جبلان، في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وإبراهيم ^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي
الصُّورِ﴾ الآية: ٩٩.

الترك في الحقيقة لا يجوز على الله إلا أَنَّهُ يَتَوَسَّعُ فِيهِ، فَيَعْبَرُ بِهِ عَنِ
الْإِخْلَاصِ بِالشَّيْءِ بِالْتَّرْكِ ^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٩١.

٤. قارن ٧: ٩٢.

٥. قارن ٧: ٩٣.

٦. قارن ٧: ٩٤.

وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ فالنفخ اخراج الريح من الجوف باعتماد^(١)، والصور قال عبد الله بن عمر وفي حديث يرفعه: أنه قرن ينفخ فيه^(٢)، ومثله روي عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري^(٣).

وقال الحسن: الصور جمع صورة فيحيون بأن ينفخ في الصور والأرواح، وهو قول أبي عبيدة^(٤).

فصل

قوله: ﴿ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
مُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ الآية: ١٠٤.

أي: يظنون أنهم يفعلون الأفعال الجميلة، والحسبان هو الظن وهو ضد العلم^(٥)، وفي الآية دلالة على أن المعارف ليست ضرورية، لأنهم لو عرفوا الله تعالى ضرورة لما حسبوا غير ذلك، لأن الضروريات لا يشك فيها^(٦).



١. قارن ٧: ٩٥.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٧: ٩٧.

٦. نفس المصدر.

سورة مريم

فصل

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۖ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾
الآية: ٤ - ٥.

إنما أضاف الوهن إلى العظم ((لأنَّ العظم)) مع صلابته إذا كبر ضعف وتناقص، فكيف باللحم والعصب، وقيل: شكى البطش وهو لا يكون إلا بالعظم^(١).

والآل خاصّة الرجل الذين يؤول أمرهم إليه، وقد يرجع إليه أمرهم، بالقرابة تارة، وبالصحبة أخرى، وبالدين والموافقة فيه، مثل آل النبي^(٢).

[وقوله: ﴿وَجَعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾].

والجعل على أربعة أقسام:

أحدها: بمعنى الإحداث كقولهم: ((جعل البناء)) أي أحدثه.

والثاني: إحداث ما يتغير به، كقولهم: ((جعل الطين خزفًا)) أي أحدث

ما به يتغير.

١. قارن ٧: ١٠٤.

٢. قارن ٧: ١٠٥.

الثالث: أن يحدث فيه حكماً، كقولهم: ((جعل فلاناً فاسقاً)) أي بما أحدث ((فيه)) من حكمه.

الرابع: أن ((يحدث ما)) يدعو به، إلى أن يفعل، كقولهم: ((جعل يقتل زيداً)) أي بما أمره به، ودعاه إلى قتله^(١).

ومعنى: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ اجعل ذلك الولي الذي يرثني مرضياً عندك، ممثلاً لأمرك، عاملاً لطاعتك^(٢).

وفي الآية دلالة على أن الأنبياء يورثون المال، بخلاف ما يقول مخالفنا أنهم لا يورثون، لأن زكريا صرح بدعائه، وطلبه من يرثه، ويحجب بني عمه وعصبته من الولد^(٣).

وحقيقة الميراث: انتقال ملك المورث إلى ورثته بعد موته بحكم الله، وحمل ذلك على العلم والنبوة خلاف الظاهر، على أن العلم والنبوة لا يورثان، لأن النبوة تابعة للمصلحة لا مدخل للنسب فيها، والعلم موقوف على من يتعرض له ويتعلمه^(٤).

على أن زكريا إنما سأل ولياً من ولده يحجب مواليه من بني عمه وعصبته من الميراث، وذلك لا يليق إلا بالمال، لأن النبوة والعلم لا يحجب الولد عنهما بحال، على أن اشتراطه أن يجعله رضيعاً لا يليق بالنبوة، لأن النبي لا يكون إلا رضيعاً معصوماً، فلا معنى لمسأله ذلك، وليس كذلك المال، لأنه يرثه الرضي وغير الرضي^(٥).

١. قارن ٧: ١٠٦، وما بين القوسين من المصدر.

٢. قارن ٧: ١٠٦.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٧: ١٠٦.

واستدل المخالف بهذه الآية على أن البنت لا تحوز المال دون بني العم والعصبة، لأن زكريا طلب ولياً يمنع موالیه، ولم يطلب ولية^(١).

وهذا ليس بشيء، لأن زكريا إنما طلب ولياً، لأن من طباع البشر الرغبة في الذكور دون الأنثى من الأولاد لذلك ((طلب الذكر))^(٢) على أنه قيل: لفظ ((ولي)) يقع على الذكر والأنثى، فلا نسلم أنه طلب الذكر، بل الذي يقتضي الظاهر أنه طلب ولداً، سواء كان ذكراً أو أنثى^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ الآية: ٩.

أي لم تكن موجوداً، ومن نفى المعدوم استدلال بذلك، فقال: لو كان المعدوم شيئاً لما نفى أن يكون شيئاً قبل ذلك، وحمل قوله: ﴿إِنَّ زَكْرِيَّا سَاعَةً شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ على المجاز، والمعنى أنها إذا وجدت كانت شيئاً عظيماً^(٤).

ومن قال: المعدوم شيء قال: أراد ولم يك شيئاً موجوداً، ولم يكن قوله: ﴿أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ على وجه الإنكار، بل كان ذلك على وجه التعجب من عظيم قدرة الله^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٧: ١٠٧.

٣. قارن ٧: ١٠٧، وما بين القوسين من المصدر.

٤. قارن ٧: ١٠٩، والآية في سورة الحج: ١.

٥. قارن ٧: ١٠٩ وكان في النسخة أنى يكون لي ولد وهو من غلط النساخ، والصواب غلام كما هو في الآية.

فصل

قوله: ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾

الآية: ١٥.

قال قوم: معناه أمان ((الله)) له وسلامه، يوم ولد من عبث الشيطان به وإغوائه إياه، ويوم يموت من عذاب القبر وهول المطلع، ويوم يبعث حياً من عقاب النار، وأهوال المحشر^(١).

فصل

قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ الآية: ١٧.

قال الحسن وقتادة والسدي وابن جريج ووهب بن منبه: يعني جبرئيل عليه السلام، وسمّاه الله روحاً لأنه روحاني لا يشوبه شيء من غير الروح، وخصّ بهذه الصفة تشریفاً له^(٢).

وقيل: لأنه تحيا به الأرواح، بما يؤديه إليهم من أمر الأديان والشرائع^(٣).

فإن قيل: كيف تعوذت منه إن كان تقياً؟ والتقي لا يحتاج أن يتعوذ منه، وإنما يتعوذ من غير التقى؟^(٤)

١. قارن ٧: ١١٢.

٢. قارن ٧: ١١٤.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

قيل: المعنى في ذلك أنّ التقي للرحمن إذا تُعوذ بالرحمن منه، ارتدع عما يسخط الله، ففي ذلك تخويف وترهيب، كما يقول القائل: إن كنت مؤمناً فلا تظلمني، وتكون هي غير عالمة بأنه تقي أم لا^(١).

فقالَت مريم عند ذلك متعجبة من قول جبرئيل: ﴿أَنْتَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ أي كيف يكون ذلك^(٢)

﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ بالجماع على وجه الزوجية^(٣)، ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ أي لم أك زانية، في قول السدي وغيره، وهي التي تطلب الزنا، لأنّ معنى تبغيه تطلبه^(٤).

وأصله لم أكن، لأنّه من كان يكون، وإنّما حذفت النون لاستخفافها على ألسنتهم، ولكثرة استعمالهم لها، كما حذفوا الألف من لم أبل، وأصله لم أبالي لأنّه من المبالاة، وكقولهم لا أدر وكقولهم أيش وأصله أي شيء ومثله كثير^(٥).

فصل

قوله: ﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مِّنْهَا﴾

الآية: ٢٣.

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٧: ١١٥.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

قالت هذا استحياء من الناس ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾ فالنسيء المتروك، حتى ينسى بالفتح والكسر^(١).

وقيل: النسيء خرقه الحيض التي تلقىها ((المرأة))^(٢)، قال الشاعر:
 كأن لها في الأرض نسيا تفصّه إذا ما غدت وإن تكلمك تبلت^(٣)
 أي: نسياً تركته.

وقيل: لم يكن للنخلة رأس وكان في الشتاء، فجعله الله تعالى آية، وإنما تمت الموت قبل تلك الحال التي قد علمت أنها من قضاء الله، لكرهتها أن يعصى الله بسببها، إذا كان الناس يتسرعون إلى القول فيها بما يسخط الله^(٤).
 وقال قوم: إنما قالت ذلك بطبع البشرية خوف الفضيحة^(٥).

فصل

قوله: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ

إِنْسِيًّا﴾ الآية: ٢٦.

قال الجبائي: كان الله تعالى أمرها بأن تنذر الله الصمت، فإذا كلمها إنسان تومئ بأنها نذرت صمتاً، لأنه لا يجوز أن يأمرها بأنها نذرت ولم تنذر، لأن ذلك كذب^(٦).

١. قارن ٧: ١١٧.

٢. قارن ٧: ١١٧، وما بين القوسين من المصدر.

٣. البيت نسب في المحرر الوجيز لابن عطية ٤: ١٠، ومجمع البيان ١٠: ١٥٩ للتستري، والبيت من الشواهد في الصحاح (قص) وفيه: وإن تخاطبك، وفي معجم مقاييس اللغة ٥: ٤٢٢ كما في المتن.

٤. قارن ٧: ١١٩.

٥. قارن ٧: ١٢٠.

٦. قارن ٧: ١٢١.

وقال أنس بن مالك وابن عباس والضحاك: يريد بالصوم الصمت، وإنما أمرها بالصمت، ليكفيها الكلام ولدّها، بما يرى به ساحتها، في قول ابن مسعود وابن زيد ووهب بن منبه^(١).

وقيل: كان من صام في ذلك الوقت لا يكلم الناس، فأذن لها في هذا المقدار من الكلام، في قول السدي^(٢).

فإن قيل: كيف تكون نذرت الصمت وأن لا تكلم أحداً مع قولها وإخبارها عن نفسها بأنها نذرت؟ وهل ذلك إلا تناقض؟^(٣).

قيل: من قال إنه أذن لها في هذا القدر فحسب يقول: إنها نذرت ألا تكلم بما زاد عليه، ومن قال: إنها نذرت نذراً عاماً أو مت بذلك ولم تلفظ به^(٤).

وقيل: أمرها أن تشير إليهم بهذا المعنى^(٥)، وأنه ولدته بناحية بيت المقدس في موضع يعرف ببيت لحم^(٦).

فقال لها قومها: «يَا أُخْتَ هَارُونَ» قيل: في هارون الذي نسبت إليه بالأخوة أربعة أقوال:

فقال قتادة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة يرفعه إلى النبي ﷺ أنه كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل ينسب إليه من عرف بالصلاح^(٧).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. قارن ٧: ١٢٢.

وقال السدي: نسبت إلى هارون أخي موسى، لأنها كانت من ولده، كما يقال يا أبا بني فلان^(١).

وقال قوم: كان رجلاً فاسقاً معلناً بالفسق فنسبت إليه^(٢).

وقال الضحاك: كان أخاها لأبيها وأما^(٣).

فصل

قوله: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ^ط فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ * أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ الآية: ٣٧ - ٣٨.

المعنى في الآية اختلف الأحزاب من أهل الكتاب في عيسى عليه السلام، في قول قتادة ومجاهد^(٤).

فقال قوم: هو الله وهم يعقوبية^(٥).

وقال آخرون: هو ابن الله وهم النسطورية^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ١٢٧.

٥. يعقوبية فرقة من النصارى قالت بالأقانيم الثلاثة إلا أنهم قالوا انقلبت الكلمة لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو، وعنهم أخبرنا القرآن الكريم ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ نقلاً عن الملل والنحل للشهرستاني.

٦. النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، وإضافته إليهم إضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة، نفس المصدر.

وقال قوم: هو ثالث ثلاثة وهم الاسرائيلية^(١).

وقال قوم: هو عبد الله وهم المسلمون.

وقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ معناه ما أسمعهم وأبصرهم على وجه التعجب، والمعنى في ذلك أنهم حلّوا في ذلك محلّ من يتعجب منه^(٢).

وقال الحسن وقتادة: المعنى لئن كانوا في الدنيا صمياً عمياً عن الحق، فما أسمعهم به وأبصرهم به يوم القيامة^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا

* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَأْتَبْتَ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي

عَنْكَ شَيْئًا ﴿الآية: ٤١ - ٤٢﴾.

قال قوم: هذه المخاطبة من إبراهيم كان لأبيه الذي هو والده^(٤).

والذي يقوله أصحابنا: إنه كان جدّه لأمه، لأنّ آباء النبي ﷺ كانوا مسلمين إلى آدم، ولم يكن فيهم من يعبد غير الله، لقوله: «لم يزل الله ينقلني من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات»^(٥).

١. الاسرائيلية: هم الملكانية قالوا إنّ الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته، وصرّحت بأنّ الجوهر غير الأتاني، وذلك كالوصوف والصفة، وعن هذا صرحوا بإثبات الثقلين وأخبر عنهم القرآن ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ نفس المصدر.

٢. قارن ٧: ١٢٧.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ١٢٩.

٥. قارن ٧: ١٢٩، والحديث الشريف في الدر المنثور ٣: ٢٩٤ و ٥: ٩٨.

والكافر لا يوصف بالطهارة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^(١)
قالوا: وأبوه الذي ولده كان اسمه تارخ، وهذا الخطاب منه كان لأزر^(٢).

فصل

قوله: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ﴾ الآية: ٥٩.

فالخلف - بفتح اللام - يستعمل في الصالح - وبسكين اللام - ((في))
الطالح، قال لييد:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر^(٣)

قال الفراء والزجاج: يستعمل كل واحد منهما في الآخر^(٤).

قال القرطبي: تركوها، وقال ابن مسعود وعمر بن عبد العزيز: أخروها من
مواقبتها، وهو الذي رواه أصحابنا^(٥).

والغي الشر والخيبة، في قول ابن عباس وابن زيد، قال الشاعر:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً^(٦)

أي: من يخب. وقال عبد الله بن مسعود: الغي واد في جهنم.

١. قارن ٧: ١٢٩، والآية في سورة التوبة: ٢٨.

٢. قارن ٧: ١٣٦، والبيت في ديوانه: ١٥٧ ط الكويت من قصيدة يرثي بها أخاه أريد.

٣. قارن ٧: ١٣٦.

٤. قارن ٧: ١٣٦.

٥. قارن ٧: ١٣٦، والبيت من شعر المرقش الأصغر من قصيدة ذكرها ابن قتيبة في الشعر والشعراء وهو
من الشواهد في تفاسير الطبري والقرطبي وابن عطية وغيرها.

فصل

قوله: ﴿جَنَّتْ عَذْنُ آلَتِي وَعَدَّ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ^١ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا^٢ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ الآية: ٦١ - ٦٢.

الوعد الإخبار بما يتضمّن فعل الخير، ونقيضه الوعيد، وهو الخبر عن فعل الشر، وقد يقال: وعدته بالخير ووعدته بالشر، وأوعدته لا يكون إلا في الشر^(١).

وقوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قيل: معناه في مقدار اليوم من أيام الدنيا، فذكر بالغداة والعشي ليدل على المقدار، لأنّه ليس في الجنة ليل ولا نهار.

فصل

قوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ الآية: ٧١.

واختلفوا في كيفية ورودهم إليها، فقال قوم - وهو الصحيح -: إنّ ورودهم وصولهم إليها، وإشرافهم عليها، من غير دخول منهم فيها، لأنّ الورود في اللغة هو الوصول إلى المكان، وأصله ورود الماء، وهو خلاف الصدور عنه^(٢).

١. قارن ٧: ١٣٧.

٢. قارن ٧: ١٤٣.

والدليل على أن الورود هو الوصول إلى الشيء من غير دخول فيه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ وأراد وصل إليه^(١). وقال زهير:

فلما وردن الماء زرقا جمامة وضعن عصي الحاظرة المتخيم^(٢)
والأثاث المتاع، والرثي المنظر، وهو قول ابن عباس^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ
الْصَّالِحَتُ﴾ الآية: ٧٦.

قيل: زيادة الهدى بإيمانهم بالناسخ والمنسوخ^(٤).

﴿الْبَاقِيَتُ الصَّالِحَاتُ﴾ هي فعل جميع الطاعات، واجتناب جميع المعاصي، وقيل: هي قول (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد)^(٥).

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أن الباقيات الصالحات: القيام آخر الليل لصلاة الليل والدعاء في الأسحار^(٦).

١. قارن ٧: ١٤٣، والآية في سورة القصص: ٢٣.

٢. قارن ٧: ١٤٣، والبيت في ديوان زهير: ٧٨.

٣. قارن ٧: ١٤٤.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٧: ١٤٦، والحديث في مجمع البيان أيضاً، ومروي في تفاسير الصافي والأصفي ونور الثقلين كذلك مرسلًا.

وسميت باقيات بمعنى أن منافعتها تبقى، وتنفع أهلها في الدنيا والآخرة، بخلاف ما نفعه مقصور على الدنيا فقط^(١).

قوله: ﴿أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ قال قتادة: معناه اتخذ عهداً بعمل صالح قدمه^(٢).

وقال غيره: معناه اتخذ عند الرحمن عهداً، أي قولاً قدمه إليه بما ذكرتم^(٣).

ومعنى (نَرْتُهُ مَا يَقُولُ) قال ابن عباس، وقتادة، وابن زيد: نرثه نحن المال والولد، بعد إهلاكنا إياه، وإبطالنا ما ملكناه^(٤).

والمقام بضم الميم مصدر الإقامة، وافتحها المكان، كقوله: ﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾.

فصل

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ

أَزًّا﴾ الآية: ٨٣.

أي: لما سَلَطَ الكفار الشياطين على نفوسهم، وقبلوا منهم واتبعوهم، خلينا بينهم وبينهم حتى أغووههم، ولم نخل بينهم بالإلجاء ولا بالمنع، وعبر عن ذلك بالإرسال على ضرب من المجاز^(٥).

١. قارن ٧: ١٤٦.

٢. قارن ٧: ١٤٧.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٧: ١٤٩.

ومثله قوله: ﴿فَيَمْسِكُ إِلَيْيَ قُضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(١). أي يخليها إلى أجل مسمى.

ومعنى: ﴿تَوَزُّهُمْ أَزًّا﴾ أي: تزعمهم ازعاجاً، والأز الإزعاج إلى الأمر، أزّه أزاً وأزيراً إذا هزّه بالإزعاج إلى أمر من الأمور^(٢).

فصل

قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ الآية: ٨٩.

أخبر عن الكفار بأنهم ﴿قالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾ كما قال النصارى: إن المسيح ابن الله، واليهود قالت: عزيز ابن الله، فقال لهم الله على وجه القسم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ﴾ بهذا القول ﴿إذا﴾ أي: منكراً عظيماً، في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد^(٣)، قال الراجز:

لقد لقي الأعداء مني منكراً داهية دهباء إذا إمرأ^(٤)



١. قارن ٧: ١٤٩، والآية في سورة الزمر: ٤٢.

٢. قارن ٧: ١٤٩.

٣. قارن ٧: ١٥١.

٤. نفس المصدر. والرجز في تفسير الفرطبي ١١: ١٩، ومجاز القرآن ١: ٤٠٩، وتفسير الطبري ١٥:

١٦٩ غير منسوب.

سورة طه

فصل

قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد: معنى طه بالسريانية يا رجل، ومنهم من قال هو بالنبطية^(١).

وقال الحسن: هو جواب المشركين لما قالوا: أنه شقي، فقال الله تعالى: يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى^(٢).

وقيل: إن طه بمعنى يا رجل لغة في عك، وأنشد لمتمم بن نويرة:
هَتَفَتْ بَطَه فِي الْقِتَالِ فَلَمْ يَجِبْ فَخَفَتْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا مَوَائِلَا
وقال آخر:

إن السفاهة طه من خلائنكم لا بارك الله في القوم الملاعين^(٣)

فصل

قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ

الْأَرْتَى * وَإِنْ تَجَهَّزْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ الآية: ٦-٧.

١. قارن ٧: ١٥٨.

٢. نفس المصدر.

٣. البيت ورد في تفاسير الطبري ١٦: ٩٠، والقرطبي ١١: ١٦٦، والشوكاني ٣: ٣٤٣، والرازي ٢٢: ٣ وغيرها غير منسوبة.

اجتزئ بذكر بعض الأشياء عن ذكر بعض لدلالته عليه، كما قال:
 ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ ولم يقل وعلى ظهورهم، لأن
 المفهوم أنهم يذكرون الله على كل حال^(١).

ومثله قوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾^(٢) لما كان رضا أحدهما
 رضا الآخر، ومثله قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ﴾^(٣) ولم يقل ولا ينفقونها لدلالته على ذلك^(٤).

وقوله: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ معناه: وإن تجهر
 بالقول فلما جئتك لا لتسمع الله بجهرك، لأنه تعالى يعلم السر وأخفى من السر،
 ولم يقل وأخفى منه لأنه دال عليه، كما يقول القائل: فلان كالفيل أو أعظم،
 وهذا كالحبة أو أصغر^(٥).

والجهر رفع الصوت، يقال: جهر بجهر جهراً فهو جاهر، والصوت
 مجهور وضده المهموس، والسر ما حدث به الإنسان غيره في خفية، وأخفى منه
 ما أضمره في نفسه مما لم يحدث به غيره، هذا قول ابن عباس^(٦).

وقال قتادة وابن زيد وسعيد بن جبير: السر ما أضمره العبد في نفسه،
 وأخفى منه ما لم يكن ولا أضمره أحد^(٧).

١. قارن ٧: ١٦٠، والآية في سورة آل عمران: ١٩١.

٢. التوبة: ٦٢.

٣. التوبة: ٣٤.

٤. قارن ٧: ١٦٠.

٥. قارن ٧: ١٦١.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

ومعنى ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ أي: رأيت ناراً، والإيناس وجدان الشيء الذي يؤنس به، لأنه من الأنس، وكان موسى في شتاء وقد امتنع عليه القدح، وضل عن الطريق، فلذلك قال: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾^(١).

والقبس الشعلة، وهو نار في طرف عود أو قصبة، أي لعلي آتيكم بنار تصطلون بها، أو أجد من يدلني على الطريق الذي أضللناه، أو ما استدل به عليه^(٢).

فصل

قوله: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ * إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ الآية: ١١ - ١٥.

قيل في السبب الذي لأجله أمر بخلع النعلين قولان:

أحدهما: لياشر بقدميه بركة الوادي المقدس، في قول علي عليه السلام والحسن وابن جريج^(٣).

وقال كعب وعكرمة: لأنهما كانا من جلد حمار ميت.

١. قارن ٧: ١٦٢.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ١٦٤.

وحكى البلخي أنه أمر بذلك على وجه الخضوع والتواضع، لأن التحقّي في مثل ذلك أعظم تواضعاً وخضوعاً^(١).

والمقدس: المبارك، وقيل: هو المطهر.

وقيل في معنى «طوى» قولان: قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد: هو اسم الوادي، وقال الحسن: لأنه طوي بالبركة مرتين^(٢).

«وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي» أي لتذكرني فيها بالتسبيح والتعظيم، في قول الحسن ومجاهد^(٣).

وقيل: معناه لأن أذكرك بالمدح والثناء.

وقيل: إن المعنى متى ذكرت أن عليك صلاة كنت في وقتها، أو فات وقتها فأقمها^(٤).

فصل

قوله: «وَأَضْمَمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى» الآية: ٢٢.

قيل في معناه قولان: أحدهما: إلى جنبك، قال الراجز:

أضمه للصدر والجنّاح^(٥)

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٧: ١٦٥.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. الرجز ذكر شاهداً في تفاسير الطبري وابن الجوزي وابن عطية والقرطبي وغيرهم غير منسوب.

الثاني: إلى عضدك^(١)، وقال أبو عبيدة: الجناحان الناحيتان^(٢).

وقوله: ﴿تَخْرُجُ بَيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أي: من غير برص^(٣).

ومعنى ﴿اشرح لي صدري﴾ أي: وسع لي صدري، ومنه شرح المعنى، أي بسط القول فيه^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ﴾ الآية: ٣٩ - ٤٠.

معنى ﴿أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ معناه: إني جعلت من رآك أحبك حتى أحبك فرعون، فسلمت من شره، وأحبتك امرأته آسية بنت مزاحم فتبنتك^(٥).

وقوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ قال قتادة: معناه لتغتذي على محبتي وارادتي وتقديره، وأنا أراك يجري أمرك على ما أريد بك من الرفاهة في غذائك، كما يقول القائل لغيره: أنت مني بمرأى ومسمع، أي أنا مراعى لأحوالك^(٦).

١. قارن ٧: ١٦٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ١٦٩.

٥. قارن ٧: ١٠٣.

٦. نفس المصدر.

وقوله: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ قيل: إن موسى امتنع أن يقبل ثدي مرضعة إلا ثدي أمه، لما دلتهم عليها أخته، فلذلك قال: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾^(١).

وقوله: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾. وروى عن النبي: أن قتل النفس كان خطأ، وقال جماعة من المعتزلة: إنه كان صغيرة^(٢).

وقال أصحابنا: إنه كان ترك مندوب إليه، لأن الله تعالى قد كان حَكَمَ بقتله، لكن ندبه إلى تأخير قتله إلى مدة غير ذلك، وإنما نجاه من الفكر في قتله، وكيف لم يؤخره إلى الوقت الذي ندبه إليه^(٣).

وقال قوم: أراد نَجِيْنَاكَ من القتل، لأنهم طلبوه ليقتلوه بالقبطي^(٤).

وقوله: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ أي: اختبرناك اختباراً، والمعنى إنا عاملناك معاملة المختبر حتى خلصت للاصطفاء بالرسالة^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ * إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَبَ وَتَوَلَّىٰ * قَالَ فَمَنْ رُبُّكُمْ يَا مُوسَىٰ * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ الآية: ٤٧ - ٥٠.

١. قارن: ٧: ١٧٣.

٢. قارن: ٧: ١٧٤.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

قوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ يعني السلامة والرحمة ﴿عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ﴾ طريق الحق^(١).

وقوله: ﴿فَمَنْ رُبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾ وقيل: أنه قال: فمن ربكما؟ على تغليب الخطاب، والمعنى فمن ربك وربّه يا موسى، فقال موسى مجيباً له: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ومعناه: أعطى كل شيء حي صورته التي قدر له، ثم هداه إلى مطعمه ومشربه ومسكنه ومنكحه، إلى غير ذلك من ضروب هدايته^(٢).
وقيل: معناه أعطى كل شيء مثل خلقه من زوجة، ثم هداه لمنكحه من غير ان رأى ذكراً أتى أنثى^(٣).

فصل

قوله: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ * قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ الآية: ٥١ - ٥٢.

قال الزجاج: القرن: أهل كل عصر فيهم نبي أو إمام، أو عالم يقتدى به، وإن لم يكن واحد منهم لم يسم قرناً^(٤).

حكى الله تعالى ما قال فرعون لموسى ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ﴾ وهي الأمم الماضية، وكان هذا السؤال منه معاية لموسى، فأجابه موسى بأن قال: ﴿عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ لأنه لا يخفى عليه شيء من المعلومات^(٥).

١. قارن ٧: ١٧٧.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ١٧٨.

٥. نفس المصدر.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ أي: ان في جميع ما عددناه دلالات لأولي العقول، والنهى جمع نهية، وإنما خص أولي النهى لأنهم أولي الفكر والاعتبار وأهل التدبير والانتعاظ^(١).

وقيل: لأنهم ينهون النفوس عن القبائح، وقيل: لأنه ينتهى إلى رأيهم^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ الآية: ٥٦.

تقديره: أريناه آياتنا التي أعطيناها موسى وأظهرناها عليه ﴿كُلَّهَا﴾ لما يقتضيه حال موسى عليه السلام معه، ولم يرد جميع آيات الله التي يقدر عليها، ولا كل آية خلقها لأن من المعلوم أنه لم يرد جميعها به^(٣).

والسحر حيلة يخفى سببها ويظن بها المعجزة، ولذلك يكفر المصدق بالسحر، لأنه لا يمكنه العلم بصحة النبوة ((مع تصديقه)) فإن الساحر يأتي بسحره ((بتغيير الثابت))^(٤).

وقوله: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ أي: عدنا مكاناً نجتمع فيه، ووقتاً نأتي فيه، ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ عدلاً بيننا وبينك، في قول فتادة والسدي، وقيل: معناه مستوياً يتبين الناس ما بيننا فيه، ذكره ابن زيد^(٥).

١. قارن ٧: ١٧٩.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ١٨٠.

٤. قارن ٧: ١٨٠، وما بين القوسين من المصدر.

٥. قارن ٧: ١٨٠.

وفيه إذا قصر لغتان: كسر السين وضمها، وإذا فتحت السين مددته، نحو قوله: ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾^(١).

فصل

قوله: ﴿قَالَ لَهُم مُوسَى وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ الآية: ٦١.

معناه: لا تكذبوا عليه كذباً بتكذبي وتقولون: إن ما جئت به السحر^(٢).

والافتراء: اقتطاع الخبر الباطل بإدخاله في جملة الحق، وأصله القطع من فراه يفريه فرياً، وافتري افتراءً، والافتراء والافتعال والاختلاف واحد^(٣).

وقوله: ﴿فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ﴾ قال قتادة وابن زيد والسدي: معناه فيستأصلكم بعذاب^(٤).

والسحت استقصاء ((الشعر في)) الحلق، سحته يسحته سحتاً، وأسحته اسحاتاً لغتان، قال الفرزدق:

وعض زمان يا بن مروان لم يدع من المال إلا مسحتاً أو محلف

١. قارن ٧: ١٨٠، والآية في سورة آل عمران: ٦٤.

٢. قارن ٧: ١٨٢.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنَ اسْتَعْلَى﴾ معناه: قد فاز اليوم من علا على صاحبه بالغلبة^(١).

إنما أمرهم موسى بالإلقاء، وهو كفر منهم لأنه ليس بأمر، وإنما هو تهديد، ومعناه الخبر بأن من كان القاؤه منكم حجة عنده ابتداء بالإلقاء، ذكره الجبائي^(٢).

وقال قوم: يجوز أن يكون ذلك أمراً على الحقيقة، أمرهم بالإلقاء على وجه الاعتبار، لا على وجه الكفر^(٣).

وقيل: كان عدة السحرة سبعين ألفاً^(٤).

فصل

قوله: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ الآية: ٦٧.

قيل في وجه خيفته قولان: أحدهما: قال الجبائي والبلخي: خاف أن يلتبس على الناس أمرهم، فيتوهموا أنه بمنزلة ما كان من أمر عصاه^(٥).

الثاني: أنه خاف بطبع البشرية، لما رأى من كثرة ما تخيل من الحيات العظام فقال الله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ أي: أنك أنت الغالب لهم والقاهر لأمرهم^(٦).

١. قارن ٧: ١٨٦.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٧: ١٨٧.

٦. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ الآية: ٧٤.

أي: لا يموت فيها فيستريح من العذاب، ولا يحيى حياة فيها راحة، بل هو معاقب بأنواع العقاب^(١).

فصل

قوله: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ مَا غَشِيَهُمْ﴾ الآية: ٧٨.

يعني: الذي غشيهم، وقيل: معناه تعظيم للأمر لأنَّ ﴿غَشِيَهُمْ﴾ قد دلَّ على ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ وإنما ذكره تعظيماً، وقيل: ذكره تأكيداً^(٢).

وقال قوم: معناه فغشيهم الذي عرفتموه، كما قال أبو النجم:

أنا أبو النجم وشعري شعري^(٣)

وقال الزجاج: وغشيهم من اليم ما غرقهم^(٤).

وقوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ معناه: أنه دعاهم إلى الضلال وأغواهم، فضلّوا عنده فتسبب إليه الضلال^(٥).

١. قارن ٧: ١٩١.

٢. قارن ٧: ١٩٣.

٣. الرجز لأبي النجم.

٤. قارن ٧: ١٩٤.

٥. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾

الآية: ٨٢.

أخبر الله تعالى عن نفسه أنه ﴿غَفَّارٌ﴾ أي: ستار لمن تاب من المعاصي، فأسقط ((عقابه)) وأستر معاصيه، إذا أضاف إلى إيمانه الأعمال الصالحات^(١).

﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ قال قتادة: معناه ثم لزم الإيمان إلى أن يموت، كأنه قال: ثم استمر على الاستقامة، وإنما قال ذلك، لئلا يتكل الإنسان على أنه قد كان أخلص الطاعة^(٢).

وفي تفسير أهل البيت أن معناه: ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ إلى ولاية أوليائه الذين أوجب الله طاعتهم والانتقاد لأمرهم، وقال ثابت البناني: ثم اهتدى إلى ولاية أهل بيت النبي ﷺ^(٣).

قوله: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ﴾ أي: عاملناهم معاملة المختبر، بأن شددنا عليهم في التعبد، بأن ألزمناهم عند إخراج العجل أن

١. قارن ٧: ١٩٦.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ١٩٦، وثابت البناني هو الإمام الحجة القدوة أبو محمد البناني البصري ... عن شعبة قال كان ثابت البناني يقرأ القرآن في كل يوم وليلة ويصوم الدهر، ... مات في سنة ١٢٣ ويقال في سبع وقد جاوز الثمانين تذكرة الحفاظ ١: ١٢٥ ط حيدر اباد . وقد روى الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١: ٣٧٥ - ٣٧٧ عدة أحاديث منها عن أبي جعفر مرفوعاً عن النبي ﷺ قال خرج رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: ان الله تعالى يقول: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ ثم قال لعلي بن أبي طالب: إلى ولايتك، وعلى ضوء هذا كان أبو ذر يقول في قول الله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾ الآية، قال: لمن آمن بما جاء به محمد، وأدى الفرائض ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ قال: اهتدى إلى حب آل محمد ﷺ.

يستدلوا على أنه لا يجوز أن يكون إلهاً، ولا أن يحله الإله، فحقيقة الفتنة تشديد العبادة^(١).

وقوله: ﴿وَأَضْلَهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ معناه أنه دعاهم إلى عبادة العجل، فضلوا عند ذلك فنسب الله الإضلال إليه لما ضلوا بدعائه^(٢).

فصل

قوله: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا﴾ الآية: ٨٦.

الغضب ضد الرضا، وهو ما يدعو إلى فعل العقاب، والأسف أشد الغضب^(٣)، وقال ابن عباس: معنى ﴿أَسْفًا﴾ حزناً، وبه قال قتادة والسدي^(٤).

والأسف يكون بمعنى الغضب ويكون بمعنى الحزن، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: أغضبونا^(٥).

قوله: فقالوا جواباً لموسى ﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا﴾ أي: قال المؤمنون لم نملك أن نرد عن ذلك السفهاء، قال قتادة والسدي: معنى ﴿بِمَلَكِنَا﴾ بطاقتنا^(٦).

١. قارن ٧: ١٩٦.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ١٩٧.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٧: ١٩٧، والآية في سورة الزخرف: ٥٥.

٦. قارن ٧: ١٩٨.

وقوله: ﴿وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ معناه: أنا حملنا أثقالاً من حلي آل فرعون، وذلك أن موسى أمرهم أن يستعبروا من حليهم، في قول ابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد^(١).

وقيل: ﴿أَوْزَارًا﴾ أي: أثقالاً من حلي آل فرعون لما قذفهم البحر بأخذوها منهم^(٢).

فصل

قوله: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَكْفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ * قَالَ يَهْتَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ الآيات: ٩١ - ٩٣.

العكوف لزوم الشيء مع القصد إليه على مرور الوقت، ومنه الاعتكاف في المسجد^(٣).

قال موسى لهارون: ﴿ما منعك ألا تتبعني﴾ قال ابن عباس: معناه بمن معك ممن أقام على إيمانه^(٤).

ومعنى: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ ما منعك أن تتبعني، ف (لا) زائدة، كما قال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٢٠١.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٧: ٢٠١، والآية في سورة الأعراف: ١٢.

قوله: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ قيل في وجه ذلك قولان:

أحدهما: أن عادة ذلك الوقت أن الواحد إذا خاطب غيره قبض على لحيته، كما يقبض على يده في عاداتنا، والعادات تختلف، ولم يكن ذلك على وجه الاستخفاف به.

الثاني: أنه أجراه مجرى نفسه إذا غضب في القبض على لحيته^(١).

فصل

قوله: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ * [قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ^ط وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ^ط وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا^ط لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا * إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا * كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ^ع وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا * مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا] ﴿الآيات: ٩٦ - ١٠٠.

فنبذتها في العجل على ما أطمعتني نفسي من انقلابه حيواناً^(٢).

١. قارن ٧: ٢٠١.

٢. قارن ٧: ٢٠٣.

وقال ابن زيد: معنى ﴿سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾ حدثتني، وقيل: معناه زينت لي^(١).

فإن قيل: لم جاز انقلابه حيواناً مع أنه معجز لغير نبي؟

قلنا: في ذلك خلاف، فمنهم من قال: إنه كان معلوماً معتاداً في ذلك الوقت، أنه من قبض من أثر الرسول قبضة فألقاها على جماد صار حيواناً، ذكره أبو بكر ابن الاخشاذ، فعلى هذا لا يكون خرق عادة بل كان معتاداً، وقال الحسن: صار لحماً ودماً^(٢).

وقال الجبائي: المعنى أنه سَوَّلْتُ له نفسه ما لا حقيقة له، وإنما خار بحيلة جعلت فيه من خروق إذا دخلها الريح سمع له خوار منه^(٣).

فقال له موسى عند ذلك: ﴿فَاذْهَبْ﴾ يا سامري ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾^(٤).

واختلفوا في معناه، فقال قوم: معناه أن تقول لا أمس ولا أمس، وكان موسى أمر بني إسرائيل أن لا يؤاكلوه ولا يخالطوه ولا يبايعوه فيما ذكر^(٥).

وقال الجبائي: معناه أنه لا مساس لأحد من الناس، لأنه جعل يهيم في البرية مع الوحوش والسباع^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ٢٠٤.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا * وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا] الآيات: ١٠٢ - ١٠٧.

قيل: معناه أنه أزرقت عيونهم من شدة العطش، وقيل: معناه عمياً كما قال: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمًيًا﴾ كأنها ترى زرقاً وهي عمياً^(١).

وقيل: المعنى في ﴿زُرْقًا﴾ تشويه الخلق، ووجوههم سود وأعينهم زرق^(٢).

ومعنى: ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ معناه: يتشاورون بينهم - في قول ابن عباس - ومنه قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ ومعناه لا تعلن صوتك بالقراءة في الصلاة كل الإعلان، ولا تخفها كل الاخفاء، وابغ بين ذلك سبيلاً^(٣).

قوله: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ قال الكلبي: الصفصف ما لا تراب فيه.

قال ابن عباس: الصفصف الموضع المستوي الذي لا نبات فيه^(٤).

١. قارن ٧: ٢٠٧، والآية في سورة الإسراء: ٩٧.

٢. قارن ٧: ٢٠٧.

٣. قارن ٧: ٢٠٧، والآية في سورة الإسراء: ١١٠.

٤. قارن ٧: ٢٠٨.

والقاع هو الأرض الملساء، قال الشاعر:

كأن أيديهن بالقاع القرق أيدي جوار يتعاطين الورق^(١)

﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ يعني: وادياً ولا رابية، في قول ابن

عباس^(٢).

يقال: مدّ حبله حتى ما ترك فيه أمتاً، وملأ سقاه حتى ما ترك فيه أمتاً أي

انثناء^(٣)، قال الشاعر:

ما في انجذاب سيره من أمت^(٤)

فصل

قوله: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ^ط وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ

ظُلْمًا * [وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا

وَلَا هَضْمًا * وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ

لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ هُمْ ذِكْرًا * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا

تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ^ط وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي

عِلْمًا * وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾

الآيات: ١١١ - ١١٥.

١. والرجز ورد في تفسير الطبري ١٦: ١٤١، وتفسير الشوكاني ٣: ٣٧٢.

٢. قارن ٧: ٢٠٨.

٣. نفس المصدر.

٤. الرجز ورد شاهداً في تفسير الطبري ١٦: ٢٦٤ غير منسوب، وكذا في مجمع البيان.

أي: خضعت وذلك، خضوع الأسير في يد القاهر له، والعاني الأسير^(١)،
وقد تكون العنوة عن تسليم وطاعة، لأنه على طاعة الدليل للعزير^(٢)، قال
الشاعر:

هل أنت مطيعي أيها القلب عنوة^(٣)

وقال آخر:

فما أخذوها عنوة عن مودة ولكن بضرب المشرفي استقالها^(٤)

والقيوم قيل في معناه قولان:

أحدهما: أنه العالم بما يستقيم به تدبير جميع الخلق، فعلى هذا لم يزل
((الله)) قيوماً.

الثاني: أنه القائم بتدبير جميع الخلق، وهي مثل صفة حكيم^(٥).

وقال الجبائي: القيوم القائم، بأنه دائم لا يبيد ولا يزول^(٦).

أصل الهضم النقص، يقال: هضمني فلان حقى، أي: نقصني، وامرأة
هضم الحشا أي: ضامرة الكشحين، ومنه هضمت المعدة الطعام، أي: نقصته مع
تغيرها له^(٧).

١. قارن ٧: ٢١١.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٢١١، والشر صدر بيت وعجزه كما في تفسير الطبري: ولم تلح نفس لم تلم في اختيالها.

٤. البيت من شواهد تفسير الطبري وهو غير منسوب.

٥. قارن ٧: ٢١١.

٦. قارن ٧: ٢١١، وما بين القوسين من المصدر.

٧. قارن ٧: ٢١٢.

وقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ أي: لا تسأل إنزاله قبل أن يأتيك وحيه^(١).

وقيل: معناه لا تلقه إلى الناس قبل أن يأتيك بيان تأويله^(٢).

وقيل: لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبرئيل من أدائه إليك^(٣).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ قَنُوسِيٍّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ قال ابن عباس ومجاهد: معناه عهد الله إليه بأن أمره به ووصاه به ﴿قَنُوسِيٍّ﴾ أي: ترك. وقيل: إنما أخذ الإنسان من أنه عهد إليه فنسي، في قول ابن عباس^(٤).

وقوله: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ أي: عقداً ثابتاً^(٥).

وقال قتادة: يعني صبراً، والعزم الإرادة المتقدمة لتوطين النفس على الفعل^(٦).

فصل

قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا

إِبْلِيسَ أَبَىٰ * فَقُلْنَا يَتَقَادِمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا

يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ *

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٢١٣.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى * فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ
يَتَّخِذُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ۚ ﴿١١٦﴾ الآيات: ١١٦ - ١٢٠.

قد بينا فيما تقدم أن أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم يدل على تفضيله عليهم، وإن كان السجود لله تعالى لا لآدم، لأن السجود عبادة لا يجوز أن يفعل إلا لله تعالى، فأما المخلوقات فلا يستحق شيئاً من العبادة بحال، لأنها تستحق بأصول النعم وبقدر من النعم لا يوازيها نعمة منعم^(١).

وقال قوم: إن سجود الملائكة لآدم كان كما يسجد إلى الكعبة، وهو قول الجبائي^(٢).

والصحيح الأول، لأن التعظيم الذي هو في أعلى المراتب حاصل لله لا لآدم باسجاد الملائكة له، ولو لم يكن الأمر على ما قلناه من أن في ذلك تفضيلاً لآدم عليهم لما كان لامتناع إبليس من السجود له وجه، ولما كان لقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ وجه^(٣).

فلما احتج إبليس بأنه أفضل من آدم - وإن أخطأ في الاحتجاج - علمنا أن موضوع الأمر بالسجود لآدم على جهة التفضيل، وإلا كان يقول الله لابليس: أني ما فضلتك على من أمرته بالسجود لآدم وإنما السجود لي، وهو بمنزلة القبلة، فلا ينبغي أن تأنف من ذلك^(٤).

١. قارن ٧: ٢١٤.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٢١٤، والآية في سورة الأعراف: ١٢.

٤. قارن ٧: ٢١٤.

وقد يَبَيَّنُ أيضاً أنَّ الظاهر في روايات أصحابنا أنَّ إبليس كان من جملة الملائكة، وهو المشهور من قول ابن عباس، وذكره البلخي، فعلى هذا يكون استثناء إبليس من جملة الملائكة استثناء متصلاً^(١).

ومن قال: أنَّ إبليس لم يكن من جملة الملائكة، قال: هو استثناء منقطع^(٢).

قوله: ﴿فَتَشْقَى﴾ قيل: معناه تشقى أي تتعب بأن تأكل من كد يدك وما تكسبه لنفسك^(٣).

ومعنى ﴿وَلَا تَضْحَى﴾ أي لا يصيبك حر الشمس، وهو قول ابن عباس وسعيد ابن جبير وقتادة^(٤)، وقال عمر بن أبي ربيعة:

رأت رجلاً إذا الشمس عارضت فيضحي وأما بالعشي فيخصر^(٥)

أي: يخصر من البرد، وقيل: ليس في الجنة شمس إنما فيها نور وضياء وإنما الشمس في سماء الدنيا خاصة^(٦).

وضحي الرجل يضحى ضحاً إذا برز للشمس^(٧).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٢١٥.

٤. نفس المصدر.

٥. البيت لعمر بن أبي ربيعة من قصيدته التي أنشدتها لابن عباس في المسجد الحرام، فأثارت نقد نافع بن الأزرق الخارجي، راجع القصيدة في ديوان عمر بن أبي ربيعة: ١٢١.

٦. قارن ٧: ٢١٥.

٧. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءُ تَهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ * [ثُمَّ أَجْتَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ] * قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَلِمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ الآيات: ١٢١ - ١٢٥.

أخبر الله تعالى عن آدم وحواء أنهما أكلتا من الشجرة التي نهى الله عن أكلها، وعندنا أن النهي كان على وجه التنزيه والأولى، وعلى جهة الندب دون نهى الحظر والتحريم، لأن الحرام لا يكون إلا قبيحاً، والأنبياء لا يجوز عليهم شيء من القبائح لا كبيرها ولا صغيرها^(١).

وقال الجبائي: لا تقع معاصي الأنبياء إلا سهواً، فأما العلم بأنها معاصي فلا تقع^(٢).

وقال قوم آخرون أيضاً: أنه وقع من آدم أكل الشجرة خطأ، لأنه كان نهى عن جنس الشجرة، فظن أنه نهى عن شجرة بعينها، فأخطأ بذلك^(٣).

١. قارن ٧: ٢١٧.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

وهذا خطأ لأنه تنزيه له من وجه من المعصية^(١) ونسبة ((المعصية)) إليه من وجهين: أحدهما: أنه فعل قبيح، والثاني: أنه أخطأ في الاستدلال^(٢).

وقال قوم: إنها وقعت منه عمداً وكانت صغيرة، وقعت محبطة، وقد بينا أن ذلك لا يجوز عليهم عندنا بحال^(٣).

وقوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ معناه: خالف ما أمره الله به فخاب ثوابه، والمعصية مخالفة الأمر، سواء كان واجباً أو ندباً^(٤)، قال الشاعر:

أمرتك أمراً جازماً فعصيتني^(٥)

ويقال أيضاً: أشرت عليك بكذا فعصيتني، ويقال: غوى يغوي غواية وغياً إذا خاب، قال الشاعر:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً^(٦)

أي: من يخب، ومعنى ﴿طَفِقًا﴾ يعني ظلاً يفعلان وجعلاً يفعلان^(٧).

وقوله: ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ قيل: أنهما كانا يطبقان ورق الجنة بعضه على بعض ويخيطان بعضه إلى بعض ليسترا به سواتهما^(٨).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ٢١٨.

٥. الشطر صدر بيت لحسين بن يزيد الرقاشي قاله ليزيد بن المهلب، وتمتته: فأصبحت مسلوب الامارة نادماً.

٦. البيت نسب في أمالي المرتضى ٢: ٣٢ إلى قعب الفزاري، وفي غيره كاللسان نسب إلى المرقش الأصغر على اختلاف فيه.

٧. قارن ٧: ٢١٨.

٨. نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ قيل: معناه نحشره يوم القيامة أعمى البصر، وقيل: أعمى الحجة، وقيل: أعمى من جهات الخير لا يهتدى إليها^(١).

والأول هو الظاهر إذا أطلق.

فصل

قوله: ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾
 * [وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ
 الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ۚ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ
 يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ۚ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ
 وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ
 اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ] [الآيات: ١٢٦ - ١٣٠.

﴿فَنَسِيتَهَا﴾ أي: تركتها ولم تعتبر بها، وفعلت معها ما يفعله الناسي الذي لم يذكرها أصلاً، ومثل ذلك اليوم تترك من ثواب الله ورحمته وتحرم من نعمه، وتصير بمنزلة من قد ترك في المنسي بعذاب لا يفنى^(٢).

ثم قال: ومثل ذلك ﴿نَجْزِي مَنْ أَشْرَفَ﴾ على نفسه بارتكاب المعاصي وترك الواجبات ولم يصدق بآيات ربه وحججه^(١).

ثم قال: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾ بالنار ﴿أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ لأنه دائم، وعذاب القبر وعذاب الدنيا يزول، وهذا يقوي قول من قال: إن قوله ﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ أراد به عذاب القبر^(٢).

ولا يجوز أن يكون المراد بقوله: ﴿فَنَسِيَهَا﴾ النسيان الذي ينافي العلم، لأن ذلك من فعل الله لا يعاقب العبد عليه، اللهم إلا أن يراد أن الوعيد على التعرض لنسيان آيات الله، فأجري في الذكر على نسيان الآيات، للتحذير من الوقوع فيه^(٣).

وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ يعني صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني صلاة العصر ﴿وَمِنْ آثَاءِ اللَّيْلِ﴾ يعني صلاة المغرب والعشاء ﴿وَأَطْرَافِ النَّهَارِ﴾ صلاة الظهر في قول قتادة، وآثاء الليل ساعات الليل واحداها إني، وقال السعدي:

حلو ومرّ كعصف القدح مرّته بكل إني حذاء الليل يتعمل



١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

سورة الأنبياء

فصل

قوله: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَا هِيََ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّخَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ * قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمَ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ الآيات ١ - ٥.

قوله: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ فالغفلة السهو، وهو ذهاب المعنى عن النفس ونقيضها اليقظة، ونقيض السهو الذكر، وهو حضور المعنى للنفس، والنسيان فهو عزوب المعنى عن النفس بعد حضوره.^(١)

وقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ معناه: أي شيء من القرآن محدث بتزييله، سورة بعد سورة، وآية بعد آية ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ أي: كل ما جدد لهم الذكر، استمروا على الجهل.^(٢)

وفي هذه الآية دلالة على أن القرآن محدث، لأنه تعالى أخبر أنه ليس يأتيهم ذكر محدث من ربهم إلا استمعوه وهم لاعبون، والذكر هو القرآن^(١)، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢) وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يعني القرآن، ويقويه في الآية قوله: ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ﴾ والاستماع لا يكون إلا في الكلام، وقد وصفه بأنه محدث، فيجب القول بحديثه^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الآية: ٧.

اختلفوا في المعنى بأهل الذكر، فروي عن أمير المؤمنين علي^{عليه السلام} أنه قال: «نحن أهل الذكر»^(٤).

ويشهد لذلك أن الله تعالى سمى نبيه ذكراً بقوله: ﴿ذِكْرًا * رَسُولًا﴾^(٥).

وقال الحسن وقتادة: ((هم)) أهل التوراة والإنجيل. وقال ابن زيد: أراد أهل القرآن لأن الله تعالى سمى القرآن ذكراً في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. الحجر: ٩.

٣. قارن ٧: ٢٢٩، والآية في سورة النحل: ٤٤.

٤. قارن ٧: ٢٣٢.

٥. قارن ٧: ٢٣٢، والآية في سورة الطلاق: ١٠ - ١١.

٦. قارن ٧: ٢٣٢.

وقيل في وجه الأمر بسؤال الكفار عن ذلك قولان:

أحدهما: أنه يقع العلم الضروري بخبرهم إذا كانوا متواترين، وأخبروا عن مشاهدة، هذا قول الجبائي^(١).

والثاني: أن الجماعة الكثيرة إذا أخبرت عن مشاهدة حصل العلم بخبرها، إذا كانوا بشروط المتواترين، وإن لم يوجب خبرهم العلم الضروري^(٢).

وقال قوم: أراد من آمن منهم ولم يرد الأمر بسؤال غير المؤمنين^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ * لَوْ

أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ هَوًا لَّاتَّخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ الآية: ١٦ - ١٧.

اللعب الفعل الذي يدعو إليه الجهل بما فيه من النقص، لأن العلم يدعو إلى أمر والجهل يدعو إلى خلافه، فالعلم يدعو إلى الإحسان، والجهل يدعو إلى الإساءة لتعجيل الانتفاع^(٤).

واللعب يستحيل وصفه للقديم تعالى، لأنه عالم لنفسه بجميع المعلومات، غني عن جميع الأشياء، ولا يمتنع وصفه بالقدرة عليه، كما نقول في سائر القباح، وإن كان المعلوم أنه لا يفعله لما قدمناه^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٢٣٣.

٤. قارن ٧: ٢٣٦.

٥. نفس المصدر.

ثم قال تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ قال الحسن ومجاهد: اللهو المرأة، وقال قتادة: اللهو المرأة بلغة أهل اليمن^(١).

ثم قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ معناه: إِنَّا نُلْقِي الحقَّ على الباطل فيهلكه، والمراد به أن حجج الله تعالى الدالة على الحق، تبطل شبهات الباطل، ويقال: دمع الرجل إذا شجَّ شجة تبلغ أم الدماغ فلا يحيى صاحبها بعدها^(٢).

وقوله: ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ أي هالك مضمحل، وهو قول قتادة، زهق زهوفاً إذا هلك^(٣).

فصل

قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الآية: ٢٢.

يعني: في السماء والأرض ﴿آلِهَةٌ﴾ أي من يحق له العبادة ((غير الله لفسدتا)) لأنه لو صح إلهان أو آلهة، لصحَّ بينهما التمانع، فكان يؤدي ذلك إذا أراد أحدهما فعلاً وأراد الآخر ضده أما أن يقع مرادهما، فيؤدي إلى اجتماع الضدين، أو لا يقع مرادهما فينقض كونهما قادرين، أو يقع مراد أحدهما فيؤدي إلى نقض كون الآخر قادراً، وكل ذلك فاسد، فإذن لا يجوز أن يكون الإله إلا واحداً، وهذا مشروح في كتب الأصول^(٤).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٧: ٢٣٧.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ٢٣٨.

وقوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ وإنما أضافه إلى العرش، لأنه أعظم المخلوقات، ومن قدر على أعظم المخلوقات كان قادراً على ما دونه^(١).

ثم قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لأنه لا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب، فلا يقال للحكيم: لم فعلت الصواب؟ وهم يسألون لأنه يجوز عليهم الخطأ^(٢).

فصل

قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ﴾ الآية: ٢٨.

قال ابن عباس: معناه يعلم ما قدموا وما أخرؤا من أعمالهم^(٣).
﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ﴾ قال أهل الوعيد: معناه لا يشفع هؤلاء الملائكة إلا لمن ارتضى جميع عمله^(٤)، قالوا: وذلك يدل على أن أهل الكبائر لا يشفع فيهم، لأن أعمالهم ليست رضا لله^(٥).

وهذا الذي ذكره ليس في الظاهر، بل لا يمتنع أن يكون المراد لا يشفعون إلا لمن رضي ((الله)) أن يشفع فيه، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ والمراد أنهم لا يشفعون إلا بعد إذن الله لهم في من يشفعون فيه^(٦).

١. قارن ٧: ٢٣٩.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٢٤١.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر، والآية في سورة البقرة: ٢٥٥.

ولو سلمنا أن المراد إلا لمن رضي عمله، لجاز لنا أن نحمل على أنه رضي إيمانه، وكثيراً من طاعته، فمن أين أنه أراد إلا لمن رضي جميع أعماله^(١). ثم قال: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ وقيل في معناه أقوال:

قال الحسن وقتادة: كانتا رتقاً، أي ملتزقتين ففصل الله بينهما بهذا الهواء^(٢).

وقيل: كانتا رتقاً، السماء لا تمطر، والأرض لا تنبت، ففتق الله السماء بالمطر والأرض بالنبات، ذكره ابن زيد وعكرمة، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ

فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ الآية: ٣٣.

أخبر أن جميع ذلك في فلك يسبحون، فالفلك هو المجري الذي تجري فيه الشمس والقمر بدورانها عليه، في قول الضحاك^(٤).

وقال قوم: هو موج مكفوف تجريان فيه^(٥).

وقال الحسن: الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل، والفلك في اللغة كلُّ

١. قارن ٧: ٢٤٢.

٢. قارن ٧: ٢٤٢، والآية في سورة الأنبياء: ٣٠.

٣. قارن ٧: ٢٤٢.

٤. قارن ٧: ٢٤٥.

٥. نفس المصدر.

شيء داير وجمعه أفلاك، قال الراجز:

باتت تناصي الفلك الدوارا حتى الصباح تعمل الاقتارا^(١)

ومعنى ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يَجْرُونَ، في قول ابن جريج، وإنما قال: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ على فعل ما يعقل، لأنه أضاف إليها الفعل الذي يقع من العقلاء، كما قال: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٢) وقال: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾^(٣) وقال النابغة:

تمزرتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا^(٤)

وقوله: ﴿وَتَبْلَوْكُمْ﴾ أي نختبركم معاشر العقلاء ﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ يعني بالمرض والصحة، والرخص والغلاء، وغير ذلك من أنواع الخير والشر ﴿فِتْنَةً﴾ أي: اختباراً مني لكم وتكليفاً لكم^(٥).

ثم قال: ﴿وَاللَّيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة، فيجازى كل إنسان على قدر عمله^(٦).

فصل

قوله: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ الآية: ٣٧.

١. قارن ٧: ٢٤٥، والرجز في تفسير الطبري ١٧: ٣١ غير منسوب.

٢. يوسف: ٤.

٣. الأنبياء: ٦٥.

٤. البيت للنابغة الجعدي كما في اللسان وصحاح الجوهري (نعش) ومجمع البيان.

٥. قارن ٧: ٢٤٧.

٦. قارن ٧: ٢٤٨.

قال قتادة: معناه خلق الإنسان عجولاً، والمراد به جنس الإنسان، وقال السدي: المعني به آدم عليه السلام^(١).

وقال مجاهد: خلق على تعجيل قبل غروب الشمس يوم الجمعة^(٢).

وقال أبو عبيدة: معناه خلقت العجلة من الإنسان، على القلب، وهذا ضعيف، لأنه لا وجه لحمله على القلب^(٣).

وقال قوم: معناه على حب العجلة، لأنه لم يخلقه من نقطة ومن علقه، بل خلقه دفعة واحدة^(٤).

والذي قاله قتادة أقوى الوجوه.

وقال قوم: العجل الطين الذي خلق آدم منه، قال الشاعر:

والنوع ينبت بين الصخر ضاحية والنخل ينبت بين الماء والعجل^(٥)

والاستعجال طلب الشيء قبل وقته، الذي حقه أن يكون فيه دون غيره،

والعجلة تقديم الشيء قبل وقته، وهو مذموم، والسرعة تقديم الشيء في أقرب أوقاته، وهو محمود^(٦).

فصل

قوله: ﴿وَلَقَدْ آسَفْنِي بَرُسٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ

سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ الآية: ٤١.

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ٢٤٨.

٥. البيت في أمالي المرتضى ٢: ١١٨ غير منسوب، وكذا في تفاسير القرطبي والشوكاني والرازي.

٦. قارن ٧: ٢٤٨.

معنى ﴿فَحَاقَ﴾ أي: حلّ بهم عقوبة ما كانوا يسخرون منهم، يحقّ حيقاً، ومنه قوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ أي يحلّ وبال القبيح بأهله الذين يفعلونه^(١).

والفرق بين الهزء والسخرية، أنّ في السخرية معنى الذلّة، لأنّ التسخير التذليل، والهزء يقتضي طلب صغر القدر بما يظهر في القول^(٢).

قوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ أي ألا يعلمون ﴿أَنَا نَأْنِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ قيل: بخرابها، وقيل: بموت أهلها، وقيل: بموت العلماء^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾ الآية: ٤٧.

قال قتادة: معناه نضع العدل في المجازاة بالحق، لكلّ أحد على قدر استحقاقه، فلا يبخس المصاب بعض ما يستحقه، ولا يفعل بالمعاقب فوق ما يستحقه^(٤).

وقال الحسن: هو ميزان له كفتان ولسان، يذهب إلى أنّه علامة جعلها الله للعباد يعرفون بها مقادير الاستحقاق^(٥).

وقال قوم: هو ميزان ذو كفتين توزن بها صحف الأعمال^(٦).

١. قارن ٧: ٢٥١، والآية في سورة فاطر: ٤٣.

٢. قارن ٧: ٢٥١.

٣. قارن ٧: ٢٥٢.

٤. قارن ٧: ٢٥٤.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

وقال بعضهم: يكون في إحدى الكفتين نور وفي الأخرى ظلمة، فأيهما رجح علم به مقدار ما يستحقه ويكون الوجه في ذلك ما فيه من اللطف والمصلحة في دار الدنيا^(١).

فصل

قوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا

يَنْطِقُونَ﴾ الآية: ٦٣.

إنما جاز أن يقول: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ وما فعل شيئاً لأحد أمرين: أحدهما: أنه قيده بقوله: ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ فقد فعله كبيرهم، وقوله: ﴿فَاسْأَلُوهُمْ﴾ اعتراض بين الكلامين كما يقول القائل: عليه الدراهم فأسأله إن أقر^(٢).

الثاني: أنه خرج مخرج الخبر وليس بخبر، وإنما هو الزام يدل على تلك الحال، كأنه قال: بل ما تشكرون فعله كبيرهم هذا^(٣).

والإلزام تارة يأتي بلفظ السؤال، وتارة بلفظ الأمر، كقوله: ﴿فَاسْأَلُوهُمْ﴾ وتارة بلفظ الخبر، والمعنى فيه أنه من اعتقد كذا لزمه كذا^(٤).

ولا يجوز على الأنبياء القبائح، ولا يجوز أيضاً عليهم التعمية في الأخبار، ولا التقية في أخبارهم، لأنه يؤدي إلى التشكيك في أخبارهم، فلا يجوز ذلك عليهم على وجه^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٧: ٢٥٩.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ٢٥٩، والآية في سورة يونس: ٣٨.

٥. قارن ٧: ٢٥٩.

فأما ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات كلها في الله» فإنه خبر لا أصل له، لأن الكذب يشكك في أخبار الكاذب، ولو حسن الكذب على وجه كما يتوهم بعض الجهال، لجاز من القديم ذلك^(١).

فصل

قوله: ﴿يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ الآية: ٦٩.

قيل فيه قولان:

أحدهما: أنه تعالى أحدث فيها برداً، بدلاً من شدة الحرارة التي فيها فلم تؤذ^(٢).

والثاني: أنه تعالى حال بينها وبين جسمه فلم تصل إليه، ولو لم يقل وسلاماً^(٣) لأهلكه بردها، ولم يكن هناك أمر على الحقيقة، والمعنى أنه فعل ذلك كما قال: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ أي: صيرهم كذلك من غير أن أمرهم بذلك^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۚ﴾

*** [وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ**

الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ]﴾ الآية: ٧٢ - ٧٣.

١. الحديث من الموضوعات وإن رواه أحمد والبخاري وغيرهما فهو من حديث أبي هريرة وهذا يكفي في سقوطه .

٢. قارن ٧: ٢٦٢ .

٣. قارن ٧: ٢٦٣ .

٤. قارن ٧: ٢٦٣، والآية في سورة البقرة: ٦٥ .

معنى ﴿نَافِلَةً﴾ عطية زائدة على ما تقدّم من النعمة، في قول مجاهد وعطاء^(١) والنفل: النفع الذي يوجب الحمد ممّا زاد على حد الواجب، ومنه صلاة النافلة أي: فضلاً على الفريضة^(٢).

وقوله: ﴿وَكَلَّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ يحتمل أمرين:

أحدهما: أنّه جعلهم بالتسمية على وجه المدح بالصلاح، أي سميناهم صالحين^(٣).

والثاني: أنا فعلنا بهم من اللطف الذي صلحوا به^(٤).

وقوله: ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ﴾ أي وبأن يقيموا الصلاة بحدودها، وإنّما قال: ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ﴾ بلا هاء، لأنّ الإضافة عوض الهاء^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ الآية: ٧٨.

النفس لا يكون إلّا ليلاً على ما قاله شريح^(٦).

١. قارن ٧: ٢٦٤.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٢٦٥.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٧: ٢٦٧.

وقال الزهري: الهمل والنشر بالنهار ((والنفس بالليل))^(١).

والحرث الذي حكاه فيه، قال قتادة: هو زرع وقعت فيه الغنم ليلاً فأكلته، وقيل: كرم قد نبت عناقيده، في قول ابن مسعود وشريح^(٢).

وقيل: إن داود كان يحكم بالغنم لصاحب الكرم، فقال سليمان: غير هذا يا نبي الله، قال: وما ذاك؟ قال: يدفع الكرم إلى صاحب الغنم، فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم، فيصيب منها حتى إذا عاد الكرم كما كان، دفع كل واحد إلى صاحبه، ذكره ابن مسعود، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام^(٣).

وقال أبو علي الجبائي: أوحى الله إلى سليمان بما نسخ به حكم داود الذي كان يحكم به قبل، ولم يكن ذلك عن اجتهاد، لأن الاجتهاد لا يجوز أن يحكم به الأنبياء، وهذا هو الصحيح عندنا^(٤).

قال الجبائي: أكمل الله تعالى عقول الطيور حتى فهمت ما كان سليمان يأمرها به وينهاها عنه وما يتوعدها به متى خالفت^(٥).

قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ إنما جمعه في موضع التثنية، لأن داود وسليمان كان معهما المحكوم عليه ومن حكم له، فلا يمكن الاستدلال به، على أن أقل الجمع اثنان^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٧: ٢٦٨.

٦. قارن ٧: ٢٦٩.

ومن قال: إنه كناية عن الإثنين، قال: هو يجري مجرى قوله: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ في موضع فإن كان له أخوان، وهذا ليس بشيء، لأن ذلك علمناه بدليل الإجماع، ولذلك خالف فيه ابن عباس، فلم يحجب بأقل من ثلاثة^(١).

وقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾ يعني داود ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾ أي علمناه كيف يصنع الدروع. وقيل: إن اللبوس عند العرب هو السلاح كله، درعاً كان أو جوشناً^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ وكنّا لهم حفيظين * ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَاهُ لِلْعَالَمِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾
الآيات: ٨٢ - ٨٥.

أي: وسخرنا لسليمان قوماً من الشياطين يغوصون له في البحر^(٣)، ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ قال الزجاج: معناه سوى ذلك^(٤).

١. قارن ٧: ٢٦٩، والآية في سورة النساء: ١١.

٢. قارن ٧: ٢٦٩.

٣. قارن ٧: ٢٧٠.

٤. نفس المصدر.

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ أي: يحفظهم الله من الإفساد لما عملوه، وقيل: كان يحفظهم لثلاثا يهربوا من العمل^(١).

وقال الجبائي: كَتَفَ الله أجسام الجن حتى تهيأ لهم تلك الأعمال معجزاً لسليمان عليه السلام، قال: لأنهم كانوا يبنون له البنيان والغوص في البحار، وإخراج ما فيها من اللؤلؤ وغيره، وذلك لا يتأتى مع رقة أجسامهم، قال: وسخر له الطير بأن قوى أفهامها حتى صارت كصبياننا الذين يفهمون التخويف والترغيب^(٢).

اختلفوا في ذي الكفل، فقال أبو موسى الأشعري وقتادة ومجاهد: كان رجلاً صالحاً كفّل لنبي بصوم النهار وقيام الليل، وألاً يغضب ويقضي بالحق، فوفى الله بذلك فأثنى الله عليه^(٣).

وقال قوم: كان نبياً كُفِّلَ بأمره وفي به، وقال الحسن: هو نبي اسمه ذو الكفل، وقال الجبائي: هو نبي^(٤).

ومعنى وصفه بالكفل أنه ذو الضعف، أي: ضعف ثواب غيره ممن في زمانه لشرف عمله^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾
* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَخَجَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّجُ الْمُؤْمِنِينَ * وَزَكَرِيَّا

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٢٧٢.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٨٨﴾ الآيات: ٨٧-٩٠

النون الحوت، وصاحبها يونس بن متى، غضب على قومه - في قول ابن عباس والضحاك - فذهب مغاضباً لهم، فظن أن الله لا يطيق عليه، لأنه كان نذبه إلى الصبر عليهم والمقام فيهم، من قوله: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾^(١) أي ضيق، وقوله: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾^(٢) أي: يضيّق، وهو قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وأكثر المفسرين^(٣).

ومن قال: إن يونس عليه السلام ظن أن الله لا يقدر عليه من القدرة فقد كفر^(٤)، وقيل: إنما عوتب على ذلك، لأنه خرج مغاضباً لهم قبل أن يؤذن له، فقال قوم: كانت خطيئة من جهة تأويله أنه يجوز له ذلك، وقد قلنا: أنه كان مندوباً إلى المقام، فلم يكن ذلك محظوراً وإنما كان ترك الأولى^(٥).

قوله: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ قيل: أنها ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت، على ما قاله ابن عباس وقتادة^(٦).

١. الطلاق: ٧.

٢. الرعد: ٢٦.

٣. قارن ٧: ٢٧٢.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٧: ٢٧٣.

٦. قارن ٧: ٢٧٤.

وقوله: ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: كنت من الباطسين نفسي ثوابها لو أقمّت، لأنّه كان مندوباً إليه، ومن قال بجواز الصغائر على الأنبياء قال: كان ذلك صغيرة نقصت ثوابه^(١).

فأمّا الظلم الذي هو كبيرة، فلا يجوزها عليهم إلاّ الحشوية الجهال الذين لا يعرفون مقادير الأنبياء الذين وصفهم الله بأنّه اصطفاهم واختارهم^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ الآية: ٩١.

الاحصان احراز الشيء من الفساد، فمريم أحصنت فرجها بمنعه من الفساد، فأثنى الله عليها، ورزقها ولداً عظيماً الشأن^(٣).

وقوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ معناه أجرنا فيها روح المسيح، كما يجري الهواء بالنفخ، وأضاف الروح إلى نفسه تعالى على وجه الملك تشريفاً له في الاختصاص بالذكر^(٤).

وقيل: إنّ الله تعالى أمر جبرئيل بنفخ الروح في فرجها، وخلق المسيح في رحمها^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٢٧٦.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ معناه إِنَّا جعلنا مريم وابنها عيسى آيةً للعالمين، وإِنَّمَا قال آيةً ولم يشن، لأنّه في موضع دلالة لهما، فلا يحتاج أن يشي^(١).

فصل

قوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾

الآية: ١٠٤.

السجل الصحيفة تطوى على ما فيها من الكتابة، فشبه الله تعالى طي السماء يوم القيامة بطي الكتاب، في قول ابن عباس ومجاهد^(٢).
وقال ابن عمر والسدي: السجل ملك يكتب أعمال العباد^(٣).
وقال ابن عباس: - في رواية - السَّجِّل كاتب كان لرسول الله ﷺ^(٤).



١. نفس المصدر.

٢. قارن ٧: ٢٨٣.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

سورة الحج

فصل

قوله: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾

الآية: ٢.

قال الفراء والكوفيون: يجوز أن يقال: مرضع بلا هاء، لأن ذلك لا يكون في الرجال فهو مثل حائض وطامث^(١).

وقال الزجاج وغيره من البصريين: إذا أجرته على الفعل قلت أرضعت فهي مرضعة، فإذا قالوا مرضع، فالمعنى أنها ذات رضاع، وقيل في قولهم حائض وطامث: معناه أنها ذات حيض وطمث^(٢).

وقال قوم: إذا قلت مرضعة، فإنه يراد بها أم الصبي المرضع، وإذا أسقطت الهاء فإنه يراد بها المرأة التي معها صبي مرضعة لغيرها^(٣).

والمعنى: إن الزلزلة شيء عظيم، في يوم ترون فيها الزلزلة، على وجه ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ أي يشغلها عن ولدها اشتغالا بنفسها وما يلحقها من الخوف^(٤).

١. قارن ٧: ٢٨٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ٢٨٩.

وقال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل لغير تمام^(١).

فصل

قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تَرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ النَّبِينَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبِتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ الآية: ٥.

قال الحسن: المعنى خلقنا آدم من تراب الذي هو أصلكم وأنتم نسله^(٢).

وقال قوم: أراد به جميع الخلق، لأنه أراد به خلقهم من نطفة، والنطفة يجعلها الله من الغذاء، والغذاء ينبت من التراب، فكان أصلهم كلهم التراب، ثم أحالهم بالتدرج إلى النطفة، ثم أحال النطفة علقة، وهي القطعة من الدم جامدة، ثم أحال العلقة مضغة، وهي شبه قطعة من اللحم ممضوغة، والمضغة مقدار ما يمضغ من اللحم^(٣).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٧: ٢٩١.

٣. نفس المصدر.

وقوله: ﴿مُخَلَّقةٌ وَعَبْرٌ مُخَلَّقةٌ﴾ قال قتادة: تامة الخلق وغير تامة، وقيل: مصورة وغير مصورة وهي السقط في قول مجاهد^(١).

وقوله: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ قيل: معناه أهونه وأخسّه عند أهله، وقيل: أحقره، وقيل: هي حال الخرف، وإنما قيل أَرْدَلِ العُمر، لأن الإنسان لا يرجو بعده صحّة وقوّة، وإنما يترقّب الموت والفناء، بخلاف حال الطفولية^(٢).
وقوله: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ معناه: إنا رددناه إلى أَرْدَلِ العُمر لكيلا يعلم، لأنّه يزول عقله من بعد أن كان عاقلاً عالمّاً بكثير من الأشياء، ينسى جميع ذلك^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ الآية: ١٠.

إنما ذكره بلفظ المبالغة وإن كان لا يفعل القليل من الظلم لأمرين:
أحدهما: أنّه خرج جواباً للمجبرة وردّاً عليهم، لأنهم ينسبون كلّ ظلم في العالم إليه تعالى، فبيّن أنّه لو كان كما قالوا لكان ظلاماً وليس بظالم^(٤).
الثاني: أنّه لو فعل أقلّ قليل الظلم كان عظيماً منه، لأنّه يفعله من غير حاجة إليه فهو أعظم من كلّ ظلم فعله فاعله لحاجته إليه^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٧: ٢٩٢.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ٢٩٥.

٥. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ^١ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ^٢ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ الآية: ١١.

ان في الناس من يوجّه عبادته إلى الله على ضعف في العبادة، كضعف القيام على حرف جرف، وذلك من اضطرابه في استيفاء النظر المؤدي إلى المعرفة، فأدنى شبهة تعرض له ينقاد لها، ولا يعمل في حلها^(١).

والحرف والطرف والجانب نظائر، والحرف منتهى الجسم^(٢)، ومنه الانحراف والانعдал إلى الجانب، وقلم محرّف قد عدل بقطته عن الاستواء إلى جانب^(٣).

وقال مجاهد: معنى ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ على شك^(٤).

وقال الحسن: يعبد الله على حرف يعني المنافق يعبد بلسانه دون قلبه^(٥).

وقيل: ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ الطريقة لا يدخل فيه على تمكين^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٧: ٢٩٦.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

وقوله: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾

قال ابن عباس: كان بعضهم إذا قدم المدينة، فإن صح جسمه، ونتجت فرسه مهراً حسناً، وولدت امرأته غلاماً رضي به واطمأن إليه، وإن أصابه وجع المدينة، وولدت امرأته جارية، وتأخرت عنه الصدقة قال: ما أصبت منذ كنت على ديني هذا إلا شراً، وكل ذلك ((من)) عدم البصيرة^(١).

فصل

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ

لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ^ط حَقًّا عَلَيْهِ الْعَذَابُ^{١٧-١٨}.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: عالم بما من شأنه أن يشاهد، فالله تعالى يعلمه قبل أن يكون، لأنه علام الغيوب^(٢).

وقوله: ﴿يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من العقلاء ((و)) يسجد له ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقًّا عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ فسجود الجماد هو ما فيه من ذلّة الخضوع التي تدعو العارفين إلى السجود، سجود العبادة لله المالك للأمور، وسجود العقلاء هو الخضوع له تعالى^(٣).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٧: ٣٠١.

٣. نفس المصدر.

وقوله: ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ وإن كان ظاهره العموم، فالمراد به الخصوص، إذا حملنا السجود على العبادة والخضوع، لأننا علمنا أن كثيراً من الخلق كافرون بالله تعالى، فلذلك قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾^(١).

وقوله: ﴿يُضْهِرُّ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ فالصهر الإذابة، والمعنى يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم^(٢)، قال الشاعر:
تروي لقي ألقى في صفصف تصهره الشمس فما ينصهر^(٣)

فصل

قوله: ﴿سَوَاءٌ أَلْعَكِفُ فِيهِ وَأَلْبَادٍ﴾ الآية: ٢٥.

معناه: سواء فيه بالنزول فيه، وقال مجاهد: معناه إنهم سواء في حرمة وحق الله عليهما فيه^(٤).

واستدل بذلك قوم على أن أجرة المنازل في أيام الموسم محرمة^(٥). وقال غيرهم: هذا ليس بصحيح، لأن المراد به ﴿سَوَاءٌ أَلْعَكِفُ فِيهِ وَأَلْبَادٍ﴾ فيما يلزمه من فرائض الله فيه، فليس لهم أن يمنعوه من الدور والمنازل فهي لملاكها، وهو قول الحسن^(٦).

١. قارن ٧: ٣٠٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر، والبيت في اللسان نسب إلى ابن احمر يصف فرخ قطاة وتغذية أمه له في فلاة من الأرض (صهر) وهو من الشواهد في تفسير الطبري والقرطبي وأضواء البيان.

٤. قارن ٧: ٣٠٦.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الآية: ٢٦-٢٧.

قوله: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾ يعني: من عبادة الأوثان، وقيل: من الأدناس، وقيل: من الدماء والفرث والأقذار التي كانت ترمى حول الكعبة، ويلطخون به البيت إذا ذبحوا^(١).

﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ يعني حول البيت ﴿وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ يعني طهر حول البيت للذين يقومون هناك للصلاة والركوع والسجود، فقال عطاء: والقائمين في الصلاة، وقال: إذا طاف فهو من الطائفين، وإذا قعد فهو من العكف، وإذا صلى فهو من الركع السجود^(٢).

وفي الآية دلالة على جواز الصلاة في الكعبة^(٣).

قال الحسن وقتادة: الأيام المعلومات: عشر ذي الحجة، والأيام المعدودات أيام التشريق^(٤).

١. قارن ٧: ٣٠٩.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ٣١٠.

وقال أبو جعفر (عليه السلام): الأيام المعلومات: أيام التشريق، والمعدودات العشر، لأن الذكر الذي هو التكبير في أيام التشريق، وإنما قيل لهذه الأيام معدودات لقلتها، وقيل لتلك معلومات للحرص على عملها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها^(١).

وقوله: ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ يعني: مما يذبح من الهدي^(٢)، وقال ابن عمر: الأيام المعلومات أيام التشريق، لأن الذبح فيها، الذي قال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّغْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾^(٣).

وقوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَائِسَ الْفَقِيرِ﴾ قال مجاهد وعطاء: أمرنا بأن نأكل من الهدي وليس بواجب، وهو الصحيح غير أنه مندوب إليه^(٤).

وقوله: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ فالتفت مناسك الحج، من الوقوف، والطواف، والسعي، ورمي الجمار، والحلق بعد الإحرام من الميقات^(٥).

وقال ابن عباس وابن عمر: التفت جميع المناسك، وقيل: التفت كشف الاحرام وقضاؤه بحلق الرأس والاعتسال ونحوه^(٦).

١- نفس المصدر.

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر.

٤- نفس المصدر.

٥- نفس المصدر.

٦- نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ قال ابن زيد: سَمِيَ الْبَيْتَ عَتِيقًا، لِأَنَّهُ أَعْتَقَ مِنْ أَنْ تَمْلِكَهُ الْجَبَابِرَةُ عَنْ آدَمَ ^(١).

وقيل: لِأَنَّهُ أَعْتَقَ مِنَ الْغَرَقِ أَيَّامَ الطُّوفَانِ، فَغَرَقَتِ الْأَرْضُ كُلُّهَا إِلَّا مَوْضِعَ الْبَيْتِ ^(٢).

والطَّوَّافُ الْمَأْمُورُ بِهِ (فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ قَوْمٌ هُوَ طَوَّافُ الْإِفَاضَةِ بَعْدَ التَّعْرِيفِ إِمَّا يَوْمَ النُّحْرِ وَإِمَّا بَعْدَهُ وَهُوَ طَوَّافُ الزِّيَارَةِ) وَهُوَ رُكْنٌ بِلَا خِلَافٍ ^(٣).

وَرَوَى أَصْحَابُنَا أَنَّ الْمُرَادَ - هَا هُنَا - طَوَّافُ النِّسَاءِ الَّذِي يَسْتَبَاحُ بِهِ وَطَاءَ النِّسَاءِ وَهُوَ زِيَادَةُ عَلَى طَوَّافِ الزِّيَارَةِ ^(٤).

وقوله: ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ يَعْنِي: إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ، مِنَ الْمَيْتَةِ، وَالْدَمِّ، وَلَحْمِ الْخَنَزِيرِ، وَالْمَوْقُودَةِ، وَالْمُتْرَدِيَةِ، وَالنَّطِيحَةِ، وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ، وَمَا ذَبَحَ عَلَى النَّصَبِ ^(٥).

وقيل: وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ مِنَ الْإِبِلِ، وَالْبَقَرِ، وَالْغَنَمِ، فِي حَالِ إِحْرَامِكُمْ، إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ مِنَ الصَّيْدِ، فَإِنَّهُ يَحْرُمُ عَلَى الْمَحْرَمِ ^(٦).

وقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ مَعْنَى مِنْ لَتَبْيِينِ الصِّفَةِ وَالتَّقْدِيرِ: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ الَّذِي هُوَ الْأَوْثَانُ ^(٧)، وَرَوَى أَصْحَابُنَا: أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ اللَّعِبُ بِالْشَطْرَنْجِ وَالتَّرْدِ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْقَمَارِ ^(٨).

١. قارن ٧: ٣١١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

٨. قارن ٧: ٣١٢.

﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ يعني الكذب، وروى أصحابنا أنه يدخل فيه الغناء وسائر الأقوال الملهية بغير حق^(١).

فصل

قوله: ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

فالشعائر علامات مناسك الحج كلها، منها رمي الجمار، والسعي بين الصفا والمروة^(٢).

وقال مجاهد: هي البدن، وتعظيمها استسمانها، والشعيرة العلامة التي يشعر بها جعلت له، وأشعرت البدن إذا علمتها بما يشعر أنها هدي^(٣).

ثم قال: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال ابن عباس ومجاهد: ذلك ما لم يسم هدياً أو بدناً^(٤)، وقال عطاء: ما لم يقلد. وقيل: منافعها ركوب ظهرها وشرب ألبانها إذا احتاج إليها، وهو المروي عن أبي جعفر (عليه السلام)^(٥).

وقوله: ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال عطاء بن أبي رباح: إلى أن تنحر^(٦).

وقوله: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ معناه: أن محل الهدى والبدن

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٧: ٣١٣.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ٣١٤.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

الكعبة^(١)، وعند أصحابنا إن كان الهدي في الحج فمحل منى، وإن كان في العمرة المفردة فمحل مكة قبالة الكعبة بالحزورة^(٢).

وقيل: الحرم كله محل لها، والظاهر يقتضي أن المحل البيت العتيق^(٣).

قال الحسن: المنسك المنهاج ((وهو الشريعة)) جعله الله لكل أمة من الأمم السالفة ﴿مَنْسُكًا﴾ أي: شريعة^(٤).

وقال مجاهد: منسكاً يعني عبادة في الذبح^(٥) والنسكة الذبيحة، يقال: نسكت الشاة أي ذبحتها، فكأنه المذبح، وهو الموضع الذي تذبح فيه^(٦).

فصل

قوله: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الآية: ٣٦.

البدن جمع بدنة، وهي الإبل المبذنة بالسمن^(٧).

قال الزجاج: يقولون بدنت الناقة إذا سمتها، ويقال لها بدنة من هذه الجهة^(٨).

وقيل: أصل البدن الضخم، وكلّ ضخم بدن، وبدن بدنًا إذا ضخّم، وبدن تبدينًا فهو ثقل لحمه للاسترخاء^(٩).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر، وما بين القوسين من المصدر.

٥. قارن ٧: ٣١٤.

٦. نفس المصدر.

٧. قارن ٧: ٣١٧.

٨. نفس المصدر.

٩. نفس المصدر.

وقال عطاء: البدن البقرة والبعيرة^(١).

وقيل: البدنة إذا نحرت عقلت يد واحدة، فكانت على ثلاث فكذلك تنحر، وعند أصحابنا تشد يداها إلى ابطنها وتطلق رجلاها، والبقرة تشد يداها ورجلاها ويطلق ذنبها، والغنم تشد ثلاث أرجل منها وتطلق فرد رجل^(٢).

وقوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ فقال قوم: الأكل والإطعام واجبان^(٣) وقال آخرون: الأكل مندوب والإطعام واجب^(٤).

وقال قوم: لو أكل جميعه جاز، وعندنا يطعم ثلثه ويعطي ثلثه للقانع والمعتر ويهدي الثالث ((الباقى))^(٥).

والقانع الذي يقنع بما أعطي، أو بما عنده ولا يسأل، والمعتر الذي يتعرض لك أن تطعمه من اللحم^(٦).

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: المعتر يسأل، والقانع لا يسأل^(٧).

وقال الحسن وسعيد بن جبير: القانع الذي يسأل^(٨).

ثم قال: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا﴾ والمعنى لن يتقبل الله اللحوم ولا الدماء، ولكن يتقبل التقوى فيها وفي غيرها، بأن يوجب في مقابلتها الثواب^(٩).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٣١٩.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٧: ٣١٩، وما بين القوسين من المصدر.

٦. قارن ٧: ٣١٩.

٧. نفس المصدر.

٨. نفس المصدر.

٩. قارن ٧: ٣٢٠.

فصل

قوله: ﴿وَبِئْرٍ مُّعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾ الآية: ٤٥.

معناه: وكم من بشر معطلة أي لا أهل لها، والتعطيل إبطال العمل بالشيء^(١)، ولذلك قيل للدهري: معطل، لأنه أبطل العمل بالعلم على مقتضى الحكمة^(٢).

ومعنى: ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ أي مجصص، والشيد الجص في قول عكرمة ومجاهد^(٣) وقال قتادة: معناه رفيع وهو المرفوع بالشيد، قال امرؤ القيس: وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أجماً إلا مشيداً بجندل^(٤)
قوله: ﴿إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ الآية: ٥٢.

قال البلخي: يجوز أن يكون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سمع هاتين الكلمتين من قومه وحفظهما، فلما قرأ النبي (عليه السلام) وسوس بهما إليه الشيطان وألقاهما في فكره، فكاد أن يجريها على لسانه، فعصمه الله وتبّه، ونسخ وسواس الشيطان، وأحكم آياته، بأن قرأها النبي (عليه السلام) محكمة سليمة ممّا أراد الشيطان^(٥).

وقال بعض المفسرين: إنّ المراد بالتمني في الآية تمني القلب^(٦).

١. قارن ٧: ٣٢٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. ديوان امرئ القيس، والبيت من معلته المشهورة وفيه (أطما) بدل أجما كما هو في بقية المصادر.

٥. قارن ٧: ٣٣٠.

٦. قارن ٧: ٣٣١.

والمعنى أنه ما من نبي ولا رسول إلا وهو يتمنى بقلبه ما يقربه إلى الله من طاعاته، وإن الشيطان يلقي في أمنيته بوسوسته وإغوائه ما ينافي ذلك، فينسخ الله ذلك عن قلبه، بأن يلفظ له ما يختار عنده ترك ما أغواه^(١).

فصل

قوله: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية: ٧٤.

اختلفوا في معنى ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ فقال الحسن: معناه ما عظموه حق عظمته، إذ جعلوا له شريكاً في عبادته، وهو قول المبرد والفراء، وقال قوم: ما عرفوه حق معرفته^(٢).



١. نفس المصدر.

٢. قارن ٧: ٣٤٢.

سورة المؤمنون

فصل

قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

الآية: ١ - ٢.

معنى خاشعين مقبلين على الصلاة بالخضوع والتذلل لربهم^(١).

وقيل: معناه خائفون^(٢).

وقال مجاهد: هو غض الطرف وخفض الجناح^(٣).

وقيل: أن ينظر إلى موضع سجوده^(٤).

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ أي: يؤدّون ما يجب عليهم في أموالهم من الصدقات، وسُمي زكاة لأنه يزكو بها المال عاجلاً وآجلاً^(٥).

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْجَاهِهِمْ حَافِظُونَ﴾ قيل: عنى بالفروج ها هنا

١. قارن ٧: ٣٤٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

فروج الرجال خاصة، بدلالة قوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾^(١).

ثم استثنى من الحافظين لفروجهم من لا يحفظ فرج زوجته، أو ما تملك يمينه من الإماء، على ما أباحه الله له، لأن التزويج ينبغي أن يكون على وجه أباحه الله تعالى^(٢).

وملك اليمين في الآية، المراد به الإماء، لأن الذكور من الممالك لا خلاف في وجوب حفظ الفرع منهم، ومن ملك الايمان من الإماء لا يجمع بين الأختين في الوطء، ولا بين الأم والبنت، وكل ما لم يجر الجمع بينهما في العقد، فلا يجوز الجمع بينهما في الوطء بملك اليمين^(٣).

ولا يخرج من الآية وطء المتمتع بها، لأنها زوجة عندنا، وإن خالف حكمها حكم الزوجات في أحكام كثيرة، كما أن حكم الزوجات مختلف في نفسه^(٤).

وإنما قيل للجارية: ملك يمين، ولم يقل في الدار ملك يمين، لأن ملك الجارية أخص من ملك الدار، إذ له نقض بنية الدار، وليس له نقض بنية الجارية، وله عارية الدار، وليس له عارية الجارية حتى توطأ بالعارية، فلذلك خص الملك في الأمة^(٥).

وإنما قال: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلْكٍ﴾ مع تحريم وطنها على وجوه، كتحريم وطء الزوجة، والأمة في حال الحيض،

١. نفس المصدر.

٢. قارن: ٧: ٣٤٩.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

ووطء الجارية إذا كان لها زوج، أو كانت في عدة من زوج، وتحريم وطاء المظاهرة قبل الكفارة، لأن المراد بذلك على ما يصح ويجوز، مما بينه الله وبينه رسوله في غير هذا الموضع، وحذف لأنه معلوم^(١).

فصل

قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ الآية: ١٢.

قال ابن عباس ومجاهد: المراد بالإنسان كل إنسان، لأنه يرجع إلى آدم الذي خلق من سلال^(٢).

وقال قتادة: المراد بالإنسان آدم، لأنه استل من أديم الأرض^(٣)، وقيل: استل من طين، والسلالة صفوة الشيء التي تخرج منه، كأنها تستل منه^(٤).

وفي الآية دلالة على أن الإنسان هو هذا الجسم المشاهد، لأنه المخلوق من نطفة، والمستخرج من سلالة، دون ما يذهب إليه قوم من أنه الجوهر البسيط، أو شيء لا يصح التركيب والانقسام، على ما يذهب إليه معمر وغيره.

فصل

قوله: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالذُّهْنِ وَصَبْغٍ

لِلْأَكْلِينَ﴾ الآية: ٢٠.

١. قارن ٧: ٣٥٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

من كسر السين من سيناء، فلقوله: ﴿طُورِ سِينِينَ﴾ والسيناء والسينين الحسن، وكلّ جبل ينبت الثمار فهو سينين، ومن فتح السين فلاّته لغتان، وأصله سرياني^(١).

وقوله: ﴿وَصِنْعَ لِّلْآكِلِينَ﴾ أي: وجعلناه ممّا يتأدم به الإنسان، ويصطبغون به من الزيت والزيتون، والإصطباغ أن يغمر فيه ثم يخرج به ويأكله^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ الآية: ٢١.

قال بعضهم: سقيت وأسقيت لغتان، والصحيح أن سقيت للشفه، وأسقيت للأثهار والأنعام^(٣).

وإنما قال ها هنا: ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ وفي النحل ﴿بُطُونِهِ﴾ لأنه إذا أنث فلا كلام، لرجوع ذلك إلى الأنعام، وإذا ذكر فلائن النعم والأنعام بمعنى واحد، ولأن التقدير: ونسقيكم من بعض ما في بطونه^(٤).

الأنعام هي الماشية التي تمشي على نعمة في مشيها، خلاف الحافر في وطنها وهي الإبل والبقر والغنم^(٥).

١. قارن ٧: ٣٥٦، والآية في سورة التين: ٢.

٢. قارن ٧: ٣٥٨.

٣. قارن ٧: ٣٥٩.

٤. قارن ٧: ٣٥٩، والآية في سورة النحل: ٦٦.

٥. قارن ٧: ٣٦٠.

فصل

قوله: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا﴾

الآية: ٢٧.

قيل في معناه قولان:

أحدهما: بحيث نراها كما يراها الرائي من عبادنا بعينه، ليتذكر أنه يصنعها والله تعالى يراه.

الثاني: بأعين أوليائنا من الملائكة والمؤمنين، فإنهم يحرسونك من منع مانع لك^(١).

وقوله: ﴿وَوَحَيْنَا﴾ أي باعلامنا إياك كيفية فعلها^(٢).

فصل

قوله: ﴿هَيَّاتْ هَيَّاتْ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ الآية: ٣٦.

ومعنى ﴿هَيَّاتْ﴾ بُعد الأمر جداً هو بمنزلة صه ومه^(٣).

وقال ابن عباس: معنى هيهات بعيد بعيد^(٤).

والعرب تقول: هيهات لما تبتغي وهيهات ما تبتغي، قال جرير:

١. قارن ٧: ٣٦٢.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٣٦٦.

٤. نفس المصدر.

فهيها هيهات العقيق ومن به وهيها خلّ بالعقيق نواصله^(١)

فصل

قوله: ﴿وَأَوْيَتْهُمَا إِلَىٰ رُبُوعٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ الآية: ٥٠.

الرُبُوعُ التي آويا إليها هي الرملة في قول أبي هريرة^(٢).

وقال سعيد بن المسيب: هي دمشق^(٣)، وقال ابن زيد: هي مصر^(٤)، وقال

قتادة: هي بيت المقدس^(٥).

و ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ أي: ماء جار طاهر^(٦).



١. البيت في ديوان جرير: ٣٨٥.

٢. قارن ٧: ٣٧٣.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

سورة النور

فصل

قوله: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ الآية: ١.

السورة: المنزلة الشريفة، قال الشاعر:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب^(١)

فسميت السورة من القرآن بذلك لهذه العلة، والفرض هو التقدير في اللغة^(٢) وفصل ما بينه وبين الواجب، بأن الفرض واجب بجعل جاعل، لأنه فرضه على صاحبه، كما أنه أوجبه عليه^(٣).

والواجب قد يكون واجباً من غير جعل جاعل، كوجوب شكر المنعم فجري مجرى دلالة الفعل على الفاعل، في أنه يدل من غير جعل جاعل له يدل، كما تجعل العلامة الوضعية تدل، إلا أن الله تعالى لا يوجب على العبد إلا ما له صفة الوجوب في نفسه، كما لا يرغبه إلا فيما هو مرغوب فيه في نفسه^(٤).

١. البيت للناطقة الذيباني في مدح النعمان وبعده:

بأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب

كما في ديوانه: ١٨ دار بيروت .

٢. قارن ٧: ٤٠٤ .

٣. نفس المصدر .

٤. نفس المصدر .

ومعنى الآيات الدلالات على ما يحتاج إلى علمه، ممّا قد بيّنه الله في هذه السورة^(١).

فصل

قوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ الآية: ٢.

أمر الله تعالى في هذه الآية أن يجلد الزاني والزانية إذا لم يكونا محصنين ﴿كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ وإذا كانا محصنين أو أحدهما كان على المحصن الرجم بلا خلاف^(٢).

وعندنا أنّه يجلد أولاً مائة جلدة ثم يرجم، وفي أصحابنا من خص ذلك بالشيخ والشيخة إذا زنيا وكانا محصنين، فأما إذا كانا شايعين محصنين لم يكن عليهما غير الرجم، وهو قول مسروق، وفي ذلك خلاف ذكرناه في الخلاف^(٣).

والاحصان الذي يوجب الرجم هو أن يكون له فرج يغدو إليه ويروح على وجه الدوام وكان حراً^(٤).

فأما العبد فلا يكون محصناً، وكذلك الأمة لا تكون محصنة، وإنما عليهما نصف الحد خمسون جلدة^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٧: ٤٠٥.

٣. قارن ٧: ٤٠٥، وراجع الخلاف ٥: ٣٦٦ ط مؤسسة النشر الإسلامي.

٤. قارن ٧: ٤٠٥.

٥. نفس المصدر.

والحر متى كان عنده زوجة حرة يتمكن من وطئها، مخلى بينه وبينها، سواء كانت حرة أو أمة، أو كانت عنده أمة يطأها بملك اليمين، فإنه متى زنا وجب عليه الرجم^(١).

ومتى كان غائباً عن زوجته شهراً فصاعداً، أو كان محبوساً، أو هي محبوسة هذه المدة، فلا احصان^(٢).

ومن كان محصناً على ما قدمناه، ثم ماتت زوجته أو طلقها، بطل احصانه، وفي جميع ذلك خلاف بين الفقهاء، ذكرناه في الخلاف^(٣).

والخطاب بهذه الآية وإن كان متوجهاً إلى الجماعة، فالمراد به الأئمة بلا خلاف، لأنه لا خلاف أنه ليس لأحد إقامة الحدود إلا للإمام، أو من يوكّله الإمام، ومن خالف فيه لا يعتد بخلافه^(٤).

والزنا هو وطء المرأة في الفرج من غير عقد شرعي، ولا شبهة عقد، مع العلم بذلك أو غلبة الظن، وليس كلّ وطء حرام زناً، لأنه قد يطأ في الحيض والنفس وهو حرام ولا يكون زناً، وكذلك لو وجد امرأة على فراشه، فظنّها زوجته أو أمته فوطئها لم يكن ذلك زناً لأنه شبهة^(٥).

وقوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ قال مجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وسعيد بن جبير، وإبراهيم: معناه لا تمنعكم الرأفة والرحمة من إقامة

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٤٠٥، وراجع الخلاف ٥: ٣٧١.

٤. قارن ٧: ٤٠٦.

٥. نفس المصدر.

الحد^(١)، وقال الحسن وسعيد بن المسيب وعامر الشعبي وحماد: لا يمنعكم ذلك من الجلد الشديد^(٢).

وقوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال مجاهد وإبراهيم: الطائفة رجل واحد^(٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام: «أَنَّهُ أَقْلُهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ»^(٤)، وقال عكرمة: الطائفة رجلان فصاعداً^(٥).

وقال قتادة والزهري: هم ثلاثة^(٦).

وقال الجبائي: من زعم أن الطائفة أقل من ثلاثة، فقد غلط من جهة اللغة، ومن جهة المراد بالآية من احتياطه بالشهادة^(٧).

وقوله: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ الآية، قيل: إنها نزلت على سبب، وذلك أنه استأذن رجل من المسلمين النبي عليه السلام أن يتزوج امرأة من أصحاب الرايات كانت تسافح، فأنزل الله تعالى الآية^(٨).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٧: ٤٠٦.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ٤٠٦.

٥. قارن ٧: ٤٠٦.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

٨. قارن ٧: ٤٠٧.

وروي ذلك عن عبد الله بن عمر، وابن عباس وقال: حرّم الله نكاحهنّ على المؤمنين، فلا يتزوَّج بهنّ إلا زان أو مشرك^(١).

وقال مجاهد وقتادة والزهري والشعبي: إنّ التي استؤذن فيها ((أم)) مهزول^(٢).

وقيل: النكاح - ها هنا - المراد به الجماع، والمعنى الاشتراك في فعل الزنا، يعني أنّهما يكونان جميعاً زانيتين، ذكر ذلك عن ابن عباس، وقد ضعف الطبري ذلك، وقال: لا فائدة في ذلك، ومن قال بالأوّل قال: الآية وإن كان ظاهرها الخبر، فالمراد به النهي^(٣).

وقال سعيد بن جبير: معناه أنّها زانية مثله، وهو قول الضحاك وابن زيد^(٤). وقال سعيد بن المسيب: وكان هذا حكم كلّ زانٍ وزانية، ثم نسخ بقوله: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ﴾ وبه قال أكثر الفقهاء^(٥).

وقال الرماني: وجه التأويل أنّهما شريكان في الزنا، لأنّه لا خلاف أنّه ليس لأحد من أهل الصلاة أن ينكح زانية، وأنّ الزانية من المسلمات حرام على كلّ مسلم من أهل الصلاة، فعلى هذا له أن يتزوَّج بمن كان زنى بها^(٦).

١. نفس المصدر .

٢. قارن ٧: ٤٠٧، وما بين القوسين من المصدر .

٣. قارن ٧: ٤٠٧ .

٤. نفس المصدر .

٥. قارن ٧: ٤٠٧، والآية في سورة النور: ٣٢ .

٦. قارن ٧: ٤٠٨ .

وعن أبي جعفر: أن الآية نزلت في أصحاب الرايات، وأما غيرهن فإنه يجوز أن يتزوجها، وإن كان الأفضل غيرها ويمنعها من الفجور، وفي ذلك خلاف بين الفقهاء^(١).

فصل

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿الآيتان: ٤ - ٥.﴾

قال سعيد بن جبیر: هذه الآية نزلت في عائشة^(٢).

وقال الضحاك: هي في نساء المؤمنين، وهو الأولى لأنه أعم فائدة، وإن كان يجوز أن يكون سبب نزولها في عائشة، لكن لا تقصر الآية على سببها^(٣).

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ أي: يقذفون العفاف من النساء بالزنا والفجور، وحذف قوله ﴿بالزنا﴾ لدلالة الكلام عليه ولم يقيموا على ذلك أربعة من الشهود، فإنه يجب على كل واحد منهم ثمانون جلدة، وقال الحسن: يجلد وعليه ثيابه، وهو قول أبي جعفر عليه السلام^(٤).

١. قارن ٧: ٤٠٨.

٢. قارن ٧: ٤٠٨.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

ويجلد الرجل قائماً والمرأة قاعدة^(١)، وقال إبراهيم: ترمى عنه ثيابه^(٢) ((وعندنا ترمى عنه ثيابه في حد الزنا))^(٣).

وقوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ نهي من الله تعالى عن قبول شهادة القاذف على التأييد، وحكم عليهم بأنهم فساق^(٤).

ثم استثنى من ذلك ﴿الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾^(٥).

واختلفوا في الاستثناء إلى من يرجع، فقال قوم: أنه من الفاسقين، فإذا تاب قبلت شهادته حدًّا ولم يحد^(٦)، وهو قول سعيد بن المسيب^(٧)، وقال: إن عمر^(٨) قال لأبي بكر: إن تبت قبلت شهادتك، فأبى أبو بكر أن يكذب نفسه، وهو قول مسروق والزهري والشعبي وعطاء وطاووس ومجاهد وسعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز والضحاك، وهو قول أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام، وبه قال الشافعي من الفقهاء وأصحابه، وهو مذهبنا^(٩).

وقال الزجاج: يكون تقديره: ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً إلا الذين تابوا.

١. قارن ٧: ٤٠٩.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٤٠٩، وما بين القوسين من كلام ابن إدريس.

٤. قارن ٧: ٤٠٩.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

٨. هذا في شهادة أبي بكر على المغيرة بن شعبة بالزنا وشهد معه آخران إلا أن زياد بن أبيه نكل عن الشهادة والقصة معروفة راجع عنها.

٩. قارن ٧: ٤٠٩.

ثم وصفهم بقوله: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

وقال شريح، وسعيد بن المسيب، والحسن وإبراهيم: الاستثناء من الفاسقين دون قوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾.

وبه قال أهل العراق، قالوا: فلا يجوز قبول شهادة القاذف أبداً^(٢).

ولا خلاف في أنه إذا لم يحد - بأن تموت المقدوفة، ولم يكن هناك مطالب ثم تاب - أنه يجوز قبول شهادته، وهذا يقتضي الاستثناء من المعنيين على تقدير ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ في قذفهم مع امتناع قبول شهادتهم إلا التائبين منهم^(٣).

والحد حق للمقدوفة لا يزول بالتوبة.

وقال قوم: توبته متعلقة بإكذابه نفسه، وهو المروي في أخبارنا، وبه قال الشافعي^(٤).

وقال أبو حنيفة: ومتى كان القاذف عبداً أو أمة، فعليه أربعون جلدة^(٥).

وقد روى أصحابنا أن الحد ثمانون في الحر والعبد، فظاهر العموم يقتضي ذلك، وبه قال عمر بن عبد العزيز والقاسم بن عبد الرحمن^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٧: ٤١٠.

فصل

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَمِيسَةُ أَنْ لَعَنْتَ اللَّهَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذَّابِينَ * وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذَّابِينَ * وَالْخَمِيسَةُ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ الآية: ٦ - ٩.

معنى الآية: أن من قذف محصنة حرة مسلمة بفاحشة من الزنا ولم يأت بأربعة شهداء جلد ثمانين، ومن رمى زوجته بالزنا تلاعنا^(١).

والملاعنة أن يبدأ الرجل فيحلف بالله الذي لا إله إلا هو أنه صادق فيما رماها به، ويحتاج أن يقول: أشهد بالله أنني صادق، لأن شهادته أربع مرات تقوم مقام أربعة شهود في دفع الحد عنه، ثم يشهد الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به^(٢).

وإذا جحدت المرأة ذلك، شهدت أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين فيما رماها به، وتشهد الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ثم يفرق بينهما ولا يجتمعان أبداً، كما فرق رسول الله ﷺ بين هلال بن أمية

١. قارن ٧: ٤١٢.

٢. نفس المصدر.

وزوجته، وقضى أن الولد لها ولا يدعى لأب، ولا ترمى هي ولا يرمى ولدها^(١).

وقال ابن عباس: متى لم تحلف رجمت، وإن لم يكن دخل بها جلدت الحد ولا ترجم إذا لم تلتعن^(٢).

وعند أصحابنا أنه لا لعان بينهما ما لم يدخل بها، فمتى رماها قبل الدخول وجب عليه حد القاذف ولا لعان بينهما^(٣).

وفرقة اللعان تحصل عندنا بتمام اللعان من غير حكم الحاكم، وتمام اللعان إنما يكون إذا تلاعن الرجل والمرأة معاً^(٤).

وقال قوم: تحصل بلعان الزوج والفرقة^(٥).

وقال أهل العراق: لا تقع الفرقة إلا بتفريق الحاكم بينهما^(٦).

ومتى رجمت عند النكول ورثها الزوج، لأن زناها لا يوجب التفرقة بينهما، وإذا جلدت - إذا لم يكن دخل بها - فهما على الزوجية، وذلك يدل على أن الفرقة إنما تقع بلعان الرجل والمرأة معاً^(٧).

١- قارن ٧: ٤١٢، وهلال بن أمية صحابي من الأنصار من الأوس، شهد بدرًا وأحداً، وكان قديم الإسلام، وكان يكسر أصنام بني واقف. وهم قومه من الأوس. وكانت معه رابنتهم يوم الفتح، وهو الذي قذف امرأته بشريك بن سحماء، وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم وذكرهم في سورة براءة، وهم هلال، وكعب بن مالك، ومراة بن الربيع. تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢: ١٣٩.

٢- قارن ٧: ٤١٢.

٣- نفس المصدر.

٤- نفس المصدر.

٥- نفس المصدر.

٦- نفس المصدر.

٧- نفس المصدر.

قال الحسن: وإن تمت الملاءنة بينهما ولم يكن دخل بها، فلها نصف الصداق، لأن الفرقه جاءت من قبله، وإذا تم اللعان اعتدت عدة المطلقة عند جميع الفقهاء، ولا يتزوجها أبداً بلا خلاف^(١).

فصل

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ الآية: ١٩.

أخبر الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ﴾ ويؤثرون ﴿أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ أي: تظهر الأفعال القبيحة ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: موجه جزاء على ذلك ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بإقامة الحد عليه ((و)) في ﴿الْآخِرَةِ﴾ بعذاب النار ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ذلك وغيره ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أن الله تعالى يعلم ذلك^(٢).

وفي الآية دلالة على أن العزم على الفسق فسق، لأنه إذا ألزمه الوعيد على محبة شياع الفاحشة من غيره، فإذا أحبها من نفسه وأرادها كان أعظم^(٣).

فصل

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الآية: ٢٣.

١. قارن ٧: ٤١٣.

٢. قارن ٧: ٤١٩.

٣. نفس المصدر.

قال قوم: هي في عائشة خاصة لما رأوها نزلت فيها توهموا أنَّ الوعيد خاص في من قذفها^(١).

وهذا ليس بصحيح، وذلك أنَّ عند أكثر العلماء المحصلين أنَّ الآية إذا نزلت على سبب لا يجب قصرها عليه، كآية اللعان وآية القذف، وآية الظهار وغير ذلك، ومتى حملت على العموم دخل من قذف عائشة في جملتها^(٢).

فصل

قوله: ﴿الْخَيْثَاتُ لِلْخَيْثِثِ وَالْخَيْثُثُ لِلْخَيْثَاتِ وَالْطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ الآية: ٢٦.

قيل في معنى الآية أربعة أقوال:

أحدها: قال ابن عباس ومجاهد والحسن والضحاك: معناه ﴿الْخَيْثَاتُ﴾ من الكلم ﴿لِلْخَيْثِثِ﴾ من الرجال، أي: صادرة منهم^(٣).

الثاني: في رواية أخرى عن ابن عباس: أنَّ ﴿الْخَيْثَاتُ﴾ من السيئات ﴿لِلْخَيْثِثِ﴾ من الرجال^(٤).

الثالث: قال ابن زيد: ﴿الْخَيْثَاتُ﴾ من النساء ﴿لِلْخَيْثِثِ﴾ من الرجال، كأنه ذهب إلى اجتماعهما للمشاكلة بينهما^(٥).

١. قارن ٧: ٤٢٢.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٤٢٤.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

الرابع: قال الجبائي: «الْخَيْثَاتُ» من النساء الزواني «لِلْخَيْثِينَ» من الرجال الزناة على التعبد الأول^(١).

والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات عكس ذلك على السواء في الأقوال الأربعة^(٢).

والخبث الفاسد الذي يتزايد في الفساد تزايد النامي في النبات، ونقيضه الطيب، والحرام كله خبيث، والحلال كله طيب^(٣).

فصل

قوله: «يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» الآية: ٢٧.

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين ينهاهم أن يدخلوا بيوتاً لا يملكونها، وهي ملك غيرهم إلا بعد أن يستأنسوا، ومعناه يستأذنوا^(٤).

وقال مجاهد: حتى تستأنسوا بالتنحج والكلام الذي يقوم مقام الاستئذان^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ٤٢٦.

٥. نفس المصدر.

وقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ يعني إن لم تعلموا في البيوت أحداً يأذن لكم في الدخول ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾ لأنه ربما كان فيها ما لا يجوز أن تطلعوا عليه، إلا بعد أن يأذن أربابها في ذلك^(١).

وقوله: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ أي: لا تدخلوا إذا قيل لكم لا تدخلوا^(٢).

ثم قال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أي: حرج وإثم ﴿أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ أي: منافع^(٣).

وقيل في معنى هذه البيوت أربعة أقوال:

أحدها: قال قتادة: هي الخانات، فإن فيها استمتاعاً لكم من جهة نزولها، لا من جهة الأثاث الذي لكم فيها^(٤).

وقال محمد بن الحنفية: هي الخانات التي تكون في الطريق مسبلة، ومعنى ﴿غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ أي لا ساكن لها معروف^(٥).

وقال عطاء: هي الخرابات للغائط والبول^(٦).

((وقال ابن زيد: هي بيوت التجار التي فيها أمتعة الناس وقال قوم: هي بيوت مكة وقال مجاهد: هي مناخات الناس في أسفارهم يرتفقون بها))^(٧).

١. نفس المصدر .

٢. قارن ٧: ٤٢٧ .

٣. نفس المصدر .

٤. نفس المصدر .

٥. نفس المصدر .

٦. نفس المصدر .

٧. ما بين القوسين من المصدر .

وقال قوم: هو جميع ذلك حملة على عمومه، لأن الاستئذان إنما جاء لكلا يهجم على ما لا يجوز من العورة، وهو الأقوى لأنه أعم فائدة^(١).

فصل

قوله: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ﴾
الآية: ٣١.

لما أمر الله الرجال المؤمنين في الآية الأولى بغض أبصارهم من عورات النساء، وأمرهم بحفظ فروجهم عن ارتكاب الحرام، أمر المؤمنات في هذه الآية أيضاً من النساء بغض أبصارهن عن عورات الرجال، وما لا يحل النظر إليه، وأمرهن أن يحفظن فروجهن إلا من أزواجهن على ما أباحه الله لهم، ويحفظن أيضاً إظهارها بحيث ينظر إليها، ونهاهن عن إبداء زينتهن^(٢).

﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ قال ابن عباس: يعني القرطين، والقلادة، والسوار، والخلخال، والمعصدة، والنحر، فإنه يجوز لها إظهار ذلك لغير الزوج، فأما الشعر فلا يجوز أن تبديه إلا لزوجها^(٣).

١. قارن ٧: ٤٢٧.

٢. قارن ٧: ٤٢٩.

٣. نفس المصدر.

فالزينة المنهي عن إبدائها زيتان: فالظاهرة الثياب، والخفية الخلخالان والقرطان والسواران، في قول ابن مسعود^(١).

وقال إبراهيم: الظاهر الذي أبيح الثياب فقط^(٢).

وعن ابن عباس - في رواية أخرى - أنَّ الذي أبيح الكحل، والخاتم، والحذاء، والخضاب في الكف^(٣). وقال قتادة: الكحل والسوار والخاتم^(٤)، وقال عطاء: الكفان والوجه^(٥).

وقال الحسن: الوجه والثياب^(٦).

وقال قوم: كل ما ليس بعورة يجوز إظهاره، وأجمعوا أنَّ الوجه والكفين ليسا من العورة، لجواز إظهاره في الصلاة، والأحوط قول ابن مسعود والحسن وبعده قول إبراهيم^(٧).

وقوله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ فالخمار غطاء رأس المرأة المنسبل على جبينها وجمعه خُمُر^(٨).

ثم كرر النهي عن إظهار الزينة تأكيداً وتغليظاً، واستثنى من ذلك الأزواج وآباء النساء وإن علوا، أو آباء الأزواج، وأبناءهم، أو أخوانهن، أو بني

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. قارن ٧: ٤٣٠.

٨. نفس المصدر.

أخواتهن، أو بني أخواتهن، أو نسائهن يعني نساء المؤمنين دون نساء الكافرين، إلا إذا كانت أمه وهو معنى قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ أي من الإماء في قول ابن جريج، فإنه لا بأس بإظهار الزينة لهؤلاء المذكورين لأنهم محارم^(١).

وقوله: ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ قال ابن عباس: هو الذي يتبعك ليصيب من طعامك ولا حاجة له في النساء وهو الأبله^(٢).

وقال قوم: هو الطفل الذي لا إرب له في النساء لصغره^(٣).

وقيل: هو العنين، ذكره عكرمة والشعبي^(٤)، وقيل: هو المجبوب^(٥)،

وقيل: هو الشيخ الهم^(٦).

والاربة الحاجة، وهي فعلة من الإرب، كالمشية من المشي، والجلسة من

الجلوس، وقد أربت لكذا آرب له أرباً إذا احتجت إليه^(٧).

فصل

قوله: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ

وَأِمَائِكُمْ^٤ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ^٥ وَاللَّهُ وَاسِعٌ

عَلِيمٌ﴾ الآية: ٣٢.

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

هذا خطاب من الله تعالى للمكلفين من الرجال يأمرهم الله تعالى أن يزوجوا الأيامي، اللواتي لهم عليهن ولاية، وأن يزوجوا الصالحين المستورين، الذين يفعلون الطاعات من الممالك والإماء إذا كانوا ملكاً لهم^(١).

والأيامي جمع أيم، وهي المرأة التي لا زوج لها، سواء كانت بكرًا أو ثيبًا^(٢)، ويقال للرجل الذي لا زوجة له: أيم أيضاً، ووزن أيم فعيل بمعنى فعيلة فجمعت كجمع يتيمة ويتامى^(٣)، وقال جميل:

أحب الأيامي إذ بشينة أيم وأحببت لما أن غنيت الغوانيا^(٤)

وقال قوم: الأيم التي مات زوجها، ومنه قوله عليه السلام: «والأيم أحق بنفسها» يعني الثيب^(٥)، ومعنى «وَأَنْكِحُوا» زوّجوا، يقال: نكح إذا تزوج، وأنكح غيره إذا زوجه^(٦).

وقيل: إن الأمر بتزويج الأيامي إذا أردن ذلك أمر فرض، والأمر بتزويج الأمة إذا أرادت ندب، وكذلك العبد^(٧).

وقوله: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ معناه: لا تمتنعوا من إنكاح المرأة أو الرجل إذا كانا صالحين لأجل فقرهما، وقلة ذات

١. قارن ٧: ٤٣٢.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ٤٣٢، والشعر في ديوان جميل: ٤٨.

٥. الحديث في الموطأ ٢: ٥٢٤ في النكاح باب استئذان البكر، وفي صحيح مسلم في النكاح باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت.

٦. قارن ٧: ٤٣٢.

٧. نفس المصدر.

أيديهم، فإنهم وإن كانوا كذلك، فإن الله يغنيهم من فضله، فإن الله واسع المقدر، كثير الفضل، عليم بأحوالهم^(١).

وقال قوم: معناه إن يكونوا فقراء إلى النكاح يغنيهم الله بذلك عن الحرام، فعلى الأول تكون الآية خاصة في الأحرار، وعلى الثاني عامة في الأحرار والمماليك^(٢).

وقوله: ﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أمر من الله تعالى لمن لا يجد السبيل إلى أن يتزوج بأن لا يجد طولاً له من المهر، ولا يقدر على القيام بما يلزمه من النفقة والكسوة أن يتعفف، ولا يدخل في الفاحشة ويصبر، حتى يغنيه الله من فضله^(٣).

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ معناه: إن الإنسان إذا كانت له أمة أو عبد يطلب المكاتب، وهي أن يقوم على نفسه، وينجم عليه، ليؤدي قيمة نفسه إلى سيده، فإنه يستحب للسيد أن يجيبه إلى ذلك ويساعده عليه، لدلالة قوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ وهذا أمر ترغيب، بلا خلاف عند الفقهاء^(٤).

وقال عمرو بن دينار وعطاء والطبري: هو واجب عليه إذا طلب^(٥).
وصورة المكاتب أن يقول الإنسان لعبده أو أمتة: قد كاتبتك على أن تعطيني كذا وكذا ديناراً أو درهماً في نجوم معلومة، على أنك إذا أذيت ذلك

١- نفس المصدر.

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر.

٤- قارن ٧: ٤٣٣.

٥- نفس المصدر.

فأنت حر، فيرضى العبد بذلك ويكاتبه عليه، ويشهد بذلك على نفسه، فمتى أدى مال الكتابة في النجوم التي سماها صار حرّاً، وإن عجز عن أداء ذلك، كان لمولاه أن يرده في الرق^(١).

وعندنا يعتق منه بحساب ما أدى، ويبقى مملوكاً بحساب ما بقي عليه إذا كانت الكتابة مطلقة، فإن كانت مشروطة فإنه متى عجز رده في الرق، فمتى عجز جاز له رده في الرق^(٢).

والخير الذي يعلم منه هو القوة على التكسب وتحصيل ما يؤدي به مال الكتابة^(٣).

واختلفوا في الأمر بالكتابة مع طلب المملوك لذلك، وعلم مولاه أن فيه خيراً فقال عطاء: هو على الفرض^(٤).

وقال مالك والثوري وابن زيد: هو على الندب، وهو مذهبنا^(٥).

فصل

قوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية: ٣٥.

قيل في معناه قولان:

أحدهما: الله هادي أهل السماوات والأرض، ذكره ابن عباس في رواية

وأنس^(١).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ٤٣٤.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٧: ٤٣٦.

والثاني: أنه منور السماوات والأرض بنجومها وشمسها وقمرها^(١).

ضرب الله المثل لنوره الذي هو هدايته في قلوب المؤمنين بالمشكاة، وهي الكوة التي لا منفذ لها إذا كان فيها مصباح وهو السراج^(٢).

فقال: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ أي يشتعل من دهن شجرة مباركة وهي الزيتون ((الشامية)) قيل: لأن زيتون الشام أبرك، وقيل: وصفه بالبركة لأن الزيتون يورق من أوله إلى آخره^(٣).

وقوله: ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قال ابن عباس: في رواية: معناه لا شرقية بشروق الشمس عليها فقط، ولا غربية بغروبها عليها فقط، بل هي شرقية وغربية يأخذ حظها من الأمرين، فهو أجود لزيتها^(٤).

وقيل: معناه أنها وسط الشجر، وقال قتادة: هي صاحبة للشمس^(٥).

فصل

قوله: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [يُخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ] الآية: ٣٧.

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٧: ٤٣٧.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ٤٣٨.

٥. نفس المصدر.

أي: يخافون أهوال يوم تتقلب فيه القلوب من عظم أهواله، والأبصار من شدة ما يعاينه^(١).

وقيل: تتقلب القلوب ببلوغها الحناجر، وتتقلب الأبصار بالعمى بعد البصر^(٢).

وقال البلخي: معناه إن القلوب تنتقل من الشك التي كانت عليه إلى اليقين والإيمان، وإن الأبصار تتقلب عما كانت عليه، لأنها تشاهد من أهوال ذلك اليوم ما لم تعرفه، ومثله قوله: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ الآية^(٣).

ثم أخبر تعالى بأنه: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي من كثرت لا يحسب، ويجوز أن يكون المراد بغير مجازاة على عمل، بل تفضل منه تعالى، والثواب لا يكون إلا بحساب، والتفضل يكون بغير حساب^(٤).

وقوله: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي سريع المجازاة، لأن كل ما هو آت قريب سريع^(٥).

وقال الجبائي: لأنه يحاسب الجميع في وقت واحد، وذلك يدل على أنه لا يتكلم بآلة وأنه ليس بجسم، لأنه لو كان متكلماً بآلة لما يأتي ذلك إلا في أزمان كثيرة^(٦)، ثم شبه تعالى أفعال الكافر بمثال آخر، فقال: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾^(٧).

١. قارن ٧: ٤٤١.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٧: ٤٤١، والآية في سورة ق: ٢٢.

٤. قارن ٧: ٤٤٢.

٥. قارن ٧: ٤٤٣.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَن جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ الآية: ٤٣.

معنى من الأولى لا ابتداء الغاية، لأن السماء ابتداء الإنزال بالمطر، والثانية للتبعيض، لأن البرد بعض الجبال التي في السماء، والثالثة لتبيين الجنس، لأن جنس الجبال جنس البرد^(١).

وقيل: في السماء جبال برد مخلوقة في السماء^(٢).

وقال البلخي: يجوز أن يكون البرد يجتمع في السحاب كالجبال ثم ينزل منها^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ

بَطْنِهِ ۚ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية: ٤٥.

أخبر الله تعالى أنه خالق كل شيء يدب من الحيوان من ماء، ثم فصله، فقال: ﴿مِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾ كالحيات والسمك والدود وغير ذلك^(٤).

١. قارن ٧: ٤٤٦.

٢. قارن ٧: ٤٤٧.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٧: ٤٤٨.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كالطير وابن آدم وغير ذلك ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كالبهائم والسباع وغير ذلك، ولم يذكر ما يمشي على أكثر من أربع، لأنه كالذي يمشي على أربع في مرأى العين، فترك ذكره لأن العبرة تكفي بذكر الأربع^(١).

وقال البلخي: لأن عند الفلاسفة أن ما زاد على الأربع لا يعتمد عليها، واعتماده على أربع فقط^(٢).

وإنما قال ﴿مِنْ مَاءٍ﴾ لأن أصل الخلق من ماء، ثم قلب إلى النار فخلق الجن منها، وإلى الريح فخلقت الملائكة منها، ثم إلى الطين فخلق آدم عليه السلام منه^(٣).

ودليل أن أصل الحيوان كله الماء قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(٤) وإنما قال ﴿مِنْهُمْ﴾ تغليلاً لما يعقل على ما لا يعقل، وقيل: ﴿مِنْ مَاءٍ﴾ أي من نطفة^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ هُمُ الْخَاطِئُونَ

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ
تَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ﴿٤٧-٥٠﴾

فهؤلاء المنافقون ﴿إذا﴾ دعوا إلى رسول الله ليحكم الله بينهم في شيء،
اختلفوا فيه فامتنعوا ظمناً لأنفسهم وكفراً بنبيهم، ففضحهم الله بما أظهر من
جهلهم ونفاقهم^(١).

وقيل: أنها نزلت في رجل من المنافقين كان بينه وبين رجل من اليهود
حكومة، فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب الأشرف^(٢).
وقيل: أنها نزلت في عليّ^(٣) ورجل من بني أمية، دعاه عليّ إلى رسول
الله ودعاه الأموي إلى اليهودي، وكان بينهما منازعة في ماء وأرض^(٤).

وحكى البلخي أنه كانت بين عليّ وعثمان منازعة في أرض اشتراها من
عليّ، فخرجت فيها أحجار وأراد ردها بالعيب، فلم يأخذها، فقال: بيني وبينك
رسول الله، فقال الحكم بن أبي العاص: إن حاكمته إلى ابن عمه حكم له، فلا
تحاكمه إليه، فأنزل الله الآية^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

١. قارن ٧: ٤٥٠.

٢. نفس المصدر، والخبر في بحار الأنوار ٩: ١٢٩ ط الوفاء بيروت.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر، والخبر أيضاً في بحار الأنوار ٩: ١٢٩.

لَيْسَتْ خَلِيفَتُهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ
هُمُ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴿٥٥﴾

استدل الجاثي ومن تابعه على إمامة الخلفاء الأربعة بهذه الآية، بأن قال:
الاستخلاف المذكور في الآية لم يكن إلا لهؤلاء، لأن التمكين المذكور في
الآية إنما حصل في أيام أبي بكر وعمر، لأن الفتوح كانت في أيامهم، فأبو بكر
فتح بلاد العرب وطرفاً من بلاد العجم، وعمر فتح مدائن كسرى إلى حد
خراسان وسجستان وغيرها.

وإذا كان التمكين والاستخلاف هاهنا ليس هو إلا لهؤلاء الأئمة
وأصحابهم، علمنا أنهم محقون^(١).

والكلام على ذلك من وجوه:

أحدها: أن الاستخلاف هاهنا ليس هو الإمارة والخلافة، بل المعنى هو
إبقاؤهم في أثر من مضى من القرون، وجعلهم عوضاً منهم وخلفاً، كما قال:
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢) وقال: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ
عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) وقال: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾^(٤).

وإذا ثبت ذلك فلا استخلاف والتمكين الذي ذكره الله في الآية كانا في
أيام النبي ﷺ حين قمع الله أعداءه وأعلى كلمته، ويسر ولايته، وأظهر دعوته،

١. قارن: ٧: ٤٥٦.

٢. فاطر: ٣٩.

٣. الأعراف: ١٢٩.

٤. الأنعام: ١٣٣.

وأكمل دينه^(١) ونعوذ بالله أن نقول: لم يمكن الله دينه لئيه في حياته حتى تلافى ذلك متلاف بعده^(٢).

وليس كل التمكين كثرة الفتوح والغلبة على البلدان، لأن ذلك يوجب أن دين الله لم يتمكن بعد إلى يومنا هذا، لعلمنا ببقاء ممالك للكفر كثيرة لم يفتحها بعد المسلمون، ويلزم على ذلك إمامة معاوية وبنو أمية، لأنهم تمكنوا أكثر من تمكن أبي بكر وعمر، وفتحوا بلاداً لم يفتحوها^(٣).

ولو سلمنا أن المراد بالاستخلاف الإمامة، للزم أن يكون منصوباً عليهم، وذلك ليس بمذهب أكثر مخالفيها، وإن استدّلوا بذلك على صحة إمامتهم، احتاجوا أن يدلّوا على ثبوت امامتهم بغير الآية، وأنهم خلفاء للرسول حتى تناولهم الآية^(٤).

فإن قالوا: المفسرون ذكروا ذلك^(٥).

١. قارن ٧: ٤٥٦.

٢. قارن ٧: ٤٥٧.

٣. نفس المصدر. وجاء في الميزان ١٨: ١٥٣ في تفسير الآية: وقد اشتد الخلاف بين المفسرين في الآية فقيل: إنها واردة في أصحاب النبي ﷺ وقد أنجز الله وعده لهم باستخلافهم في الأرض وتمكين دينهم وتبديل خوفهم أماناً بما أعز الإسلام بعد رحلة النبي ﷺ. في أيام الخلفاء الراشدين والمراد باستخلافهم استخلاف الخلفاء الأربعة... وقيل: هي عامة لأمة محمد ﷺ والمراد باستخلافهم... إيرانهم الأرض... وقد أنجز الله وعده بما نصر الإسلام والمسلمين بعد الرحلة ففتحوا الأمصار وسخروا الأقطار، وعلى القولين الآية من ملاحم القرآن.

وقيل: إنها في المهدي الموعود عليه السلام الذي تواترت الأخبار على أنه سيظهر فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً... .

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

قلنا: لم يذكر جميع المفسرين ذلك، فإن مجاهدًا قال: هم أمة محمد ﷺ^(١)، وعن ابن عباس وغيره قريب من ذلك^(٢).

وقال أهل البيت ﷺ: «إن المراد بذلك المهدي»، لأنه يظهر بعد الخوف، ويتمكن بعد أن كان مغلوباً، فليس في ذلك إجماع المفسرين^(٣).
وقد استوفينا ما يتعلق بالآية في كتاب الإمامة، فلا نطوّل بذكره ها هنا^(٤).

فصل

قوله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَفْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوَرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر. قال الآلوسي في روح المعاني ١٨: ١٨٦ ط النيزية: وزعم الطبرسي أن الخطاب للنبي وأهل بيته صلى الله تعالى عليه وسلم فهم الموعودون بالاستخلاف وما معه، ويكفي في ذلك تحقق الموعود في زمن المهدي رضي الله تعالى عنه... وهذا على ما فيه ممّا يأباه السياق والأخبار الصحيحة الواردة في سبب النزول وأخبار الشيعة لا يخفى حالها لاسيما على من وقف على التحفة الاثني عشرية، نعم ورد من طريقنا ما يستأنس به لهم في هذا المقام... وهو ما أخرجه عبد بن حميد عن عطية أنه عليه الصلاة والسلام قرأ الآية فقال: أهل البيت هاهنا، وأشار يده إلى القبلة، وزعم بعضهم نحو ما سمعت عن الطبرسي إلا أنه قال هي في حق جميع أهل البيت علي كرم الله تعالى وجهه وسائر الأنمة الاثني عشر، وتحقق ذلك فيهم زمن الرجعة حين يقوم القائم رضي الله تعالى عنه....

ولم يترك الآلوسي ما حكاه دون تعقيب ومناقشة، شأنه شأن الآخرين لم يستمرئ طعم الإيمان على حقيقته.

٤. نفس المصدر.

بَعْدَهُنَّ طَوَّفُونَّ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
 اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

يقول الله تعالى: مروا عبيدكم وإماءكم أن يستأذنوا عليكم إذا أرادوا
 الدخول إلى مواضع خلواتكم^(١).

وقال ابن عباس وأبو عبد الرحمن: الآية في النساء والرجال من العبيد^(٢).
 وقال ابن عمر: هي في الرجال خاصة^(٣).

وقال الجبائي: الاستئذان واجب على كل بالغ في كل حال، ويجب على
 الأطفال في هذه الأوقات الثلاثة بظاهر هذه الآية^(٤).

ثم قال: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ يعني المسنات من
 النساء اللاتي قعدن عن التزويج، لأنه لا يرغب في تزويجهن، وقيل: هن اللاتي ارتفع
 حيضهن وقعدن عن ذلك لا يطمعن في النكاح، أي لا يطمعن في جماعهن لكبرهن^(٥).
 ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ وقيل: هو القناع الذي فوق
 الخمار، وهو الجلباب والرداء^(٦).

وقوله: ﴿غَيْرَ مُتَّبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ أي: لا يقصدن بوضع الجلباب اظهار
 محاسنها وما ينبغي أن تستره^(٧).

١. قارن ٧: ٤٦٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٧: ٤٦١.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ الآية: ٦١.

قال الجبائي: الآية منسوخة بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾^(١) ويقول النبي ﷺ: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه»^(٢) والذي روي عن أهل البيت عليهم السلام أنه لا بأس بالأكل لهؤلاء من بيوت من ذكرهم الله بغير اذنهم، قدر حاجتهم من غير إسراف^(٣).

وقوله: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ قال الفراء: لما نزل قوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾ ترك الناس مؤاكلة الصغير والكبير ممن أذن الله في الأكل معه، فقال: وليس عليكم في أنفسكم في عيالكم أن تأكلوا منهم ومعهم إلى قوله: ﴿أَوْ صَدِيقَكُمْ﴾ أي: بيوت صديقكم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ أي: بيوت عبيدكم وأموالهم^(٤).

وقال ابن عباس: معنى ﴿مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ هو الوكيل ومن جرى مجراه^(٥).

١. قارن ٧: ٤٦٣، والآية في سورة الأحزاب: ٥٣.

٢. الحديث الشريف في المبسوط للرخسي ١١: ٨٦، وبدائع الصنائع ٧: ١٤٨ و ١٥٨، والخلاف للطوسي ٣: ٤٠٨، ومسنند أحمد ٥: ٧٢، وتلخيص الحبير ٣: ٤٥.

٣. قارن ٧: ٤٦٣.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

وقوله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ قال الحسن: معناه ليسلم بعضهم على بعض^(١).

وقال إبراهيم: إذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين^(٢).

وقال قوم: أراد بالبيوت المساجد^(٣).

والأولى حملة على عمومها، فأما رد السلام فهو واجب على المسلمين^(٤).
وقال الحسن: يجب الرد على المعاهد ولا يقول ورحمة الله^(٥).

فصل

قوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ الآية: ٦٣.
قيل في معناه قولان^(٦):

أحدهما: احذروا دعاءه عليكم إذا أسخطتموه، فإن دعاءه موجب، ليس كدعاء غيره، ذكره ابن عباس^(٧).

١. قارن ٧: ٤٦٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٧: ٤٦٦.

٧. نفس المصدر.

وقال مجاهد وقتادة: ادعوه بالخضوع والتعظيم وقولوا: يا رسول الله يا نبي الله، ولا تقولوا يا محمد، كما يقول بعضكم لبعض^(١).

وقوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾ معناه: أنه إذا تسلل واحد منكم من عند النبي ﷺ فإن الله عالم به^(٢).

وقال الحسن: معنى ﴿لِوَاذًا﴾ فراراً من الجهاد^(٣).

ثم حذرهم من مخالفة رسوله بقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ وإنما دخلت عن في قوله: ﴿عَنْ أَمْرِهِ﴾ لأن المعنى يعرضون عن أمره^(٤).

وفي ذلك دلالة على أن أوامر النبي ﷺ على الإيجاب، لأنها لو لم تكن كذلك لما حذر من مخالفته، وليس المخالفة هو أن يفعل خلاف ما أمره، لأن ذلك ضرب من المخالفة، وقد يكون مخالفاً بأن لا يفعل ما أمره به، ولو كان الأمر على الندب لجاز تركه وفعل خلافه^(٥).

وقوله: ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: بلية تظهر ما في قلوبهم من النفاق، والفتنة شدة في الدين تخرج ما في الضمير^(٦).



١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٧: ٤٦٧.

سورة الفرقان

فصل

قوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ الآية: ١.

معنى ﴿تَبَارَكَ﴾ تقدّس وجلّ بما لم يزل عليه من الصفات، ولا يزال كذلك ولا يشاركه فيها غيره، وأصله من بروك الطير على الماء، فكأنّه قال: ثبت فيما لم يزل ولا يزال الذي نزل الفرقان^(١).

وقال ابن عباس: تبارك ((تفاعل)) من البركة^(٢)، فكأنّه قال: ثبت بكل بركة أو حل بكل بركة^(٣).

وقال الحسن: معناه الذي تجبى البركة من قبله، والبركة الخير الكثير^(٤) والفرقان هو القرآن، يسمّى فرقاناً لأنّه يفرق بين الصواب والخطأ، والحق والباطل بما فيه^(٥).

١. قارن: ٧: ٤٧٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ الآية: ١٨.

أي: هلكى فاسدين، والبور الفاسد، يقال: بارت السلعة تبور بوراً إذا بقيت لا تشتري بقاء الفاسد الذي لا يرا^(١).
والباثر الباقي على هذه الصفة، والبور مصدر كالزور لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث.

وقيل: هو جمع باثر^(٢)، قال ابن الزبيري:
يا رسول الملوك أن لساني رائق ما فتقت إذ أنا بور^(٣)
((ونعوذ بالله من بوار الأيم))^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا * وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا * أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ الآيات: ٢٢ - ٢٤.

١. قارن ٧: ٤٧٩.

٢. نفس المصدر.

٣. الشعر لابن الزبيري قاله لما أسلم فقال البيت وبعده أبيات أخرى راجع أسد الغابة ٣: ١٦٠.

٤. الفصلة من حديث شريف ذكره الصدوق في معاني الأخبار، والكليني في الكافي ٥: ٩٣، والشيخ في التهذيب ٨: ١٨٣، وورد في المجموع للنووي ١٥: ٤٦٦ وفي الحديث أعوذ بالله من بوار الأيم.

أي: حراماً محرماً، وأصل الحجر الضيق، يقال: حَجَّرَ عليه يحجِّر حَجْراً أي ضيقاً، والحجر: الحرام لضيقه بالنهاي عنه^(١)، قال المتلمس:

حَتَّ إِلَى النخلة القصوى فقلت لها حجر حرام ألا تلك الدهاريس^(٢)

ومنه حجر القاضي عليه يحجِّر، وحجر فلان على أهله، ومنه حجر الكعبة، لأنَّه لا يدخل إليه في الطواف، وإنَّما يطاف من ورائه لتضييقه بالنهاي عنه^(٣).

وقوله: ﴿لِذِي حِجْرٍ﴾ أي لذي عقل لما فيه من التضييق في القيسح^(٤).

ومعنى ﴿وَقَدِمْنَا﴾ قال البلخي: قدم أحكامنا بذلك، وقال مجاهد: معنى ﴿قَدِمْنَا﴾ عمدنا^(٥).

والهباء غبار كالشعاع، لا يمكن القبض عليه، وقال الحسن ومجاهد وعكرمة: هو غبار يدخل الكوة في شعاع الشمس^(٦).

وقوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ معناه أن الذين يحصلون في الجنة مثابين منعمين في ذلك اليوم، مستقرهم خير من مستقر الكفار في الدنيا والآخرة^(٧).

١. قارن ٧: ٤٨٣.

٢. ديوان المتلمس: القصيدة الرابعة، وهو من الشواهد في مجاز القرآن ١: ٣٠٧، وتفسير الطبري ١: ١٤٠، واللسان (دهرس).

٣. قارن ٧: ٤٨٣.

٤. قارن ٧: ٤٨٣، والآية في سورة الفجر: ٥.

٥. قارن ٧: ٤٨٣.

٦. نفس المصدر.

٧. قارن ٧: ٤٨٤.

وقيل: إنما قال ذلك على وجه المظاهرة، بمعنى أنه لو كان لهم مستقر خير ومنفعة لكان هذا خيراً منه^(١).

﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ معناه أحسن موضع قائلة، وإن لم يكن في الجنة نوم، إلا أنه من تمهيد يصلح للنوم، لأنهم خوطبوا بما يعرفون، كما قال: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ على ما اعتادوه^(٢).

وقال البلخي: معنى ﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ أنه خير في نفسه، وحسن في نفسه، لا أنه أفضل من غيره، كما قال: ﴿وَهُوَ أَهْوَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي هو هين عليه^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾

الآية: ٣١.

قيل فيه قولان:

أحدهما: قال ابن عباس: جعل لمحمد ﷺ عدوًّا من المجرمين، كما جعل لمن قبله^(٤).

والثاني: كما جعلنا النبي يعادي المجرم مدحاً له وتعظيماً، كذلك جعلنا

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٧: ٤٨٤، والآية في سورة مريم: ٦٢.

٣. قارن ٧: ٤٨٤، والآية في سورة الروم: ٢٧.

٤. قارن ٧: ٤٨٧.

المجرم يعادي النبي ذماً له وتحقيراً^(١)، والمعنى أن الله تعالى حكم بأنه على هذه الصفة.

وقيل: جعلنا لكل نبيّ عدواً من المجرمين ببياننا أنهم أعداء، وهو كما يقال جعله لصاً أو خائناً^(٢).

وقوله: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ فالترتيل التبيين في تثبت وترسل^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَعَادًا وَثُمُودًا وَأَصْحَابَ آلِ رَسٍ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ الآية: ٣٨.

معناه: وأهلكنا هؤلاء أيضاً، يقال ((عاد)) هم القوم الذين بعث الله إليهم هوداً، و ((ثمود)) هم الذين بعث الله إليهم صالحاً^(٤).

وأصحاب الرس، قال عكرمة: الرس هو بشر رسوا فيها نبيهم، أي ألقوه فيها^(٥)، وقال قتادة: هي قرية باليمامة، يقال لها: فلج^(٦)، وقال أبو عبيد: هو المعدن^(٧) قال الشاعر:

١. قارن ٧: ٨٨٨.

٢. قارن ٧: ٤٨٨.

٣. نفس المصدر.

٤. ما بين القوسين من المصدر ٧: ٤٩٠.

٥. قارن ٧: ٤٩٠.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

سبقت إلى فرط باهل تنابله يحفرون الراسا^(١)

أي: المعادن، وقيل: الرس البشر التي لم تطو بحجارة ولا غيرها، وقيل: أصحاب الرس أصحاب ياسين بأنطاكية الشام، ذكره النقاش^(٢).

وقال الكلبي: هم قوم بعث الله إليهم نبياً فأكلوه، وهم أول من عمل نساؤهم السحر^(٣)، وعن أهل البيت أنهم قوم كانت نساؤهم سحاقيات^(٤).

فصل

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَيْكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ الآية: ٤٥.

قال أبو عبيدة: الظل بالغداة والفيء بالعشي، لأنه يرجع بعد زوال الشمس^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾

الآية: ٤٧.

أي: جعل نومكم ممتداً طويلاً تكثر به راحتكم وهدوؤكم^(٦).

١. البيت للناطقة الجعدي كما في المحرر الوجيز لابن عطية ٤: ٢١١.

٢. قارن ٧: ٤٩١.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٧: ٤٩٤.

٦. قارن ٧: ٤٩٦.

وقيل: إنه أراد جعله قاطعاً للأعمال التي يتصرف فيها، والسبات قطع العمل ومنه سبت رأسه يسبت سبتاً إذا حلّقه، ومنه يوم السبت وهو يوم ينقطع العمل^(١).

فصل

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ

أُجَاجٌ﴾ الآية: ٥٣.

معناه أرسلهما في مجاريهما كما ترسل الخيل في المريج، فهما يلتقيان، فلا يبغي الملح على العذب، ولا العذب على الملح بقدرة الله^(٢)، والعذب الفرات وهو الشديد العذوبة^(٣)، والملح الأجاج يعني: المر^(٤).

وقوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ يعني حاجزاً يمنع كل واحد منهما من

تغيير الآخر^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ الآية: ٦٣.

وإذا خاطبهم الجاهلون بما يكرهونه أو ينقل عليهم قالوا في جوابه

﴿سَلَامًا﴾ أي سداداً من القول، ذكره مجاهد^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٧: ٤٩٨.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٧: ٥٠٤.

وقيل: معناه أنهم قالوا قولاً يسلمون من المعصية لله^(١).

فصل

قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ
بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ الآية: ٦٧.

قال ابن عباس: الإسراف الإنفاق في معصية الله قلّ أو كثر. والإقتار منع حق الله من المال^(٢).

وقال إبراهيم: السرف مجاوزة الحد في النفقة. والإقتار التقصير عما لا بدّ منه^(٣)، والقوام بفتح القاف العدل وبكسرهما السداد^(٤).



١. قارن ٧: ٥٠٥.

٢. قارن ٧: ٥٠٧.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

سورة الشعراء

فصل

قوله: ﴿لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ الآية: ٣.

قال ابن عباس وقتادة: لعلك قاتل نفسك^(١).

وقال ابن زيد: مخرج نفسك من جسدك^(٢). والبخع القتل، قال ذو الرمة:

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه لشيء نحتته عن يديه المقادر^(٣)

فصل

قوله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ *

قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ الآية: ١٩ - ٢٠.

قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال ابن زيد: أنت من الجاحدين لنعمتنا.

١. قارن ٨: ٤.

٢. نفس المصدر.

٣. البيت في ديوان ذي الرمة: ١٠٣٧ ط مجمع اللغة العربية بدمشق تحال الدكتور عبد القدوس أبو صالح، وفي تفسير البحر المحيط ٦: ٩١ ط دار الكتب العلمية بيروت نسبة إلى الفرزدق.

الثاني: قال السدي: أراد كنت على ديننا هذا الذي تعبيه كافرًا بالله^(١).
وقال الحسن: وأنت من الكافرين بي إني إلهك. وقيل: من الكافرين لحق
تربيتي^(٢).

فقال له موسى في الجواب عن ذلك: ﴿فَعَلَّهَا﴾ يعني قتل القبطي ﴿وَأَنَا
مِنَ الضَّالِّينَ﴾ قال قوم: يعني من الضالين أي الجاهلين بأنها تبلغ القتل.
وقال الجبائي: ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ عن العلم بأن ذلك يؤدي إلى قتله.
وقال قوم: معناه ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ عن طريق الصواب لأنني ما تعمّدت،
وإنما وقع مني خطأ، كما يرمي إنسان طائراً فيصيب إنساناً^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾

الآية: ٢٢.

قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن اتخذك بني إسرائيل عبيداً قد أحبط ذلك وإن كانت نعمة
علي^(٤).

الثاني: أنك لما ظلمت بني إسرائيل ولم تظلمني اعتددت بها نعمة
علي^(٥).

١. قارن ٨: ١٢.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٨: ١٣.

٥. نفس المصدر.

الثالث: أنه لا يوثق بأنها نعمة منك مع ظلمك بني إسرائيل في تعبيدهم، وفي كل ذلك دلالة وحجة عليه وتقريع له^(١).

فصل

قوله: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ وَتَزَعُ يَدُهُ فَإِذَا

هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ الآية: ٣٢ - ٣٣.

وصفه تعالى للعصا بأنه صارت مثل الثعبان لا ينافي قوله: ﴿كَانَهَا جَانًا﴾ من وجوه^(٢):

أحدها: أنه تعالى لم يقل فإذا هي جان كما وصفها بأنها ثعبان، وإنما شبهها بالجان، ولا يجوز أن تكون مثله على كل حال^(٣).

والثاني: أنه وصفها بالثعبان في عظمها، وبالجان في سرعة حركتها، فكانها مع كبرها في صفة الجان بسرعة الحركة، وذلك أبلغ في الإعجاز^(٤).

وثالثها: أنه أراد أنها صارت مثل الجان في أول حالها، ثم تدرجت إلى أن صارت مثل الثعبان، وذلك أبلغ أيضاً في الإعجاز^(٥).

ومعنى: ﴿وَتَزَعُ يَدُهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ بياضاً نورياً، كالشمس في إشراقها ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾ إليها من غير برص^(٦).

١. قارن ٨ ١٤.

٢. قارن ٨ ١٧.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٨ ١٨.

وقوله: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أي: أخرهما، فالإرجاء التأخير تقول: أرجأت الأمر أرجئه أرجاءاً، وهم المرجئة لأنهم قالوا بتأخير حكم الفساق في لزوم العقاب^(١).

فصل

قوله: ﴿وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ﴾ الآية: ٦٤.

قال ابن عباس وقتادة: معناه قربنا إلى البحر فرعون، ومنه قوله: ﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي قربت وأدنت^(٢)، قال العجاج:

نأج طواه الأين ممّا وجفا طي الليالي زلفاً زلفاً^(٣)

أي: منزله يقرب من منزله، ومنه قيل: ليلة المزدلفة^(٤).

وقال أبو عبيدة: معنى ﴿أَزَلَفْنَا﴾ جمعنا، وليلة مزدلفة ليلة جمع^(٥).

والآخر - بفتح الخاء - الباقي من قسمي ((أحد)) كقولك: نجى الله أحدهما وغرق الآخر - وبكسر الخاء - هو الثاني من قسمي الأول، كقولك: نجى الأول وهلك الآخر^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٢٩، والآية في سورة الشعراء: ٩٠.

٣. قارن ٨: ٢٩، والبيت للعجاج كما في ديوانه: ٤٩٥ تحقيق الدكتور عزة حسن ط مكتبة دار الشروق.

٤. قارن ٨: ٢٩.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ الآية: ٧١.

العبادة خضوع بالقلب في أعلى مراتب الخضوع، ولا تستحق إلا بأصول النعم، وبما كان في أعلى المراتب من الإنسان^(١).

فصل

قوله: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي

خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ الآية: ٨١ - ٨٢.

هذا انقطاع منه عليه السلام إلى الله تعالى، دون أن يكون له خطيئة يحتاج أن يغفر له يوم القيامة، لأن عندنا أن القبائح كلها لا تقع منهم عليهم السلام^(٢)، وعند المعتزلة الصغائر التي تقع منهم تقع محبطة، فليس شيء منها ليس بمغفور يحتاج أن يغفر لهم يوم القيامة^(٣).

وقيل: إن الطمع ها هنا بمعنى العلم دون الرجاء^(٤).

قوله: ﴿وَاعْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ الآية: ٨٦.

عند أصحابنا أن أباه الذي استغفر له كان جده لأمه، لأن آباء النبي عليه السلام إلى آدم كلهم مؤمنون، بأدلة ليس هذا موضع ذكر الدلالة عليه^(٥).

١. قارن ٨ : ٣١.

٢. قارن ٨ : ٣٣.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨ : ٣٥.

فصل

قوله: ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَزْدَلُونَ﴾ الآية: ١١١.

حكى الله عن قوم نوح أنهم قالوا لنوح حين دعاهم ((إلى)) الله: أنصدقك فيما تدعونا إليه وقد اتبعك الأزدلون، يعني السفلة وأوضاع الناس. وقيل: أنهم نسبهم إلى صناعات دينية، كالحياكة والحجامة^(١).

فصل

قوله: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً﴾ الآية: ١٢٨.

الريع الارتفاع من الأرض، وجمعه أرياع وريعة، قال ذو الرمة: طراف الخوافي مشرف فوق ريعة بذى ليلة في ريشه يترقرق^(٢) ومنه الريع في الطعام، وهو ارتفاعه بالزيادة والنماء^(٣).

فصل

قوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ﴾ الآية: ١٤٧ - ١٤٨.

زروع هو جمع زرع، وهو نبات الحب الذي يبذر في الأرض، زرعه: أي بذرته في الأرض كما يزرع البذر.

١. لقد وضع ما يتعلق بهذه الآية: ١١١ بعدما يأتي ويتعلق بالآية: ١٢٨، ولم ينتبه له المحقق.

٢. البيت في ديوان ذي الرمة: ١: ٤٨٨ ط مجمع اللغة العربية بدمشق تحال الدكتور عبد القدوس أبو صالح، وهو من الشواهد في تفسيري البحر المحيط وفتح القدير.

٣. قارن ٨: ٤٤.

فالبذر المبدد في الأرض على وجه مخصوص يسمى زرعاً^(١).

﴿وَتَخْلُ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ فالهضم اللطيف في جسمه، ومنه هضم الحشى أي لطيف الحشى، ومنه هضمه حقه إذا نقصه^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ الآية: ١٦٦.

الزوجة المرأة التي وقع عليها العقد بالنكاح الصحيح، يقال: زوجة وزوج^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ الآية: ١٨٢.

الوزن وضع الشيء بأزاء المعيار بما يظهر منزلته منه في ثقل المقدار، إما بالزيادة أو النقصان أو التساوي^(٤).

والقسطاس العدل في التقويم على المقدار، وقال الحسن: القسطاس القبان، وقال غيره: الميزان^(٥).

١. قارن ٨: ٤٩.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ٥٤.

٤. قارن ٨: ٥٨.

٥. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ الآية: ١٩٣.

هو جبرئيل عليه السلام في قول ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك وابن جريج، ووصف بأنه ((روح)) من ثلاثة أوجه^(١):

أحدها: أنه يحيى به الأرواح بما ينزل به من البركات.

الثاني: لأن جسمه روحاني.

الثالث: أن الحياة أغلب عليه وكأنه روح كله^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ * [وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ

اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ *

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرِنُّكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلُبُكَ فِي

السَّجْدِينَ] الآية: ٢١٤ - ٢١٩.

قيل: إنما خص في الذكر إنذار عشيرته الأقربين، لأنه يبدأ بهم ثم الذين

يلونهم، كما قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ لأن ذلك هو الذي يقتضيه حسب الترتيب^(٣).

١. قارن ٨: ٦٢.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ٦٧، والآية في سورة التوبة: ١٢٣.

وقيل: ذكر عشيرته الأقربين أي عرفهم أنك لا تغني عنهم من الله شيئاً إن عصوه^(١).

وقوله: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلَبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ أي تصرفك في المصلين بالركوع والسجود والقيام والقعود، في قول ابن عباس وقتادة، وفي رواية أخرى عن ابن عباس أن معناه أنه أخرجك من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبياً^(٢).

وقال قوم من أصحابنا: أنه أراد قلبه من آدم إلى أبيه عبدالله في ظهور الموحدين، لم يكن فيهم من سجد لغير الله^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ الآية: ٢٢٤.

قيل: إن الشعراء المراد به القصاص الذين يكذبون في قصصهم ويقولون ما يخطر ببالهم^(٤).

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ أي هم لما يغلب عليهم من الهوى كالهائم على وجهه في كل واد يعن له، وليس هذا من صفة من عليه السكينة والوقار، ومن هو موصوف بالحلم والعقل، والمعنى أنهم يخوضون في كل فن من الكلام والمعاني التي تعن لهم^(٥).

١. قارن ٨ : ٦٧، راجع كتاب عليّ إمام البررة ١ : ٧٢ في حديث الإنذار .

٢. قارن ٨ : ٦٨ .

٣. نفس المصدر .

٤. قارن ٨ : ٧٠ .

٥. نفس المصدر .

وقال ابن عباس وقتادة: في كل لغو يخوضون ويمدحون ويذمون بفنون الباطل^(١).

وقال الجبائي: معناه يصغون إلى ما يلقيه الشيطان إليهم على جهة الوسوسة^(٢).

وقيل: إنما صار الأغلب على الشعراء الغي باتباع الهوى، لأن الذي يثبت الشعر في الأكثر العشق، ولذلك يفتتح بالتشبيب، مع أن الشاعر يمدح للصلة ويهجو على جهة الحمية، فيدعوه ذلك إلى الكذب ووصف الإنسان بما ليس فيه من الفضائل والردائل^(٣).



١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

سورة النمل

فصل

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَلُهُمْ

فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ الآية: ٤.

قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال الحسن والجبائي: زينا لهم أعمالهم التي أمرناهم بها، فهم يتحIRON بالذهاب عنها^(١).

الثاني: زينا لهم أعمالهم بخلقنا فيهم شهوة القبيح، الداعية لهم إلى فعل المعاصي ليجتنبوا المشتبه، فهم يعمهون عن هذا المعنى، أي: يتحIRON بالذهاب عنها^(٢).

فصل

قوله: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَعَاتِيكُمْ مِنهَا أَخْبِرْ

أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ الآية: ٧.

١. قارن ٨ : ٧٥ .

٢. نفس المصدر .

إِنَّمَا قَالَ لَامْرَأَتِهِ ((لَعَلِّي آتِيكُمْ)) لِأَنَّهُ أَقَامَهَا مَقَامَ الْجَمَاعَةِ فِي الْأَنْسِ بِهَا،
وَالسَّكُونِ إِلَيْهَا فِي الْأَمَكْنَةِ الْمَوْحِشَةِ^(١).

فصل

قوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ الآية: ١٦.

أخبر الله تعالى أنَّ سليمان ورث داود، واختلفوا فيما ورث منه، فقال أصحابنا: أنَّه ورثه المال والعلم، وقال مخالفونا: أنَّه ورثه العلم لقول النبي ﷺ: نحن معشر الأنبياء لا نورث^(٢).

وحقيقة الميراث هو انتقال تركة الماضي بموته إلى الثاني من ذوي قرابته^(٣)، وحقيقة ذلك في الأعيان، فإذا قيل ذلك في العلم كان مجازاً، وقولهم: «العلماء ورثة الأنبياء»^(٤) مجاز لما قلناه، والخبر المروي عن النبي ﷺ خبر واحد

١. قارن ٨: ٧٧.

٢. هذا الحديث إنما رواه أبو بكر لما عزم على منع السيدة فاطمة الزهراء ﷺ فذكاً، فقد طالبت بالنحلة أولاً فردَّ دعواها وطالبها بالبينة فأنته بعليّ والحسين وأم أيمن فردَّ شهادتهم جميعاً بحجج واهية، فطالبت ثانية بالميراث فروى لها الحديث «نحن معشر الأنبياء لا نورث» فردَّت عليه مستدلة بآيات الموارد، فلم يرجع ولم يرتدع فقاطعت مهاجرة غضبي ولم تكلمه حتى ماتت. راجع في ذلك كتاب تلخيص الشافي ٣: ١٤٤ فما بعدها وفي كتاب المحسن السبط مولود أم سقط تفصيل أوفى.

٣. قارن ٨: ٨٣.

٤. نفس المصدر، والحديث في البحر المحيط غير منسوب إلى أحد، وفي بعض المصادر هو نبوي كما في تفسير الآلوسي نقلاً عن سنن أبي داود والترمذي، وفي الكافي مروي عن الإمام الصادق ﷺ.

لا يجوز أن يخص به عموم القرآن ولا نسخه به^(١).

فصل

قوله: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا تَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ الآية: ١٧ - ١٨.

قال محمد بن كعب القرظي: كان عسكره مائة فرسخ، خمسة وعشرون من الإنس، وخمسة وعشرون من الجن، وخمسة وعشرون من الطيور، وخمسة وعشرون من الوحش^(٢).

وقوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ قال ابن عباس: يمنع أولهم على آخرهم^(٣).

قيل: كانت معرفة النملة لسليمان على سبيل المعجزة الخارقة للعادة له عليه السلام على غيره، لأنه لا يمتنع أن تعرف البهيمة هذا الضرب، كما تعرف كثيراً ممّا فيه نفعها وضرها، فمن معرفة النملة أنّها تكسر الحبة بقطعتين لثلاث تبت، إلاّ الكزبرة فإنّها تكسرها بأربع قطع، لأنّها تبت إذا كسرت بقطعتين، فمن هداها هو الذي يهديها إلى ما يحطمها^(٤).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٨٤.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ

كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ الآية: ٢٠.

قيل: كان سبب تفقده الهدهد أنه احتاج إليه في سيره ليدلّه على الماء، لأنه يقال: أنه يرى الماء في بطن الأرض كما نراه في القارورة، ذكره ابن عباس^(١).

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: تعذيب الهدهد نتف ريشه وطرحه في الشمس^(٢).

قال الجبائي: لم يكن الهدهد عارفاً بالله، وإنما أخبر بذلك كما يخبر مراهقوا صبياننا، لأنه لا تكليف إلا على الملائكة والإنس والجن^(٣).

وهذا الذي ذكره خلاف الظاهر، لأن الاحتجاج الذي حكاه عن الهدهد احتجاج عارف بالله، وبما يجوز عليه وما لا يجوز، لأنه قال: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٤).

ولا يجوز أن يفرق بين الحق في السجود لله وبين الباطل الذي هو السجود للشمس، وأن أحدهما حسن والآخر قبيح، إلا من كان عارفاً بما

١. قارن ٨: ٨٧.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ٨٩.

٤. نفس المصدر.

يجوز عليه وما لا يجوز وذلك ينافي حال الصبيان، ثم نسب تزيين عملهم إلى الشيطان، وهذا قول من عرفه وعرف ما يجوز عليه في عدله، وأن القبيح لا يجوز عليه^(١).

ومعنى الخبء ما يخرج الله من العدم إلى الوجود، فهو بهذه المنزلة، فخبأ السماء الأمطار والرياح، وخبأ الأرض النبات والأشجار^(٢).

فصل

قوله: ﴿أَذْهَبَ بِكُنْيَى هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ الآية: ٢٨.

قيل: في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون، ثم تولى عنهم، وهذا لا يحتاج إليه، لأن الكلام صحيح على ما هو عليه من الترتيب^(٣).

والمعنى: فألقه إليهم ثم تولى عنهم قريباً فانظر ماذا يرجعون، على ما قال وهب بن منبه وغيره، فإنهم قالوا: معنى ﴿تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ استتر منهم^(٤).
ومعنى ﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ قيل: أنه كان مختوماً، فلذلك وصفه بأنه كريم^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨ : ٩١.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨ : ٩٢.

وقيل: أرادت بكريم أنه من كريم يطيعه الأنس والجن والطير^(١).

فصل

قوله: ﴿قَالَتْ يَتَأْتِيَ الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ

الآية: ٣٢.

أي: أشيروا عليّ، والفتيا هي الحكم بما هو صواب بدلاً من الخطأ، وهو الحكم بما يعمل عليه، كما يسأل العامي العالم ليعمل على ما يجيبه به^(٢).

ثم حكى أنها قالت: ﴿وَأَنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ فادبر الأمر في ذلك لأنظر ما عند القوم فيما يلتمسون من خير أو شر^(٣).

وقيل: أنها أرسلت بوصائف وغلمان على زي واحد، فقالت: إن ميز بينهم وردّ الهدية وأبى إلا المتابعة على دينه فهو نبيّ، وإن قبل الهدية فإنما هو من الملوك وعندنا ما يرضيه، ذكره ابن عباس^(٤).

فصل

قوله: ﴿قَالَ يَتَأْتِيَ الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ

يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩٣.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ^ط وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ* قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ
عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴿الآيَةُ:

٣٨ - ٤٠.

معنى عفريت مارد قوي داهية^(١).

وقوله: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ﴾ أي: من مجلسك الذي
تقضي فيه، في قول قتادة^(٢).

﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾ يعني: على الإتيان به في هذه المدة ﴿لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾^(٣).

وفي الآية دلالة على بطلان قول من يقول: القدرة تتبع الفعل، لأنه أخبر
أنه قوي عليه ولم يجيء بعد بالعرش^(٤)، وقال ابن عباس: أمين على فرج
المرأة^(٥).

فقال عند ذلك: ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ قال ابن عباس وقتادة:
هو رجل من الإنس كان عنده علم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب^(٦).
وقيل: هو ((يا إلهنا وإله كل شيء يا ذا الجلال والإكرام))^(٧).

١. قارن ٨: ٩٦.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

وقال الجبائي: الذي عنده علم من الكتاب سليمان عليه السلام، قال ذلك للعفريت ليريه نعمة الله عليه، والمشهور عند المفسرين الأول ^(١).

وقوله: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال مجاهد: إن ذلك على وجه المبالغة في السرعة.

الثاني: قال قتادة: معناه قبل أن يرجع إليك ما يراه طرفك ^(٢).

وقيل: قبل أن يرجع إليك طرفك خاسئاً إذا فتحتها وأدمت فتحها ^(٣).

وقال قوم: يجوز أن يكون الله أعدمه ثم أوجده في الثاني بلا فصل بدعاء الذي عنده علم من الكتاب ^(٤).



١. نفس المصدر .

٢. نفس المصدر .

٣. نفس المصدر .

٤. قارن ٨ ٩٧ .

سورة القصص

فصل

قوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ

مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ [بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] الآية: ٢-٣.

قيل في معنى ﴿الْمُبِينِ﴾ قولان^(١):

أحدهما: قال قوم: المبين أنه من عند الله^(٢).

وقال قتادة: المبين عن الرشد من الغي، وأضاف الآيات إلى الكتاب

وهي الكتاب كما قال: ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾^(٣).

والتلاوة الإتيان بالثاني بعد الأول في القراءة، تلاه يتلوه تلاوة فهو تال

لمقدم، والمقدم والتالي مثل الأول والثاني^(٤).

والنبا الخبر عما هو عظيم الشأن^(٥).

١. قارن ٨: ١٢٨.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ١٢٨، والآية في سورة الحاقة: ٥١.

٤. قارن ٨: ١٢٨.

٥. نفس المصدر.

والحقّ هو ما يدعو إليه العقل، ونقيضه الباطل وهو ما صرف عنه الحقّ^(١).

ثم وعد تعالى وحكم بأنّه يريد أن يمنّ على الذين استضعفوا في الأرض، وهو عطف على قوله: ﴿يَسْتَضِعِفُ طَائِفَةٌ﴾ ونحن نريد أن نمنّ^(٢).

وقال قتادة: يعني من بني إسرائيل ﴿وَنَجْعَلُهُمْ أُيْمَةً﴾ يقتدى بهم ﴿وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ لمن تقدّمهم من قوم فرعون^(٣).

وروى قوم من أصحابنا أنّ الآية نزلت في شأن المهدي عليه السلام وأنّ الله يمنّ عليه بعد أن استضعف، ويجعله إماماً ممكناً، ويورثه ما كان في أيدي الظلمة^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ الآية: ٧.

أي: ألهمناها وقذفنا في قلبها وليس بوحي نبوة، في قول قتادة وغيره^(٥).
وقال الجبائي: كان الوحي رؤيا متام، عبّر عنه من يوثق به من علماء بني إسرائيل^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ١٢٩.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ١٣١.

٦. نفس المصدر.

وقوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ والالتقاط إصابة الشيء من غير طلب^(١)، ومنه اللقطة، قال الراجز:

ومنهل وردته التقاطا لم ألق إذ وردته فراطا^(٢)

وقوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ اللام لام العاقبة، لأنهم لم يلتقطوه لأن يصير لهم عدوًّا وحزنًا، بل التقطوه ليكون قرة عين لهما، ومثله قول الشاعر:

لدوا للموت وابنوا للخراب^(٣)

ومثله قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا﴾^(٤).

وقوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ قال ابن عباس وقتادة والضحاك: معناه فارغًا من كل شيء إلا من ذكر موسى^(٥)، وقيل: فارغًا من الحزن لعلمها بأن ابنها ناج، سكونًا إلى ما وعدّها الله به.

وقوله: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ قال ابن عباس وقتادة والسدي: معناه إن كادت لتبدي بذكر موسى وتقول: يا ابناء، وقيل: إن كادت لتبدي بالوحي^(٦).

١. قارن ٨: ١٣٢.

٢. الرجز من الشواهد في تفسير الطبري والقرطبي والثعلبي غير منسوب، لكنه في تفسير المحرر الوجيز لابن عطية ٤: ٣٧٧ نُسب إلى نقادة الأسدي، وكذلك في هامش ترتيب اصلاح المنطق لابن السكيت: ٢٨٨، وفي تاج العروس (لغت) بعده البيت التالي:

إلا الحمام الورق والغطاطا فهن يغطسن به إلفاطا

٣. الشطر من بيت عجزه (وكلّكم يصير إلى ذهاب) كما في الفرج بعد الشدة للتونخي: ٥١٦ منشورات الشريف الرضي بقم وفي حياة الحيوان (ورشان) وكشف الخفاء للعجلوني ما يتعلق بالشعر وقائله.

٤. الأعراف: ١٧٩، قارن ٨: ١٣٢.

٥. قارن ٨: ١٣٢.

٦. قارن ٨: ١٣٣.

فصل

قوله: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ^١﴾ الآية: ١١.

معنى قُصِّيهِ أي: اتبعي أثره يقال: قصَّه يقصُّه قصّاً إذا اتبع أثره، ومنه القصص لأنّه حديث يتبع فيه الثاني للأوّل، والاقتصاص اتباع الجاني في الأخذ بمثل جنايته^(١).

وقوله: ﴿قَبْصُرْتُ بِهِ عَنْ جُنْبٍ﴾ معنى ﴿قَبْصُرْتُ بِهِ﴾ أي رأته عن بُعد، ومثله أبصرته عن جنبه، قال الأعشى:

أتيت حريشاً تائباً عن جنبه فكان حريث عن عطائي جامداً^(٢)
أي: عن بعد.

قوله: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ أي دفع في صدره بجمع كفه، ومثله ((لكزه ولهزه ففضى عليه)) أي: مات^(٣).

فقال عند ذلك موسى: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ أي من إغوائه حتى زدت من الإيقاع به وإن لم أقصد قتله^(٤).

وقيل: إنّ الكناية عن المقتول، فكأنّه قال: إنّ المقتول من عمل الشيطان أي عمله عمل الشيطان، ثم وصف الشيطان بأنّه عدو للبشر^(٥).

١. قارن ٨: ١٣٤.

٢. قارن ٨: ١٣٤، والبيت في ديوان الأعشى: ٤٣.

٣. قارن ٨: ١٣٦، وما بين القوسين من المصدر.

٤. قارن ٨: ١٣٧.

٥. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ^١ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الآية: ١٦.

حكى الله تعالى عن موسى أنه حين قتل القبطي ندم على ذلك، وقال: يا ربّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي بِقَتْلِهِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ^(١).

وعند أصحابنا أن قتله القبطي لم يكن قبيحاً، وكان الله قد أمره بقتله، لكن الأولى تأخيرها إلى وقت آخر لضرب من المصلحة، فلما قدّم قتله كان ترك الأولى والأفضل، فاستغفر من ذلك، لا أنّه فعل قبيحاً^(٢).

وقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ على الوجه الأول، أي: بخست نفسي حقها بأن لم أفعل ما كنت أستحق به ثواباً زائداً، وعلى المذهب الثاني من يقول بالموازنة يقول: لأنّه نقص من ثوابه، فكان بذلك ظالماً نفسه^(٣).

فأمّا من قال: إنّ ذلك كان كبيرة منه وظلماً فخارج عما نحن فيه، لأنّ أدلة العقل دلت على أنّ الأنبياء لا يجوز عليهم شيء من القبائح، لا كبيرها ولا صغيرها^(٤).

قوله: ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ أي يطلب نصرته، فقال له موسى: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ أي عادل عن الرشد ظاهر الغواية، ومعناه: إنّك

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

لغوي في قتالك من لا تطيق دفع شره عنك من أصحاب فرعون، خائب فيما تقدر ((أن تفعله))^(١).

فصل

قوله: ﴿فَأَوْقَدْ لِي يَنْهَمَنُ عَلَى آلِطِينَ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ الآية: ٣٨.

الصرح البناء العالي كالقصر، ومنه التصريح شدة ظهور المعنى^(٢)، قال الشاعر:
 بهن نعام بناها الرجال تحسب أعلامهن الصروح^(٣)
 جمع صرح وهن القصور، قال قتادة: أول من طبخ الآجر وبنى به فرعون^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ الآية: ٤١.

أخبر الله تعالى أنه جعل فرعون وقومه ﴿أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ قيل في معناه قولان:

١. قارن ٨: ١٣٨، وما بين القوسين منه .

٢. قارن ٨: ١٥٣ .

٣. قارن ٨: ١٥٣، والبيت من شواهد الطبري والقرطبي في تفسير الآية غير منسوب .

٤. قارن ٨: ١٥٣ .

أحدهما: أنا عرفنا الناس أنهم كانوا كذلك، كما يقال: جعله رجل سوء بتعريفه حاله^(١).

والثاني: أنا حكمنا عليهم بذلك، كما قال: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ﴾^(٢) وكما قال: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾^(٣) وإنما أراد أنهم حكموا بذلك وسمّوه^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

الآية: ٥١.

يقول الله تعالى: إنا وصلنا لهؤلاء الكفار القول، وقيل في معناه قولان:

أحدهما: قال ابن زيد: وصلنا لهم القول في الخبر عن أمر الدنيا والآخرة.

الثاني: قال الحسن: ﴿وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ بما أهلكنا من القرون قرناً بعد قرن، فأخبرناهم أننا أهلكنا قوم نوح بكذا، وقوم هود بكذا، وقوم صالح بكذا^(٥).

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فيخافوا أن ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم، وأصل التوصيل من وصل الجبال^(٦).

١. قارن ٨ ١٥٤.

٢. المائدة: ١٠٣.

٣. الأنعام: ١٠٠.

٤. قارن ٨ ١٥٤.

٥. قارن ٨ ١٦٠.

٦. قارن ٨ ١٦١.

ثم أخبر تعالى أن هؤلاء الذين وصفهم يعطيهم الله أجرهم، يعني ثوابهم على ما صبروا في جنب الله مرتين: إحداهما لفعلهم الطاعة، والثانية: للصبر عليها لما يوجه العقل من التمسك بها^(١).

والصبر حبس النفس عما يتنازع إليه مما لا يجوز أن يتخطى إليه، ولذلك مدح الله الصابرين، والصبر على الحق مرة، إلا أن يؤدي إلى الثواب الذي هو أحلى من الشهد^(٢).

فصل

قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ الآية: ٥٦.

هذه الآية نزلت لأن النبي ﷺ كان يحرص على إيمان قومه، ويؤثر أن يؤمنوا كلهم، ويحب أن ينقادوا له، ويقروا بنبوته، وخاصة أقاربه، فقال الله تعالى له: أنك لا تقدر على ذلك، ولا في مقدورك ما تلتطف لهم في الإيمان، بل ذلك في مقدور الله يفعل به من يشاء إذا علم أنهم يهتدون عند شيء فعل بهم، فلا ينفع حرصك على ذلك^(٣).

وروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم أنها نزلت في أبي طالب، وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام أن أبا طالب مات مسلماً، وعليه

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ١٦٢.

إجماع الإمامية لا يختلفون فيه، ولها على ذلك أدلة قاطعة موجبة للعلم ليس هذا موضع ذكرها^(١).

ثم قال حاكياً عن الكفار أنهم قالوا: إن نتبع محمداً وما يدعونا إليه، ونقول إنه هدى وموصل إلى الحق ﴿تَخْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ فقال الله لهم: ﴿أَوَلَمْ تَمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾^(٢).

وقيل في وجه جعله الحرم آمناً وجهان:

أحدهما: بما طبع النفوس عليه من السكون إليه، وترك النفور مما ينفر عنه في غيره، كالغزال مع الكلب، والحمام مع الناس وغيرهم^(٣).

والوجه الآخر: بما حكم به على العباد وأمرهم أن يؤمنوا من يدخله ويلوذ به ولا يتعرضوا له^(٤).

وفائدة الآية أنا جعلنا الحرم آمناً لحرمة البيت، مع أنهم كفار يعبدون الأصنام حين آمنوا على نفوسهم وأموالهم، فلو آمنوا لكان أخرى بأن يؤمنهم الله وأولى بأن يمكن من مراداتهم^(٥).

وقوله: ﴿مُهْلِكُ الْقُرَى﴾ قيل: في معنى ﴿أَمَهَا﴾ قولان: أحدهما مكة، والآخر في معظم القرى^(٦).

١. قارن ٨: ١٦٤ راجع في إيمان أبي طالب عليه السلام كتاب «الحجة على الذاهب» للسيد فخار بن معد وهو مطبوع مكرراً، وفي الدراسات الحديثة عدة كتب منها «أبو طالب مؤمن قريش» للشيخ عبد الله الخنيزي.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ١٦٥.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٨: ١٦٦.

وقوله: ﴿ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قيل: إنَّ ﴿كُلِّ﴾ ها هنا البعض، لأننا نعلم أنه ليس يجبي كثير من الثمرات إلى مكة^(١).

وقال قوم: ظاهر ذلك يقتضي أنه يجبي إليه جميع الثمرات إما رطباً وإما يابساً، ولا مانع يمنع منه^(٢).

فصل

قوله: ﴿فَعَمِيتَ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ الآية: ٦٦.

معنى ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي هم لانسداد طريق الأخبار عليهم لم يجيئوا عما سئلوا عنه، ولا يسأل بعضهم بعضاً عنه لانقطاعهم عن الحجة^(٣).

ولا ينافي قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ قوله في موضع آخر: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ لأن يوم القيامة مواطن يختلف حالهم فيها، فمرة يطبق عليهم الحيرة فلا يتساءلون، ومرة يفيقون فيتساءلون^(٤).

فصل

قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ^{عط} إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ الآية: ٧٦.

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ١٦٩.

٤. نفس المصدر، والآية في سورة الصافات: ٢٧.

حكاية عما قال قوم قارون لقارون حين خوفوه بالله ونهوه عن الفرع بما آتاه الله من المال وأمره بالشكر عليه^(١).

والفرع المرح الذي يخرج إلى الأشر وهو البطر، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ لأنه إذا أطلق صفة فرح، فهو الخارج بالمرح إلى البطر^(٢).

فأما قوله: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فحسن جميل بهذا التقيد^(٣).

وقوله: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ قال الفراء: تقديره لا يسأل المجرمون عن ذنوبهم، فالهاء والميم للمجرمين، كما قال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾^(٤).

وقال الحسن: لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون، ليعلم ذلك من قبلهم، وإن سئلوا سؤال توبيخ وتقريع^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَيَكُنَّ لِلَّهِ سُبُطُ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَيَقْدِرُ﴾ الآية: ٨٢.

١. قارن ٨ ١٧٦.

٢. قارن ٨ ١٧٧.

٣. قارن ٨ ١٧٧، والآية في سورة آل عمران: ١٧٠.

٤. قارن ٨ ١٧٨، والآية في سورة الرحمن: ٣٩.

٥. قارن ٨ ١٧٨.

حكى الله أن الذين تمنوا مكانه بالأمس حين خرج عليهم على زينته لما رأوه، خسف الله به، أصبحوا يقولون: ﴿وَيَكُنَّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ أي يوسع رزقه على من يشاء ويضيّق على من يشاء اعترفوا بذلك^(١).

ومعنى (وي) التنبيه على أمر من الأمور، وهي حرف مفصول من (كأن) في قول الخليل وسيبويه واختيار الكسائي^(٢).

وقيل: (ويكأنه) بمنزلة ألا كأنه، وأما كأنه^(٣).

وقيل: هي ويك بأن الله، كأنه قال تنبيهك بهذا إلا أنه حذف، قال عنترة:

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنترة أقدم^(٤)

ثم قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ يعني الجنة ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ وإنما قبح طلب العلو في الأرض، لأنه ركون إليها، وترك طلب العلو في الآخرة، ومعاملة لها، بخلاف ما أَرَادَهُ اللهُ بها من أن تكون دار ارتحال لا دار مقام فيها^(٥).



١. قارن ٨: ١٨١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٨: ١٨١، والبيت في ديوان عنترة من معلقته كما في ديوانه: ٢١٧ ط المكتب الإسلامي.

٥. قارن ٨: ١٨٢.

سورة العنكبوت

فصل

قوله: ﴿الْمَرْءُ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكَ أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ

لَا يُفْتَنُونَ﴾ الآية: ١ - ٢.

الحسان والظن واحد، ومثله التوهم والتخيل ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ أي لا يظنون أنهم لا يختبرون إذا قالوا آمنا^(١).

والمعنى أنهم يعاملون معاملة المختبر، لتظهر الأفعال التي يستحق عليها الجزاء^(٢).

وقال مجاهد: معنى ﴿يُفْتَنُونَ﴾ يتلون في أنفسهم وأموالهم^(٣).

وقيل: معنى ﴿يُفْتَنُونَ﴾ يصابون بشدائد الدنيا، أي أن ذلك لا يجب أن يرفع في الدنيا لقولهم آمنا^(٤).

١. قارن ٨ : ١٨٦ .

٢. نفس المصدر .

٣. نفس المصدر .

٤. نفس المصدر .

فصل

قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ

سَيِّئَاتِهِمْ﴾ الآية: ٧.

معنى ذلك أنهم إذا اعترفوا بما جاء به من عند الله ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ التي اقترفوها قبل ذلك^(١).

ومن قال بالاحباط تبطل السيئة بالحسنة التي هي أكبر منها، حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل، كما قال: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ والاحباط هو إبطال الحسنة بالسيئة التي هي أكبر منها^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَلَيَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ الآية: ١٣.

معناه: أنهم يسألون سؤال تعنيف وتوبيخ وتبكيث وتقريع، لا سؤال استعلام كسؤال التعجيز في الجدل، كقولك للوثني: ما الدليل على جواز عبادة الأوثان؟ وكما قال تعالى: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣).

الطوفان الماء الكثير الغامر، لأنه يطوف بكثرته في نواحي الأرض^(٤).

١. قارن ٨: ١٨٩.

٢. قارن ٨: ١٨٩، والآية في سورة هود: ١١٤.

٣. قارن ٨: ١٩٢، والآية في سورة البقرة: ١١١.

٤. قارن ٨: ١٩٢.

فصل

قوله: ﴿فَقَامَنَّ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ الآية: ٢٦.

حكى الله أنه صدق به لوط عليه السلام وآمن به، وكان ابن أخته وإبراهيم خاله، وهو قول ابن عباس وابن زيد والضحاك وجميع المفسرين ^(١).

﴿وَقَالَ﴾ لوط ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ ومعناه إِنِّي خارج من جملة الظالمين على جهة الهجر لهم، ولقبح أفعالهم إلى حيث أمرني ربي ^(٢).

ومن هذا هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة وإلى أرض الحبشة، لأنهم هجروا ديارهم وأوطانهم لأذى المشركين لهم بأن يخرجوا عنها ^(٣).

وقيل: هاجر إبراهيم ولوط من كوثي، وهي من سواد الكوفة إلى أرض الشام ^(٤).

قوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ قال ابن عباس: الأجر في الدنيا الشاء الحسن والولد الصالح ^(٥).

وقال الجبائي: هو ما أمر الله به المكلفين من تعظيم الأنبياء ^(٦).

قال البلخي: وذلك يدل على أنه يجوز أن يثيب الله في دار التكليف ببعض الثواب ^(٧).

١. قارن ٨: ٢٠١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

قوله: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾ قال ابن عباس: كانوا يضربون في مجالسهم^(١).

وقال السدي: كانوا يحذفون من مرّ بهم^(٢).

وقال مجاهد: كانوا يأتون الرجال في مجالسهم^(٣).

وقال الكلبي: منها الصغير، ومضع العلك، والرمي بالبندق، وحل أزرار القباء والقميص، وهي ثمانى عشرة خصلة^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ الآية: ٣١.

البشرى البيان والخبر بما يظهر سروره في بشرة الوجه^(٥).

وقيل: للإخبار بما يظهر سروره، أو غمه في البشارة بشرى^(٦).

ويقوى ذلك قوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ غير أنه غلب عليه البشارة بما يسر به^(٧).

١. قارن ٨: ٢٠٢.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٢٠٥.

٦. نفس المصدر.

٧. قارن ٨: ٢٠٥، والآية في سورة آل عمران: ٢١.

فصل

قوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾

الآية: ٣٨.

في الآية دلالة على بطلان قول المجبرة الذين ينسبون ذلك إلى الله، ثم أخبر أن الشيطان صدّهم ومنعهم عن طريق الحق^(١).

﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إليه لاتباعهم دعاء الشيطان، وعدولهم عن الطريق الواضح^(٢).

﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ أي وكانوا عقلاء يمكنهم تمييز الحق من الباطل^(٣).

ثم أخبر أنه لم يظلمهم بما فعل معهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بجحودهم نعم الله، واتخاذهم مع الله آلهة، وطغيانهم، وإفسادهم في الأرض، وذلك يدل على بطلان قول المجبرة الذين قالوا: إن الظلم من فعل الله، لأنه لو كان من فعله لما كانوا هم الظالمين لنفوسهم، بل كان الظالم لهم من فعل فيهم الظلم^(٤).

فصل

قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ

١. قارن ٨: ٢٠٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٨: ٢٠٩.

الْعَنْكَبُوتِ أَخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَرَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ۚ
الآية: ٤١.

شبه الله تعالى حال من اتخذ من دونه أولياء ينصرونه عند الحاجة في
الوهن والضعف بحال العنكبوت، التي تتخذ بيتاً لتأوي إليه، فكما أن بيت
العنكبوت في غاية الوهن والضعف، فكذلك حال من اتخذ من دون الله
أولياء^(١).

والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بالأول^(٢).

قوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ بحدودها ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ﴾ يعني في فعلها لطف للمكلف في فعل الواجب والامتناع عن القبيح،
فهي بمنزلة الناهي بالقول إذا قال: لا تفعل الفحشاء ولا المنكر، وذلك لأن فيها
التكبير، والتسييح، والقراءة، وصنوف العبادة، وكل ذلك يدعو إلى شكله،
ويصرف عن ضده، كالأمر والنهي بالقول^(٣).

وقوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ معناه: ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من
ذكركم إياه بطاعته^(٤).

وقيل: معناه ذكر العبد لربه أفضل من جميع عمله، وهو قول قتادة وابن
زيد^(٥).

١. قارن ٨: ٢١١.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ٢١٢.

٤. قارن ٨: ٢١٣.

٥. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿وَلَا تَخْطُوهُ بِيَمِينِكَ﴾ الآية: ٤٨.

((خاطب نبيّه ﷺ فقال: وما كنت تتلوا من كتاب يعني لم تحسن القراءة قبل أن يوحى إليك بالقرآن، ولا تخطّه بيمينك)).

معناه: وما كنت أيضاً تخط بيمينك، وفيه اختصار وتقديره: ولو كنت تتلو الكتاب وتخطّه باليمين ﴿إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ وقال المفسرون: أنّه لم يكن النبي ﷺ يحسن الكتابة^(١).

والآية لا تدلّ على ذلك، بل فيها أنّه لم يكن يكتب الكتاب، وقد لا يكتب الكتاب من يحسنه، كما لا يكتب من لا يحسنه، وليس ذلك بنهي، لأنّه لو كان نهياً لكان الأجود أن يكون مفتوحاً، وإن جاز الضم على وجه الاتباع لضمه الخاء كما تقول: ردّه وردّه بالفتح والضم^(٢).

ثم بيّن تعالى أنّه إنّما لم يكتب، لأنّه لو كتب لشك المبطلون في القرآن وقالوا: هو قرأ الكتب، أو هو يصنّفه، ويضم شيئاً إلى شيء في حال بعد حال، فإذا لم يحسن الكتابة، لم يسبق إليه الظن، ثم قال: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾^(٣).

فصل

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ الآية: ٥١.

١. قارن ٨: ٢١٦، وما بين القوسين من النسخة الرضوية.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

الكفاية بلوغ حد ينافي الحاجة، يقال: كفى يكفي كفاية فهو كاف^(١).

وقيل: إن الآية نزلت في قوم كتبوا شيئاً من كتب أهل الكتاب شبه الخرافات، فقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ القرآن، تهديداً لهم ومنعاً من التعرض لغيره^(٢).

والشاهد والشهيد واحد، وفيه مبالغة، والشهادة هي الخبر بالشيء عن مشاهدة، تقوم به الحجة في حكم من أحكام الشرع، ولذلك لم يكن خبر من لا تقوم به حجة في الزنا شهادة وكان قدفاً^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ الآية: ٦٤.

أي: الحياة على الحقيقة، لكونها دائمة باقية لو كانوا يعلمون صحة ما أخبرناك به، وقال أبو عبيدة: الحيوان والحياة واحد^(٤).



١. قارن ٨: ٢١٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٨: ٢٢٥.

سورة الروم

فصل

قوله: ﴿الْمَ * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ

بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ الآية: ١ - ٣.

السبب في ذلك معروف، وهو أن الروم لما غلبهم فارس فرح مشركوا قريش بذلك، من حيث أن أهل فارس لم يكونوا أهل كتاب، وساء ذلك المسلمين فأخبر الله تعالى أن الروم وإن غلبهم فارس، فإن الروم ستغلب فيما بعد فارس^(١).
﴿فِي يَضْعُ سِنِينَ﴾ أي: فيما بين ثلاث إلى عشر^(٢).

والبضع القطعة من العدد ما بين الثلاث إلى العشر، اشتقاقه من بضعته إذا قطعته تبضيعاً، ومنه البضاعة القطعة من المال تدور في التجارة^(٣).
وقال المبرد: البضع ما بين العقدین في جميع الأعداد^(٤).

ثم أخبر تعالى بأن الله الأمر من قبل ومن بعد، تقديره: من قبل غلبهم ومن بعد غلبهم، فكان كما أخبر، وكان ذلك معجزة ظاهرة باهرة للنبي ﷺ^(٥).

١. قارن ٨ : ٢٢٨ .

٢. نفس المصدر .

٣. قارن ٨ : ٢٢٩ .

٤. نفس المصدر .

٥. نفس المصدر .

وروي أن سبب ذلك أن الروم لما غلبتها فارس فرح المشركون بذلك وقالوا: أهل فارس لا كتاب لهم غلبوا أهل الروم وهم أهل كتاب، فنحن لا كتاب لنا تغلب محمداً الذي معه كتاب، فأنزل الله تعالى هذه الآيات تسلياً للنبي والمؤمنين، وأن الروم وإن غلبها فارس، فإنها ستغلب فارس فيما بعد^(١).

فصل

قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا تُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ * يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿الآية: ٦ - ٧.﴾

معنى ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ صحة ما أخبرنا به لجهلهم بالله وتفریطهم في النظر المؤذي إلى معرفته^(٢).

ولا يناقض قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ لقوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لأن ذلك ورد مورد المبالغة لهم بالذم، لتضييعهم علم ما يلزمهم من أمر الله، كأنهم لا يعلمون شيئاً، ثم يبين حالهم فيما عقلوا عنه وما علموه^(٣).

ومعنى ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: عمران الدنيا متى يزرعون؟ ومتى يحصدون؟ وكيف ينون؟ ومن أين يعيشون؟ وهم جهال بحال الآخرة وله مضيعون، ذكره ابن عباس، أي: عمروا الدنيا وأخربوا الآخرة^(٤).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٢٨: ٢٣١.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

والغفلة ذهاب المعنى عن النفس كحال النائم، ونقيضه اليقظة وهي حضور المعنى للنفس كحال المنتبه، ونقيضه السهو^(١).

ثم قال: ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بأن يهلكهم من غير استحقاق ابتداءً. وفي ذلك بطلان قول المجبرة: ان الله يتدأ خلقه بالهلاك^(٢).

ثم قال: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا﴾ هم ﴿أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بأن جحدوا نعم الله^(٣). ثم أخبر تعالى أنه الذي: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٤) قال ابن عباس وابن مسعود: معناه يخرج الإنسان وهو الحي من النطفة وهي الميتة، ويخرج الميتة وهي النطفة من الإنسان وهو حي^(٥).

وقال قتادة: يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن^(٦).

فصل

قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا

إِلَيْهَا﴾ الآية: ٢١.

قال قتادة: المعنى - ها هنا - أنه خلقت حواء من ضلع آدم^(٧)، وقال غيره: المعنى خلق لكم من شكل أنفسكم أزواجاً^(٨)، وقال الجبائي: المعنى خلق أزواجكم من نطفكم^(٩).

١. قارن ٨: ٢٣٢.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٨: ٢٣٧.

٥. قارن ٨: ٢٣٨.

٦. قارن ٨: ٢٤٠.

٧. نفس المصدر.

٨. نفس المصدر.

٩. نفس المصدر.

قوله: ﴿وَإِخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوِلَايَاتُ﴾ فالألسنة جمع لسان، واختلافها ما بناها الله تعالى، وهياتها مختلفة في الشكل والهيئة، وتأتي الحروف بها: و(إِخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ أي) اختلاف مخارجها^(١).

وقال قوم: المراد بالألسنة اختلاف اللغات.

وهذا جواب من يقول: إن اللغات أصلها من فعل الله دون المواضع، فأما من يقول: اللغات مواضع، فإن تلك المواضع من فعلهم^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الآية: ٢٧.

حكى ابن عباس أنه قال: المعنى وهو أهون عليه عندكم، لأنكم أقررتم بأنه بدأ الخلق، فإعادة الشيء عند المخلوقين أهون من ابتدائه ؟

وروي عن ابن عباس أيضاً أن معناه وهو هين^(٣) عليه، قال الشاعر:

لعمرك ما أدري وإني لأوجل على أيننا تعدو المنية أول^(٤)

أي: إني لواجل، والله أكبر بمعنى كبير.

ثم قال: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال مجاهد: فطرة الله الإسلام^(٥).

وقيل: ﴿فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ولها وبها بمعنى واحد، كما يقول القائل

١. قارن ٨: ٢٤١، وما بين القوسين من المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ٢٤٥.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٢٤٥، والبيت من أبيات الشواهد وهو لمعن بن أوس المزني كما في تفسير الطبري ٢١:

٤٤، وزاد المسير ٦: ١٤٩، وفي معجم الشعراء للمزباني: ٣٢٣ بتحقيق فراج من جملة أبيات.

لرسوله: بعثتك على هذا ولهذا وبهذا بمعنى واحد، ونصب ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ﴾ على المصدر^(١).

وقيل: تقديره اتبع فطرة الله التي فطر الناس عليها، لأن الله تعالى خلق الخلق للإيمان، ومنه قوله: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»^(٢).

ومعنى الفطر الشق ابتداءً يقولون: أنا فطرت هذا الشيء، أي: أنا ابتدأته، والمعنى خلق خلق الله للتوحيد والإسلام^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ الآية: ٣٦.

إنما قال: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ولم يقل بما قدموا على التغليب للأكثر الأظهر، لأن أكثر العمل وأظهره لليدين، والعمل بالقلب وإن كان كثيراً فهو أخفى^(٤)، وإنما يغلب الأظهر^(٥).

قوله: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لَيْرَبُّوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال الجبائي: وما آتيتم من ربا لتربوا بذلك أموالكم ﴿فَلَا يَرَبُّوَا﴾ لأنه لا يملكه الرابي، بل هو لصاحبه، ولا يربوا عند الله، لأنه يستحق به العقاب^(٦).

١. قارن ٨: ٢٤٧.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ٢٤٧.

٤. قارن ٨: ٢٤٧.

٥. قارن ٨: ٢٥٣.

٦. قارن ٨: ٢٥٤.

فصل

قوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾

الآية: ٤١.

قيل: فساد البر هو ما يحصل فيها من المخاوف المانعة من سلوكه، وفساد البحر اضطراب أمره، حتى لا يكون للعباد متصرف فيه^(١).

وقال قتادة: المعنى ظهر الفساد في أهل البر والبحر، فأهل البر أهل البادية، وأهل البحر أهل القرى الذين على الأنهار العظيمة^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ

سَاعَةٍ^٣ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ الآية: ٥٥.

قيل في قسمهم بذلك مع أن معارفهم ضرورية قولان:

أحدهما: قال أبو بكر بن الأخشاذ: ذلك يقع منهم قبل إكمال عقولهم، ويجوز قبل الإلجاء أن يقع منهم قبيح.

والثاني: قال الجبائي: إن المراد أنه منذ ما انقطع عنا عذاب القبر^(٤).

﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ أي: يكذبون، لأنه اخبار عن غالب الظن بما لا

يعلمون، قال: ولا يجوز أن يقع منهم القبيح في الآخرة، لأن معارفهم ضرورية^(٥).



١. قارن ٨: ٢٥٦.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ٢٦٤.

٤. قارن ٨: ٢٦٥.

سورة لقمان

فصل

قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن

سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الآية: ٦.

قيل في معناه قولان:

أحدهما: أنه يشتري كتاباً فيه لهو الحديث ^(١).

الثاني: أنه يشتري لهو الحديث بحق الحديث ^(٢).

واللهو: الأخذ فيما يصرف الهم من غير الحق، واللهو واللعب والهزل نظائر ^(٣).

وقال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد: لهو الحديث الغناء، وهو المروي

عن أبي جعفر عليه السلام ^(٤).

فصل

قوله: ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي

صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ الآية: ١٦.

١. قارن ٨: ٢٧١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

تقديره: إن تلك الحبة لو كانت في جوف صخرة، وهي الحجر العظيم، أو تكون في السماوات أو في الأرض ﴿يَأْتِيهَا اللَّهُ﴾ ويحاسب عليها ويجازي، لأنه لا يخفى عليه شيء منها ولا يتعذر عليه الإتيان بها أي موضع كانت، لأنه قادر لنفسه^(١).
 إنما أنت ﴿مِثْقَالُ حَبَّةٍ﴾ لأنه مضاف إلى مؤنث وهي الحبة، كما قيل:
 ذهبت بعض أصابعه، وكما قيل:

كما شرقت صدر القناة من الدم^(٢)

والصخرة وإن كانت في الأرض أو في السماء، فذكر السماوات والأرض بعدها مبالغة، كقوله: ﴿أَفِرْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾^(٣).
 والمثقال مقدار يساوي غيره في الوزن، فمقدار الحبة مقدار حبة في الوزن، وقد صار بالعرف عبارة عن وزن الدينار، فإذا قيل: مثقال كافور أو عنبر، فمعناه مقدار الدينار بالوزن^(٤).

قوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ معناه: لا تعرض بوجهك عن الناس تكبراً، ذكره ابن عباس^(٥).

وأصل الصعر داء يأخذ الإبل في أعناقها حتى تلتفت أعناقها، فيشبه به الرجل المتكبر على الناس^(٦).

قال الشاعر:

١. قارن ٨: ٢٧٨.

٢. قارن ٨: ٢٧٨، وعجز البيت للأعشى وصدرة ((وتشرق بالقول الذي قد أذعته)) يخاطب يزيد بن مسهر الشيباني وكانت بينهما مياينة ومهاجاة كما في ديوانه: ١٨٦ تح كامل سليمان.

٣. قارن ٨: ٢٧٩.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٢٨٠.

٦. نفس المصدر.

وكنّا إذا الجبار صغرّ خده أقمنا له من ميله فتقوما^(١)

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي مختلاً متكبراً^(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ فالاختيال مشية البطر^(٣).

وقال مجاهد: المختال المتكبر، والفخر ذكر المناقب للتطاول بها على

السامع، يقال: فخر يفخر فخراً وفاخره مفاخرة^(٤).

ثم أخبر تعالى ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ قال القراء: معناه أن

أشد الأصوات، وقال غيره: أقبح الأصوات، في قول مجاهد^(٥).

فصل

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ

مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ الآية: ٣١.

معناه: ألم تعلم أن الفلك وهي السفن تجري في البحر بنعمة الله عليكم

﴿لِيُرِيَكُمْ﴾ بعض أدلته الدالة على وحدانيته^(٦).

١. قارن ٨: ٢٨٠، والبيت لعمر بن حني التغلبي كما في تفسير بن كثير ٣: ٤٥٥، وأضواء البيان للشنقيطي ٦.

٢. وقال ابن عطية في تفسيره: (تقوما) خطأ لأن قافية الشعر مخفوضة وقبله في معجم الشعراء للمرزباني:

تعاطى الملوك الحق ما قصدوا بنا وليس علينا قتلهم بمحرّم

وقال المرزباني: وهذا البيت - يعني بيت الشاهد - يروى من قصيدة المتلمس التي أولها:

يعبرني امي رجال ولن ترى أخا كرم إلا بأن يتكرّم

ونسبه الجوهري في الصحاح إلى المتلمس، وكذا في لسان العرب وتاج العروس (ميل).

٢. قارن ٨: ٢٨٠.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٢٨١.

٦. نفس المصدر.

ووجه الدلالة في ذلك: أن الله تعالى يجري الفلك بالرياح التي يرسلها في الوجوه التي تريدون المسير فيها^(١).

ولو اجتمع جميع الخلق أن يجروا الفلك في بعض الجهات مخالفاً لجهة الرياح لما قدروا عليه، وفي ذلك أعظم دلالة على أن المجري لها بالرياح هو القادر الذي لا يعجزه شيء، وذلك بعض أدلته التي تدل على وحدانيته^(٢).

قوله: ﴿فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ قال قتادة: يعني منهم مقتصد في قوله، مضمر لكفره^(٣). وقال الحسن: المقتصد المؤمن^(٤).

وقوله: ﴿وَمَا يَجْعَلْ يَأَيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خِتَارٍ كَفُورٍ﴾ فالتخار الغدار بعهده

أقبح الغدر، وهو صاحب ختل وختر، أي غدر، وقال عمرو بن معدي كرب:

فأنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر وختر^(٥)

((ثم التعليق من الجزء السابع من التبيان في تفسير القرآن

كتبه لنفسه مهنا بن علي بن عطا بن سليمان بن مختار حامداً لله مصلياً

على محمد وآله وكان الفراغ في صفر سنة أربعين وستمائة))^(٦).



١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ٢٨٨.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٢٨٨، والبيت لعمرو بن معدي كرب الزبيدي، كما في تفسير الطبري والقرطبي ومجاز

القرآن ٢: ١٢٩.

٦. من النسخة الرضوية.

فهرس الكتاب

سورة الأعراف

- وجه تفسير الأشراف بالمأ ومعنى السحر ٥
- الفرق بين كل ساحر وبين كل السحرة ؟ ٦
- معنى الإلفك ٩
- قول الرماني في جواز نيين في وقت وعدم الجواز في الإمام والجواب عنه ١٠
- معنى القمل في الآية الشريفة ١٢
- كيف جاء الوعيد على الغفلة وليست من فعل البشر ؟ ١٣
- معنى السوم ومشتقاته ١٤
- الفرق بين الميقات والوقت ١٦
- وجه سؤال موسى عليه السلام الرؤية مع استحالتها ١٦
- قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ﴾ ١٩
- معنى الانصراف عن آيات الله تعالى ٢٠
- كيفية حوار العجل مع أنه مصوغ من الذهب ٢٢
- معنى استغفار موسى عليه السلام ٢٤
- وجه تعلق العذاب بالمشيئة دون المعصية ٢٦

- عالم الذر وكيفية أخذ الإشهاد منهم ٣٠
- قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ ٣١
- معنى قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ ٣٢
- معنى الاستدراج في الآية الشريفة ٣٤
- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ ٣٦
- أختلاف المفسرين في الوقت الذي أمروا بالانصات في قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ﴾ ٣٩

سورة الأنفال

- معنى الجعل في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى﴾ ٤٢
- معنى الغشيان والنعاس والأمنة ٤٢
- قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ ٤٤
- قوله تعالى: ﴿وَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ ٤٥
- معنى الفرقان في الآية الشريفة ٤٧
- قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَاءُ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ٤٩
- تفسير آية الخمس ٥٠
- معنى ذهاب الريح في الآية الشريفة ٥٣
- معنى السلم في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾ ٥٥
- الفرق بين الحلال والمباح ٥٦
- معنى الهجرة والجهاد ٥٧
- قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ ٥٨

سورة براءة (التوبة)

- ٥٩..... علة ترك افتتاح السورة بالبسملة
- ٦٤..... تفسير آية السقاية ومعناها
- ٧٢..... تفسير قوله تعالى: ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾
- ٧٨..... كيفية جهاد الكفار والمنافقين
- ٨٤..... دلالة الآية الشريفة على جواز العفو عن العصاة
- ٨٨..... الاستدلال بالآية الشريفة على حجية خبر الواحد

سورة يونس

- ٩٧..... حقيقة الظن وحكمه
- ٩٩..... معنى الموعظة والشفاء
- ١٠٢..... معنى البشرى في الحياة الدنيا

سورة هود

- ١١٣..... معنى العوج وحقيقة الاستطاعة
- ١١٦..... تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾
- ١١٩..... قوله تعالى: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾
- ١٢٠..... معنى الوعظ والعيادة
- ١٢١..... معنى السلام في قوله تعالى: ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾
- ١٢٢..... معنى التوكل والناصية
- ١٢٣..... تفسير الجحد في قوله تعالى: ﴿وَبَلِّغْ عَاذُ جَحَدُوا﴾
- ١٢٤..... معنى الإنشاء والريبة

- الفرق بين المس واللمس ١٢٤
- السبب في أن العجوز لا تلد ١٢٦
- وجه عرض المسلمة على الكفار ١٢٧
- معنى السجيل والمسومة ١٢٩
- معنى الوزن والتوفيق ١٣٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ ١٣١
- معنى الورد والتبيب ١٣٣
- قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ ١٣٤
- معنى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ ١٣٥
- وجه النهي عن الركون إلى الظلمة ١٣٧
- دلالة الآية على وجوب النهي عن المنكر ١٣٩
- معنى الاختلاف في الآية الشريفة ١٤٠
- معنى الغيب والمبين والعقل ١٤٢

سورة يوسف

- دلالة الآية الشريفة على أن كلام الله محدث ١٤٤
- المراد من السجود في قصة يوسف عليه السلام ١٤٤
- معنى الاجتناء والعصبة والالتقاط والنصح ١٤٥
- هل أخوة يوسف عليه السلام كانوا أنبياء ؟ ١٤٦
- معنى الهم في اللغة ١٤٨
- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ ١٥١
- معنى الإحسان والملة والاباء والاستفتاء ١٥٢

- ١٥٥..... دلالة الآية على جواز تقلد الأمر من قبل السلطان الجائر
- ١٥٦..... معنى الوفاء والحزن والبث
- ١٥٨..... المراد من الشرب في الآية الشريفة
- ١٥٩..... تفسير قوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾
- ١٦١..... معنى الغاشية والبغته والافتراء والحديث

سورة الرعد

- ١٦٣..... المراد من الاستواء على العرش
- ١٦٤..... معنى الأجل والزرع والصنوان
- ١٦٤..... دلالة الآية على بطلان قول من يقول بالطبع
- ١٦٦..... معنى سجود من في السماوات والأرض لله طوعاً وكرهاً
- ١٦٦..... قوله تعالى: ﴿وَضَلَّالُهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾
- ١٦٨..... استدلال المجبرة بالآية على أن أفعال العباد مخلوقة لله والجواب عنه
- ١٦٩..... معنى الصبر والجنات والعدن والسلام
- ١٧٢..... آية المحو والإثبات
- ١٧٣..... معنى نقصان الأرض من أطرافها
- ١٧٤..... المراد من الذي عنده علم الكتاب

سورة إبراهيم

- ١٧٥..... معنى إضلال الله تعالى وهدايته من يشاء
- ١٧٦..... قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾
- ١٧٧..... معنى الجبار والعنيد

- المراد من الشجرة الخبيثة ١٧٩
- وجه تسمية البيت بيتاً قبل أن يبنيه ١٨١
- دلالة الآية على أن أبوي إبراهيم لم يكونا كافرين ١٨٢
- معنى المهطع ١٨٣
- كون الآية الشريفة حجة على ثلاث فرق ١٨٤

سورة الحجر

- قوله تعالى: ﴿رَبِّمَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ١٨٥
- معنى الهزء والرجم والموزون ١٨٦
- المراد من الصلصال في الآية الشريفة ١٨٨
- كيفية سجود الملائكة لآدم عليه السلام ١٩٠
- هل تجوز إجابة دعاء الكافر ؟ ١٩٠
- معنى الغل والغابر ١٩١
- المراد من الاستثناء في آية: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ ١٩٢

سورة النحل

- معنى التسبيح في اللغة ١٩٥
- المعاني العشرة للروح ١٩٥
- وجه تسخير الشمس والقمر والليل والنهار ١٩٧
- استدلال المجبرة بالآية الشريفة والجواب عنه ١٩٨
- المراد من تحمل الأوزار يوم القيامة ١٩٨
- قوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ ٢٠٠

- وجه تعميمهم بالهلاك مع أن فيهم مؤمنين ٢٠٢
- الفرق بين أسقينا وسقينا ٢٠٢
- الاستدلال بالآية على تحليل النبذ والجواب عنه ٢٠٣
- معنى السكر في اللغة ٢٠٥
- دلالة الآية على أن المملوك لا يملك شيئاً ٢٠٦
- دلالة الآية على أن كل عصر لا يخلو من حجة ٢٠٨
- دلالة الآية على أن اليمين على المعصية غير منعقدة ٢٠٩
- شأن نزول آية: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ ٢١٢
- المراد من الفتنة في الآية الشريفة ٢١٣

سورة بني إسرائيل

- المراد من البعث في الآية الكريمة ٢١٦
- قوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ ٢١٧
- آية الاحسان بالوالدين وعدم زجرهما ٢١٨
- المراد من الاسراف في القتل ٢٢١
- الاستدلال بالآية على عدم جواز العمل بالقياس والخبر الواحد ٢٢٢
- معنى الاحتناك والاستفزاز والاستطاعة ٢٢٣
- قوله تعالى ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ ٢٢٥
- معنى التهجد في الآية الشريفة ٢٢٦
- علة إرسال الملك إلى الرسول دون غيره ٢٢٨
- معنى الهداية والاضلال ٢٢٩
- قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَانَ أَيَّامًا تَدْعُوا﴾ ٢٣١

سورة الكهف

- ٢٣٣..... معنى العوج والباخع والجرز والرقيم
- ٢٣٥..... معنى القرض في الآية الشريفة
- ٢٣٦..... معنى الورق في اللغة
- ٢٣٧..... حول الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾
- ٢٤٠..... قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْتُوا﴾
- ٢٤١..... المراد من الثمر في الآية الكريمة
- ٢٤٢..... دلالة الآية على أن الشك في البعث والنشور كفر
- ٢٤٤..... دلالة الآية على أن إبليس لم يكن من الملائكة
- ٢٤٥..... معنى الموبق والجدل
- ٢٤٧..... قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام
- ٢٤٧..... المراد من مجمع البحرين
- ٢٤٩..... معنى النصب في الآية الكريمة
- ٢٥٠..... اختلاف المفسرين في الذي كان يتعلم موسى منه هل كان نبياً أم لا ؟
- ٢٥٢..... المراد من الاستطاعة في قصة موسى عليه السلام
- ٢٥٣..... معنى الانقضااض والابدال
- ٢٥٥..... موارد استعمال الورا في الكلام
- ٢٥٦..... الكنز المدفون تحت الأرض
- ٢٥٩..... من هما الياجوج والمأجوج ؟
- ٢٥٩..... معنى الزبر والصدفان والنفخ
- ٢٦٠..... دلالة الآية على أن المعارف ليست ضرورية

سورة مريم

- ٢٦١..... معاني الجعل في اللغة
- ٢٦٢..... دلالة الآية على أن الأنبياء يورثون المال
- ٢٦٣..... قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتَكُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾
- ٢٦٤..... ما معنى تعوذ مريم عليها السلام من الملك إن كان تقياً ؟
- ٢٦٦..... المراد من الصوم المأمور به في النذر
- ٢٦٨..... اختلاف الأحزاب من أهل الكتاب في عيسى عليه السلام
- ٢٧٠..... معنى الخلف والغبي
- ٢٧١..... كيفية ورود الناس إلى النار
- ٢٧٤..... تفسير قوله تعالى: ﴿تَوَزَّهُمْ أَزْأًا﴾

سورة طه

- ٢٧٦..... المراد من السر وأخفى
- ٢٧٧..... السبب الذي لأجله أمر موسى عليه السلام بخلع النعلين
- ٢٧٨..... المراد من الجناح في الآية الشريفة
- ٢٨٠..... قوله تعالى: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾
- ٢٨١..... معنى القرن والسحر
- ٢٨٤..... قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾
- ٢٨٦..... المراد من الاهتداء في الآية الكريمة
- ٢٨٧..... معنى الغضب والأسف والعكوف

- ٢٩٠ كيفية انقلاب العجل المصنوع حيواناً
- ٢٩١ معنى الصفصف في الآية الشريفة
- ٢٩٣ معنى القيوم والهضم
- ٢٩٥ عدم دلالة الآية على تفضيل الملائكة على الأنبياء
- ٢٩٧ المراد من المعصية التي وقعت عن آدم وحواء عليهما السلام
- ٢٩٩ قوله تعالى: ﴿وَنُخْشِرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

سورة الأنبياء

- ٣٠٢ دلالة الآية على أن القرآن محدث
- ٣٠٢ المراد من أهل الذكر في الآية
- ٣٠٤ علة امتناع وجود إلهين فيهما
- ٣٠٥ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾
- ٣٠٧ المراد من الابتلاء بالشر والخير
- ٣٠٩ الفرق بين الهزء والسخرية
- ٣١٠ لم قال إبراهيم عليه السلام: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ مع أنه ما فعل شيئاً ؟
- ٣١٢ قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾
- ٣١٤ المراد من صنعة لبوس
- ٣١٥ اختلاف المفسرين في ذي الكفل
- ٣١٧ قوله تعالى: ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾
- ٣١٨ المراد من السجل في الآية الشريفة

سورة الحج

- المراد من الحرف في من يعبد الله عليه ٣٢٢
- كيفية سجود من في السماوات والأرض ٣٢٣
- الاستدلال بالآية على أن أجرة المنازل في أيام الموسم محرمة ٣٢٤
- المراد من التفث في الآية الشريفة ٣٢٦
- المراد من تعظيم شعائر الله ٣٢٨
- معنى البدن والقانع ٣٢٩
- قوله تعالى: ﴿إِذَا تَمَنَّيَ الْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ ٣٣١

سورة المؤمنون

- المراد من ملك اليمين في الآية الكريمة ٣٣٤
- دلالة الآية على أن الإنسان هو هذا الجسم المشاهد ٣٣٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا﴾ ٣٣٧

سورة النور

- معنى الفرض والواجب والآيات ٣٣٩
- أحكام حد الزنا ٣٤٠
- المراد من شهود الطائفة في حد الزنا ٣٤٢
- أحكام حد القذف وعدم قبول شهادة القاذف ٣٤٤
- آية اللعان وأحكامه ٣٤٧
- فرقة اللعان تحصل بتمام اللعان ٣٤٨

- ٣٥٠..... معنى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات وهكذا
- ٣٥٢..... المراد من البيوت الغير مسكونة في الآية الشريفة
- ٣٥٣..... الزينة المنهي عن إبدائها
- ٣٥٥..... المراد من التابعين غير أولي الاربة من الرجال
- ٣٥٦..... قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾
- ٣٥٧..... أحكام المكاتب
- ٣٥٨..... تفسير آية النور
- ٣٦٠..... المراد من تقلب القلوب والأبصار
- ٣٦٢..... الحيوانات التي تمشي على أقسام
- ٣٦٤..... الاستدلال بالآية على إمامة الخلفاء الأربعة والكلام عليه
- ٣٦٧..... المراد من القواعد من النساء
- ٣٦٩..... قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾
- ٣٧٠..... دلالة الآية على أن أوامر النبي ﷺ على الإيجاب

سورة الفرقان

- ٣٧٢..... معنى البور والحجر
- ٣٧٣..... معنى الهباء والمقيل
- ٣٧٥..... من هم أصحاب الرس ؟
- ٣٧٧..... معنى العذب والملح الاجاج والسرف والاقتار والقوام

سورة الشعراء

- ٣٨٠..... قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾
- ٣٨٢..... معنى الارزاء والازلاف والاخر والعبادة

منتخب التبيان الجزء الثاني ٤٣٩

معنى الريع والزرع ٣٨٤

المعاني الثلاثة للروح الأمين ٣٨٦

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ ٣٨٧

سورة النمل

ما ورث سليمان من داود عليه السلام ٣٩٠

سبب تفقد سليمان عليه السلام الهدهد وما أخبر به ٣٩٢

معنى الخبء في الآية الشريفة ٣٩٣

دلالة الآية على بطلان القول بالقدرة مع الفعل ٣٩٥

سورة القصص

معنى التلاوة والنبأ والحق والالتقاط ٣٩٧

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ ٤٠٠

هل قتل موسى عليه السلام القبطي كان ذنباً أم لا ؟ ٤٠١

معنى الصرح في الآية الشريفة ٤٠٢

وجه جعله تعالى الحرم آمناً ٤٠٥

معنى الفرح ٤٠٧

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ٤٠٧

سورة العنكبوت

معنى الحساب ٤٠٩

قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرُ﴾ ٤١٢

٤٤٠ الفهرس

٤١٣ دلالة الآية على بطلان قول المجبرة

٤١٥ هل النبي ﷺ كان يحسن الكتابة ؟

سورة الروم

٤١٧ سبب نزول قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾

٤١٨ المراد من ظاهر الحياة الدنيا

٤٢٠ فطرة الناس التي خلق عليها

٤٢٢ المراد من ظهور الفساد في البر والبحر

سورة لقمان

٤٢٣ معنى اللهو والمثقال

٤٢٥ معنى الاختيال والفخر

٤٢٧ فهرس الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ